العدد ٥ من السنة الثانية ربيع الثانى سنة ١٣٦٠ — مايو سنة ١٩٤١

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهرياً وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا
ترسل إذن بريد ، أما طوابع البريد فلا تقبل

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

		صفحة
المجتمع المصرى عرضة للانحلال	محمد عبد الجليل أبو سمرة باشا	٣
البر المصرى	توفيق دوس باشا	٩
أفراحنا ومآتمنا	على جمال الدين باشا	١٢
الطفولة المهملة	عبد السلام الشاذلى باشا	١٥
فى سبيل مكافحة الحفاء	محمد عبد الخالق حسونة بك	٢٢
حاجتنا إلى أهداف قومية	الدكتور ابراهيم مدكور	٢٦
القاهرة الخداعة	الأستاذ سيد قطب	٣٠
الدعوة إلى تحديد النسل	الأستاذ عبد المجيد نافع	٣٤
آباء مجرمون		٤٠
حاجتنا إلى إصلاح صحى	الدكتور عبد الرءوف حسن بك	٤٥
حياة السعادة والشرف	الأستاذ سلامه موسى	٥١
صور من الريف : الشيخ عبد الجواد، قبانى القرية	الأستاذ محمد زكى عبد القادر	٥٩
بعض أخطاء الزوجات		٦٣
العلاقة بين الزوجين	السيدة حرم حسين عنان بك	٦٧
أثر الحفاء فى الصحة العامة	الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك	٦٩
مبادئ الوطنية والكرامة	الآنسة حميدة قطب	٧٤
آسف ... متشكر		٧٧
كفاح العلم الالزامى	الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم	٨٠
العمل فى البيت		٨٤
الإجرام والجنون		٨٧
ظواهر جديدة فى أفق العلم	الأستاذ س . م	٩١
روح الميوعة والنعومة فى الشعب		٩٤
البيت والمدرسة	الأستاذ سليم فريد	٩٦
الأمراض الوبائية	وزارة الصحة	١٠٠
النشاط الاجتماعى فى مصر		١٠٤
متفرقات اجتماعية		١١٦

المجتمع المصرى عرضة للانحلال

لتعدد سمات التربية وسمات الثقافة

لحضرة صاحب المعالى محمد عبد الجليل أبو سمرة باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

وحدة الدم ، ووحدة التربية ، ووحدة الثقافة . هذه هى المقومات الأولى للشعوب ، والعرى التى تمسكها من الانحلال والتفرق . وقد شاهدنا فى الحرب الحالية كيف نفذ الألمان من خلال تعدد العناصر فى دول شرق أوربا الى تمزيقها أو احتلالها أو تهديدها ، كما هو حاصل فى تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوجوسلافيا .

ونحن فى مصر مطمئنون من ناحية وحدة الدم ، لأن الريف المصرى سليم ، وهو يصهر مختلف الأجناس والعناصر التى تصب فيه ، ويجعلها عنصرا واحدا متشابه السمات . ولكن وحدة الدم بمفردها لا تغنى حين تتعدد سمات التربية وسمات الثقافة ، وتتباين — تبعا لهذا — مقومات الشخصية الفردية والاجتماعية .

على أن الاطمئنان إلى وحدة الدم ينبغى أن ننظر اليه بشىء من القصد والحذر . فهذه الوحدة أصبحت مهددة الى حد ما ، فى المدن على الأقل ، لشدة الاختلاط بالزواج بين عناصر مختلفة ، فيجب أن ننتبه الى هذا الخطر الذى يضاعفه تعدد البيئات وتعدد الثقافات وانعدام الوحدة بينها ولو فى مرحلة من المراحل .

وإن الباحث الاجتماعى ليشعر بالهول والرهبة حين يستعرض عشرات البيئات وعشرات الثقافات التى تشترك فى تكوين مقوماتنا الشخصية والعقلية ، وحين يرى كلا منها يستقل فى إخراج قسم من الشعب لا تربطه بالأقسام الأخرى صلة إلا صلة الحياة فى حدود جغرافية واحدة ، وإلا التمتع — من الوجهة القانونية — بجنسية واحدة .

والحق أن الأجناس التى يتألف منها هذا الشعب كثيرة متفرقة : ففيها المصرى والتركى والعربى والكردى والشامى والمغربى والسودانى والحبشى ، وفيها غير ذلك كثير . وهى الأجناس التى يتزوج منها المصريون فيعقبون نسلا يتربى فى منزل تشرف عليه الأم التى تطبعه بطابعها الذى استمدته من أصلها وبيئتها وثقافتها .

وهذه الأجناس تتقارب أصولها أو تتباعد ، ولكن بينها اختلافا فى الدم لا شك فيه ، واختلافا فى البيئة المنزلية لا شك فيه أيضا ، واختلافا فى الأهواء والميول تبعا لهذا وذاك وتبعا لاتجاه الثقافات الذى سأتحدث عنه بعد قليل .

فاذا نحن تجاوزنا الأجناس التي يرجع اليها الاباء أو الأمهات ، وانتقلنا الى أجناس المربيات فى لبيوت الغنية — ونحن نهتم بهذه الطبقة لأن القوة المادية تمكنها من القوة المعنوية وتجعل فى يدها مقاليد الحكم والثقافة والتوجيه فى أحيان كثيرة — فإننا واجدون هناك مربيات فرنسيات وانجليزيات وأمريكيات وإيطاليات وألمانيات وأسبانيات وتركيات وحبشيات وسودانيات وغير ذلك .

وهذا التعدد فى أجناس المربيات ينشئ لنا نوعا آخر من البلبلة فى البيئات المنزلية التى تسيطر على الطفل فى أطوار نموه الأولى التى تكمن فيها معظم مكونات الشخصية وتلاحق هذا الطفل فى كل أدوار حياته ، وتوجه عاداته وأخلاقه وسلوكه .

ثم نخطو خطوة الى الثقافات المدرسية ، ونحن نشفق على القارئ من الذهول الذى يصيبه وهو يلاحق هذه الأنماط المتباينة والمتقاربة التى لا عداد لها .

ففينا من تعلم فى المدارس الابتدائية ، وتدرج منها الى الثانوية فالعالية أو الجامعة ، أو منها الى المدارس الفنية والصناعية والمتوسطة ، تعليما مدنيا مختلف الفروع متحد الأصول الى حد ما .

وفينا من تعلم فى الأزهر أو أحد فروعه تعليما دينيا نرى الى جانبه قليلا من التعليم المدنى .

وفينا من تعلم فى دار العلوم تعليما وسطا بين المدنى والدينى ، ولكنه شيء آخر غير هذا وذاك فى اتجاهاته ومقوماته .

وفينا من تعلم فى المدارس الأولية ، فمدارس المعلمين تعليما قليلا له سمات غير ما تقدم جميعا .

وفينا من تعلم فى " كتاب " القرية أو المدرسة الالزامية ووقف عند هذا الحد .

ثم فينا من تعلم فى أحد المعاهد العالية أو الفنية أو الصناعية أو المتوسطة ولم يذهب الى أوربا وأمريكا . ومن تعلم كهؤلاء ثم ذهب الى انجلترا ، أو ذهب الى فرنسا ، أو ذهب الى ألمانيا ، أو ذهب الى إيطاليا ، أو ذهب الى سويسرا ، أو ذهب الى أمريكا . وعاد كل واحد من هؤلاء بثقافة وعقلية وربما بشخصية متأثرة الى حد كبير بالبلد الذى عاش فيه .

وفينا من تعلم هنا فى مصر فى مدارس فرنسية ، أو مدارس انجليزية ، أو مدارس أمريكية ، أو مدارس يونانية ، أو مدارس إيطالية ، أو مدارس ألمانية . وبين هؤلاء من درس فى أقسام هذه المدارس الخاصة وهى تؤهل لشهادات أجنبية ، ومن درس فى أقسامها المصرية وحصل على شهادة مصرية . ولكن هؤلاء وهؤلاء تأثروا بالعقلية و بالبيئة التى تسود هذه المدارس وهى غير العقلية المصرية والبيئة المصرية على كل حال . و بعض هؤلاء وهؤلاء اكتفى بالدراسة فى هذه المدارس ، و بعضهم سافر لإتمام تعليمه فى البلاد التى تتبعها و بعضهم واصل دراسته فى الجامعة أو المدارس المصرية الأخرى .

وفيما بعد هذا كله من لم يتعلم أصلا ومن عاش لا يسمع عن العالم شيئا .

فاذا نحن حاولنا استخراج النتيجة المنطقية من كل ذلك أذهلتنا كثرة الاتجاهات العقلية والنفسية والاجتماعية والعاطفية التى تتقاسم هـذا الشعب تقاسما تستحيل معه الوحدة التى يجب أن تتوافر فى كل شعب من الشعوب .

هذا ولم أذكر اختلاف الأديان ، ولا اختلاف الطبقات ، ولا اختلاف البيئة الريفية والبيئة المدنية . ولم أذكر كذلك اختلاف القوانين واختلاف المحاكم التى كان يخضع لها سكان الوادى فقد كفانا إلغاء الامتيازات شر هذه الاختلافات الى حد ما .

*
* *

هذه صورة رهيبة للمجتمع المصرى الذى طالما اطمأننا إلى وحدته وتماسكه ، وهى خليقة أن تبعث فى نفوسنا القلق والحذر ، وأن تنبهنا إلى شىء نعمله لوقف عوامل التفرق والانحلال . ولا يجوز أن تكون سلامة الريف — إلى حد كبير — داعية إلى التهاون أو الاطمئنان الكاذب . فالريف إذا كان قلب الوطن فإن المدينة هى رأسه ، والرأس هو المفكر والموجه للجسم جميعا .

وقد اشتركت فى هذه البلبلة عدة عوامل بعضها طبيعى أو تاريخى أو سياسى لا حيلة لنا فيه ، وبعضها حاضر بين يدينا ومن صنع أنفسنا نستطيع دفعه وتحويره فيه .

فأما العوامل الطبيعية فموقع مصر الجغرافى فى حوض البحر الأبيض المتوسط بين الشرق والغرب ، وفى طريق الفاتحين واللاجئين من هنا ومن هناك ، ومناخها الذى يجلب اليها السائحين وطبيعتها التى تغرى بعضهم بالإخلاد والاستيطان .

وأما العوامل التاريخية والسياسية فهى الاحتلال التركى لمصر نحو خمسمائة عام ، وقد كان هذا أشد أثرا من كل احتلال سابق ؛ لأن الدولة العثمانية كانت امبراطورية تجمع شتى الأجناس والعناصر ، وكلهم يتمتع بالرعوية العثمانيـة المشتركة ، فكانت مصر — بسبب موقعها فى هذه الامبراطورية — محسب نفاحات لهم جميعا ، وكانت فى هذا أكثر من تركيا نفسها ذاتها .

ولقد كان هذا التكوين نفسه من أهم عوامل الانحلال فى الامبراطورية العثمانية ، فلما تفرقت بقيت آثارها فى مصر كاملة .

ولقد حدث مثل هذا من قبل فى الامبراطورية العربية يوم فتح العرب ممـلكتى كسرى وقيصر ، ولكنها تماسكت حينا من الدهر لتوحد الثقافة فيها — على الرغم من تعدد الأجناس — فلقد كانت ثقافتها قائمة على الدين واللغة المشتركين بين الجميع ، وكان الأدب العربى والشعر

العربي يدرسان في كل مكان حتى لمخالفي العرب في العقيدة من شتى الأديان في الامبراطورية . ومع هذا فقد تحطمت الامبراطورية العربية على الصخرة التي تحطمت عليها الامبراطورية العثمانية بعد ألف عام .

ثم كانت الامتيازات الأجنبية — وهي أثر من آثار الحكم التركي — سببا آخر من أسباب هذه الفروق بما أتاحته للأجانب من ألوان النشاط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي بلا رقيب ولا التزام باحترام القومية المصرية والمشخصات الوطنية ، وساعدت الظروف السياسية بعد الاحتلال الانجليزي هذه العوامل في نصف القرن الأخير .

وعلى أية حال فقد انقضى هذا الماضي بخيره وشره ، وإذا لم تكن لنا حيلة في التاريخ والطبيعة ، فإننا نملك الحاضر والمستقبل ، فلننظر فيما بين أيدينا من الأسباب .

لاحظت فيما تقدم أن أهم أسباب هذه الاختلافات هي التزاوج والتربية المنزلية والثقافة المدرسية . وإني أكره أن أحمل الدولة وأحمل الأفراد عنتا بتدخل الأولى في حرية الآخرين وكفهم عن زواج الاجنبيات أو استخدامهن مربيات ، وإن كان ذلك ضروريا في بعض الحالات كما صنعت مع موظفي السلك السياسي .

ولكني أناشد الوطنية في نفوسهم أن يشفقوا على شعبهم من هذه البلبلة ، وأن يبقوا على وحدته العصرية والعقلية والنفسية . فالواقع أن كثيرا من أبناء المتزوجين بأجنبيات من هم مصريون بالاسم ، ولكن هواهم واتجاهاتهم جميعا إلى أمم أمهاتهم ، وبعضهم يحتقرون المصرية والمصريين احتقارا ، وبعضهم لا يحتقرون ولكنهم لا يستطيعون التفاهم مع الوسط المصري فيضطرون الى الاندماج في الأوساط التي تنتمي اليها الأمهات ، بحكم نشأتهم في بيئة خاصة لا يعرفون سواها ولا يستطيعون معرفته .

فأما ما تملكه الدولة فهو الثقافة المصرية التي تمكن لها من الوحدة في مرحلة من مراحل التعليم ، وهو اللغة القومية التي تضمن لها السيادة في كل مرافق الحياة . فلننظر في هاتين المسألتين :

لقد استعرضنا فيما مضى تلك الألوان التي لا تنتهي من المدارس والدراسات ، ولا اعتراض لنا على تنوعها وتفرعها في ذاتهما ، فقد يكون من الخير لمصر — ملتقى الشرق والغرب — أن تلم بثقافات أممهما جميعا .

ولكن الحرص على وحدة هذا الشعب يحتم اشتراك كل مصري في مرحلة من مراحل الثقافة يجب أن يلم بها التلميذ في أية مدرسة وأية دراسة ، ثم يدرس بعدها كيفما شاء ، وعلى أي نظام أراد . هذه المرحلة نريد أن تكون بوتقة تصهر فيها الجميع فيلتقوا على أساسها في نقطة من النقط .

وهذه المرحلة نرى أن تكون معادلة لمرحلة التعليم الابتدائى — فيما عدا اللغة الأجنبية — ويجب أن تشمل الدراسة فيها اللغة القومية وجغرافية مصر وتاريخها على وجه التفصيل مع إبراز عصور النهضة وشخصيات الأبطال فى الدراسة التاريخية، وقسطا من المعلومات العامة والرياضيات .

يستوى فى هذه الدراسة من يتعلمون فى الأزهر ومن يتعلمون فى دار العلوم ومن يتعلمون تعليما مدنيا خالصا فى جميع مدارس الدولة . ويستوى فيها كذلك من يتعلمون فى المدارس الأجنبية على اختلافها .

ويجب أن تشرف الدولة على هذا القسم فى كل دور العلم التى تقوم به، لا فرق فى ذلك بين مدارس مدنية أو دينية أو أجنبية ، لتضمن بهذا الإشراف جدية التنفيذ . ولا يجوز أن تسمع عذرا فى هذا أو تقبل حجة ، لأن ذلك عمل من أعمال المحافظة على سلامة الدولة ألزم من أعمال الدفاع الحربى فى الميادين .

والحرص على وحدة الشعب الثقافية يحتم الحرص على وحدته اللغوية كذلك . ولن تنتهى مهمة الدولة عند رعاية اللغة القومية فى المدارس جميعا، بل يجب أن ترعاها فى خارج المدارس كذلك . وإنه لعجيب أن تظل الشركات الأجنبية ودوائر الأعمال تهمل اللغة القومية فى معاملاتها فيجب أن يوضع حد لهذا الإهمال .

وقد خطت اللجنة المالية فى مجلس النواب خطوة مشكورة حين أضافت إلى قانون ضريبة الأرباح الاستثنائية مدة تحتم على الشركات الأجنبية تقديم حساباتها لإدارة الضرائب باللغة العربية ، مما دعا الحكومة إلى العزم على مطالبة هذه الشركات بإمساك دفاتر عربية .

ولكن هذه وتلك خطوات متواضعة فى نظرنا فيجب أن تكون جميع الأعمال وجميع المخاطبات والعقود بين بعض هذه الشركات وبين الجمهور المصرى ، أو بينها وبين المحاكم فى القضايا التى تثيرها صلاتها بالأفراد أو بالحكومة — بغة البلاد التى تعيش فيها وتكسب منها أرباحها . كما يجب أن تكتب المتاجر ودور السينما وسواها أسماءها وأسماء بضاعتها أو لغة أفلامها باللغة القومية ، بلا تسامح ولا إمهال .

إن لهذه المسألة شقين كلاهما ذو علاقة بكيان الشعب ووحدته . وأما الشق الأول فهو احترام القومية المصرية وبروز معناها فى كل ما تقع عليه العين أو تسمع به الأذن، ولهذا أثره فى تمكين هذه المظاهر وتقويتها فى النفوس وإدماجها فى وحدة يتسم بها الجميع .

وأما الشق الثانى فنفسح مجال العمل فى الشركات ودوائر الأعمال الأجنبية للشباب المصرى ، و بهذا تمصر هـذه الشركات والدوائر شيئا فشيئا ، وتنسجم مع الوحدة الوطنية فى لغتها وسمتها وطرق معاملاتها ، فلا تبقى هكذا دولة فى داخل الدولة .

* * *

لقد تعددت الأجناس فى أمريكا و بخاصة فى الولايات المتحدة بحكم الهجرة إليها فصار شعبها يتألف من عناصر كثيرة ، كالذى حدث فى مصر ، ولكنها استطاعت — مع هذا — أن تصهر هذا الشتيت المتجمع فيها ، وتحيله عنصرا واحدا له مميزات وسمات وطابع خاص أمريكى .

وكانت وسيلتها إلى هذا إخضاع الجميع لنظام حكم واحد ، ولثقافة واحدة ، ولتقاليد واحدة فلم يمض قرن من الزمان حتى تناسات هذه العناصر المختلفة ، وتوارت الفروق بين بعضها وبعض و إذا الجميع أمريكيون يتميزون بطابعهم الجديد .

وقد يقال أن الاستقلال الأمريكى وحرية التشريع اللذين لم يصابا بنظام الامتيازات الأجنبية قد جعلا القوم هناك أخف عبئا مما فى مصر . ولكن هانحن أولاء قد حصلنا من الاستقلال على ما يسمح لنا بحرية التشريع إلى حد كبير ، فيجب أن نسلك طريق أمريكا فى صهر العناصر والثقافات التى تعج بها مصر حتى تعود ولها طابع واحد ممتاز .

وقـد لا نملك التحكم فى البيوت إلا بمناشدة الوطنية فى الصدور ، ولكننا نملك التحكم فى المدرسة والمجتمع عن طريق التشريع والسهر على التنفيذ . فلنفعل ، و إنا — إن شاء الله — لفاعلون .

محمد عبد الجليل أبو سمرة

[illegible]
[illegible]
[illegible]

البر العصري

كما تمثله حياة كارنجى

بقلم صاحب السعادة توفيق دوس باشا

فى سنة ١٩٠١ كان يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية رجل من أعظم الأثرياء فى العالم هو اندرو كارنجى Andrew Carnegie . وكان رغم بلوغه السادسة والستين من عمره يدير مصانع للفولاذ ليس لها نظير فى العالم سواء من حيث الضخامة ووفرة الإنتاج أو من حيث الأساليب العصرية التى تأخذ بها فى الصناعة . وفى ذلك العام الذى أشرنا إليه وقف كارنجى كمن يقف فى طريق الرحلة المديدة يقيس ما قطع منها وما بقى عليه أن يقطع ؛ فرأى أنه جمع من المال ما يزيد على مئة مليون جنيه وأن عمره الماضى قد انقضى فى جمع المال فعقد العزم على أن يمضى بقية عمره فى إنفاق هذا المال الضخم لا برا بالفقراء والمحتاجين فقط ، بل أيضا لخدمة المجتمع والتسامى بفضائله وتحقيق مثلياته .

والولايات المتحدة هى وطن الثروات الضخمة ولكنها أيضا بلاد البر العظيم . وليس هذا البر مقصورا على أبنائها ومدنها ، فإن ما يخرج منها كل عام الى الأقطار الأجنبية يبلغ اثنى عشر مليونا من الجنيهات . وهذا المبلغ هو المتوسط فى السنين العادية ، أما حين يجتاح الوباء أو القحط أو السيل أحد الأقاليم فى الصين أو الهند مثلا أو حين تجتاح أوروبا إلى ما ينقذ أطفالها من الجوع الذى تجلبه عليها الحروب ، فان هذا المبلغ يزداد ويتضاعف . ونحن فى مصر نعرف مؤسسة روكفيلر التى تنفق على الصحة العامة فى الريف ، كما نعرف الجامعة الأمريكية التى أنشأها مع ملحقاتها أثرياء أمريكيون ولا يزالون ينفقون عليها .

وقد كان كارنجى يقول "يجب ألا يموت الإنسان ثريا" . ومع أن المشهور المألوف أن العصاميين الذين كدوا وتعبوا فى جمع المال لا تسمح أيديهم بالانفاق ولا يعرفون بالاسراف ، فان كارنجى الذى بدأ حياته خادما فى مكتب قد أنفق على البر ٩٨ فى المائة من ثروته ولم يترك لأهله غير اثنين فى المائة منها .

ولد اندرو كارنجى سنة ١٨٣٥ فى إحدى القرى فى اسكوتلانده . فلما بلغ الثالثة عشرة هاجر إلى الولايات المتحدة وهناك تقلب فى صناعات وضيعة ، فكان خادما فى أحد المكاتب التجارية ، ثم عاملا فى مصنع للقطن ، ثم انتهى به المطاف إلى وظيفة عامل فى التلغراف بمدينة بتسبرج . فلما نشبت الحرب لأهلية من أجل تحرير الزنوج انتظم فى الجيش . ولما انتصر دعاة الحرية وتحرر الزنوج وألغى الرق عاد إلى بتسبرج وأسس "ورشة" صغيرة للآلات .

وما زال مكبا على عمله يثابر عليه ويتوسع فيه حتى صارت هذه "الورشة" مصنعا للفولاذ. وكان كارنجى متطلعا يقظا وقد سمع عن طريقة جديدة لصنع الفولاذ بتكاليف قليلة تمكن المصنع من بيعه بأثمان رخيصة، وهى طريقة بسمر، فاستعملها فى مصانعه بعد تجارب متكررة كان يلقى فيها الخيبة التى تثبط عزيمة غيره ممن لم يتازوا بروح المثابرة والجلد. ولكنه نجح فى النهاية واستطاع أن يزن العالم فولاذ رخيص وكانت طريقة بسمر بمثابة الانقلاب العظيم فى صناعة الفولاذ.

ومن ذلك الوقت أخذ المال يتدفق على كارنجى وأخذ هو فى التوسع. فكان يشترى تبر الحديد فى أمريكا وغيرها من الأقطار ويؤسس المصانع لكى يفى بالطلبات المتكاثرة.

فلما بلغ السادسة والستين باع نصيبه بمئة مليون جنيه وخرج من صناعة الفولاذ لكى يتوفر على البر، بل شرع عندئذ يحترف البر كما كان قبل ذلك يحترف صناعة الفولاذ. أى أنه جعل يجد ويكد لكى لا يضيع منه قرش فى غير موضعه من البر المثمر سدا لحاجة إنسانية عليا. ومما يدل على عنايته بل تعبه فى هذه الحرفة الجديدة قوله "إن إنفاق المال أشق من جمعه". وهو بالطبع هنا يعنى الإنفاق السديد فإن من يملك مئة مليون جنيه ويعقد العزم على إنفاقها لخدمة الإنسانية يجب أن يتعب كثيرا فى تعرف وجوه هذا الإنفاق والاهتداء الى أيها يفضل وأيها يقدم أو يؤخر. والذين عرفوا كارنجى يصرحون بأنه كان يتعب فى البحث والاختيار والتقدير عندما ينوى عقد هبة أو منحة أو وقف المال المغل على إحدى الجمعيات أو أحد الأعمال أكثر جدا مما كان يتعب فى إدارة مصانع الفولاذ.

وكان كارنجى يعنى كل العناية بألا يمنح المال هبة مطلقة، بل كان يشترط فى البر أن ينصب على الجديرين به الذين يعرفون كيف ينتفعون منه. فمن أمثلة ذلك أنه خص المكتبات بالملايين من ثروته، ولكنه كان يشترط على كل من أمريكا وبريطانيا "لا تنشئ مكتبة إلا إذا قدم السكان المنتفعون بها - سواء بأشخاصهم أو بمجالسهم المحلية - الأرض التى ستبنى عليها تلك المكتبة، وإلا اذا تعهدوا بإدارتها وصيانتها". وعندئذ كان يتقدم هو بنفقات لبناء وشراء الكتب. وبهذه الطريقة أنشأ الآلاف من المكتبات العامة المجانية، وفى الوقت نفسه علم الناس وسائل البر بالتعاون.

ولما كان كارنجى قد ولد فى إحدى القرى الاسكوتلاندية ثم هاجر إلى الولايات المتحدة كما قدمنا، فهو لم ينس وطنه الأصلى. فلقد وقف مقدارا من المال لمساعدة الطلبة الاسكوتلانديين الذين يعجزون عن سد حاجاتهم فى الجامعة. وهذا الوقف يعين العائلات الفقيرة فى اسكوتلانده على تعليم أولادهم حتى أن الإنسان ليجد أن كثيرا من الأطباء والمعلمين والمهندسين والمحامين فى تلك البلاد قد أنجبهم آباء يحترفون صيد السمك أو غير ذلك من الحرف المتواضعة.

ولكن وطنه القديم لم ينسه وطنه الجديد . فإنه أنشأ فى مدينة بتسبرج، التى كان عاملا فى مكتب تلغرافها ثم صاحب مصنع للفولاذ بها ، مدرسة للفنون الصناعية تعد من أفضل المدارس فى العالم وحبس عليها ما يكفى للتعليم وللبحث العلمى معا . وهذه المدرسة قد أنشئ كثير على طرازها فى الولايات المتحدة بعد ذلك .

ومن طريف ما ابتكره كارنجى فى البر أنه حبس مالا عظيما ينفق من غلته مكافآت مالية كبيرة لكل رجل أو امرأة ينقذ شخصا من خطر ما فى الحياة المدنية و يصاب بجرح فى هذا الإنقاذ . وقد سمى هذا المال "وقف الأبطال" .

وحبس مبلغا آخر يغل فى العام ٢٥ ألف جنيه تنفق على ترقية المدن وتجميلها و رفع مستوى الحياة فيها .

واسم كارنجى يقرن فى العالم المتمدن إلى اسم السلام . فقد أنفق كثيرا من جهوده ومقدارا من ماله على الدعوة إلى السلام ، وهو الذى شيد من ماله قصر السلام فى هولندا حيث تقوم الآن محكمة المنازعات الدولية ، وألف كتبا فى هذا الموضوع وغيره من الموضوعات التى تمس الشؤون المدنية والاجتماعية . فمن مؤلفاته : "الديمقراطية الظافرة" و "إنجيل الثروة" و "مشكلات اليوم" و "حياة جيمس وات" .

ومات كارنجى سنة ١٩١٩ وكان قد جمع ثروة جديدة ولكنها صغيرة بالنسبة إلى مجموع الثروة التى جمعها طيلة حياته ، وقد قدرت هذه الثروة الجديدة بخمسة ملايين من الجنيهات أرصدها كلها على أنواع البر وأعمال الخير .

* * *

هذه سيرة رجل وهب للعالم مائة وثلاثة ملايين من مائة وخمسة هى مجموع رأس ماله . وهذا بطبيعة الحال مثل أعلى لا أدعو إلى محاكاته فى مصر حتى ولو بالنسبة للثروات الموجودة فى هذه البلاد . ولكنى أدعو أغنياءنا إلى الشعور بأن للوطن حقا فى أموالهم ، فلو أن كل واحد منهم يتبرع بعشر ثروته للخير لاختفى كثير من مظاهر البؤس والشقاء ، ولكانت حال مصر اليوم غير ما هى عليه الآن

توفيق دوس

أفراحنا ومآتمنا

بقلم حضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

الفرح والحزن عاطفتان إنسانيتان ، تنفعل بهما النفس انفعالا طبيعيا حين تتوافر أسبابهما دون تفكير سابق أو تحضير . ومن ثم فهما محك لمعرفة أخلاق الشعوب والكشف عن طبيعتها الكامنة ومبلغ رقيها فى فهم الحياة .

ونحن فى مصر لا نفرح إلا على نظام خاص ، ولا نحزن إلا بطريقة معينة ، كأنها مراسم وشعائر لا يجوز الإخلال بها أو الخروج عنها ، مما يجعل الفرح أو الحزن مظهرا من المظاهر الجوفاء لا تعبيرا عن عاطفة صادقة ، ومما يكلفنا فوق التزوير فى حقيقة عواطفنا تكاليف مادية ذات أثر سيئ فى حياتنا الشخصية والاجتماعية .

مفروض حين أريد تزويج ابنى أو بنتى ، أن أفرح وأن يشاركنى فى هذا الفرح كل من يشاركنى الشعور بأسبابه ، كأفراد أسرتى وأسرة أصهارى مثلا و بعض الأصدقاء المقربين.

فما الذى يدعو حينئذ إلى دعوة عدد كبير من الناس الذين لا تربطنى بهم صلة ، أقيم لهم المآدب الفاخرة ، والسرادقات الفسيحة ، والأنوار المتلألئة ، وأدعو المطربين والمطربات لإسماعهم ، وأتكلف بسبب هذا كله نفقات قد أقدر عليها فتثقل ميزانيتى ، أو لا أقدر فأقترضها وأرزح تحت عبء الدين من أجلها شهورا وسنوات ؟

ومن أعجب المظاهر أن الأثرياء والمتوسطين يظنون أن أفراحهم لا تتم إلا بدعوة "الحكام" فإن كانوا فى الريف فالمدير ووكيله والحكمدار والمأمور والقاضيان الأهلى والشرعى ورئيس النيابة ومهندس الرى ومفتش الصحة أو طبيب المركز ، وإن كانوا فى المدينة فالوزراء والمحافظ ووكلاء الوزارات وأمثالهم ، ممن لا يعرفونهم من قبل ولا تربطهم بهم رابطة قرابة ، ولكنهم يستشفعون لديهم ليحضروا بكل الشفاعات والوسائط حتى تستكمل الحفلة زينتها وتتم لها قيمتها . فكأن هؤلاء "الحكام" هم "الطقم" الذى لا بد منه لاستكمال مظاهر الفخامة والثراء وحتى تذكر الصحف فى صباح اليوم التالى أنباء الحفلة والمدعوين إليها والمطرب الذى غنى فيها ، وعلى قدر مقام هؤلاء جميعا يكون تقدير أصحاب الحفل فى أعين الناس .

وكل هذا عجيب ، فهؤلاء المدعوون الكبار الذين يذهبون فى الغالب كارهين تحت تأثير أصحابهم من الشفعاء ، يملكون فى حياتهم العادية أمثال ما يعده لهم صاحب الفرح

من طعام شهى وشراب فاخر وسماع راق، فلا جديد عليهم فى هذا الإكرام، بينما المحرومون الذى يعتبر هـذا كله جديدا عليهم وذا قيمة كبيرة فى حياتهم لا ينالون منه شيئا وكان خيرا و بركة لو أن صاحب العرس انتهزها فرصة لإطعام اجياع وكسوة العرايا وإدخال السرور على قلوب الفقراء فيلهجون بالدعاء له و يذكرونه بالحمد والشكر اللذين لا يظفر بهما غالبا من المدعوين الأغنياء والموظفين الكبار .

أو كان خيرا و بركة لو أنه وفر كثيرا مما ينفقه فى هذه المظاهر الجوفاء فقدمه هدية باقية للعروسين تنفعهما فى حياتهما ، وتكون بذرة رصيد لهما وذكرى دائمة لقرانهما .

غير أن هذا — فيما يبدو — لا يضمن الضحة والإعلان الفارغ ،وهما أقصى ما يرجوه أصحاب الأفراح، فليس المهم فى نظرهم أن يفرحوا بل المهم أن يعلنوا عن هذا الفرح وعن أنفسهم لهذه المناسبة .

ولا تقل عن نفقات ليلة الزفاف نفقات حفلة العقد فى شراء علب الحلوى التى تقاس قيمة العروسين وأهليهما بأثمانها و بمستواها ،والتى تعد مفخرة بين المعارف وغير المعارف، وتصبح حديث المجالس والسهرات .

أما "جهاز العروس" والمبالغة فيه فتلك مشكلة بلغت أقصى حدود التعقيد ، وبات "الجهاز" نذيرا بالدين الفادح والضيق الشامل لآباء الفتيات ، كما أن المهربات نذيرا للشبان وآبائهم بأبهظ النفقات !

وهـذا البذخ وذلك الإسراف لا يقتصر أثرهما على إثقال الكواهل واضطراب الميزانيات ، ولكنه يتعداهما إلى التنفير من الزواج فيخلق مشكلة اجتماعية رفع أصواتنا بالشكوى منها ، ولكننا نتهيب الإقدام على دفع سبب من أهم أسبابها .

أعرف كثيرا من الشبان لا يقف فى طريقهم دون الزواج إلا الخوف من "علب الملبس" و إلا نفقات "البوفيهات" الضخمة والسرادقات الفخمة ، وأجور المطربين والمطربات ،وذلك كله بعد المهر الباهظ الفادح الذى يبدو فى صورة غرامة حربية يفرضها عليهم آباء الفتيات !

غير أن هؤلاء الآباء معذورون من جهة أخرى لأن "الجهاز" سيكلفهم أضعاف المهور ، ونفقات العرس ستزيد على ما يقوم به "العريس" . وهؤلاء وهؤلاء ضحية واحدة لحب الظهور وضجة الإعلان والتقاليد السخيفة ،والمجتمع ضحية كذلك لهذه المظاهر الجوفاء !

على أنه إذا جاز أن تكون الأفراح مظهرا للبذخ، وفرصة للضحة ، وميدانا للإعلان — وكل هذا مستقبح مكروه — فإن وقار المآتم وجلال الموت ورزانة الحزن يجب أن تنزه عن هذا العبث الذى نراه فى المآتم والجنازات مما يدعو إلى السخرية الأليمة، ويجعلنا مسخا مشوها بين أمم العالم التى تقدر حرمة الموت وجلاله .

وإلا ففيم تنحر الذبائح ويحسب الطباخون وتمد الموائد وتوزع السجائر وتختلط مظاهر الذبح والطبخ والأكل بمظاهر الأفراح . والموت وراء ذلك كله يجلل بسواده جو الأسرة ؟

وأى ذوق إنسانى هذا الذوق الذى يجعل من ليلة الموت سبباً لإقامة وليمة ، ويخلط بين الدموع المترقرقة فى العيون واللحوم والأطعمة الهابطة فى البطون ؟

وفيم ذلك الإعلان فى الصحف والطنطنة بأسماء أقارب الميت وإرسال البطاقات السوداء لبعض الخواص دعوة للاشتراك فى تشييع الجنازة حتى لينصب أحد أقرباء المتوفى لو نسى اسمه فى الإعلان ، ويصحح هذا الخطأ الجسيم فى اليوم التالى فى الصحف التى نسيته أو أخطأت فى ضبطه . وفيم يرسم سير الموكب بحيث يمر بعدة شوارع وميادين تزدحم عادة بالمارة والمقاهى كميدان الأوبرا وشارع سليمان باشا حين لا تكون الطريق الطبيعية من البيت إلى المدفن مارة بهذه الشوارع ؟

وفيم السرادقات الفسيحة والكراسى المذهبة والمصابيح الكبيرة والمقرئ الشهير والمقرئون يشنفون آذان المعزين ويحسبونهم إن لم يكن للعزاء فلسماع ولصيت بعد ذلك والسمعة ؟ .

ثم فيم إعلانات الشكر للمعزين وهى تكاد لا تخلو من عبارة " ونخص بالذكر حضرات أصحاب الدولة والمعالى فلان وفلان .. " إلى آخر هذه الصيغة المحفوظة ؟ فيم هذا كله إن لم يكن الظهور والإعلان هما كل قصدنا من المآتم ، وهما اللذان نتكلف فى سبيلهما ما نتكلف من باهظ النفقات علاوة على مجانبة الذوق الإنسانى فى المحافظة على وقار الموت وجلال الفجيعة ؟

لقد أصبح للوزراء والعظماء " طقم " فى تشييع الجنازات كطقم حملة القماقم وسواهم ممن يمشون فى مواكب الموتى ، وهؤلاء وهؤلاء جيء بهم للإعلان واستخدموا لغرض واحد لا يليق بالموت الموقور .

لقد آن لنا أن ندرك اعتداءنا على الذوق السليم فى هذه المظاهر المخجلة فى الأفراح والمآتم على السواء . فلسنا تجاراً ننتهز الفرصة — ولو كانت فرصة الموت — للإعلان عن أنفسنا . ولسنا مهرجين نعرض أعمالنا على الجماهير فنزور فى عواطفنا الطبيعية التى يجب أن تظهر جميلة فى صدقها وبساطتها .

وهناك بعض من الرجال وأولئك الذين يعقدون القران ويزفون العروس إلى عروسها فى حفل قاصر على أفراد الأسرتين وأصدقائهما ، وفى أولئك الذين يكتفون بالعزاء فى المدافن . ولكن حتى هؤلاء وهؤلاء لا يزالون فى حاجة إلى استكمال هذا الذوق الجميل بترك الإعلان . ولعل فيهم قدوة لنا جميعاً ، ولعلنا نثوب إلى صدق الطبيعة وبساطتها الجميلة ما

على جمال الدين

الطفولة المهملة

بذرة المجتمع المريض

بقلم حضرة صاحب السعادة عبدالسلام الشاذلى باشا

لست أعنى بالطفولة المهملة تلك الطفولة المشردة التى نراها فى الطرقات والأزقة وأمام الجوامع وعلى سلم الترام ، أشباحا ناحلة هزيلة ممتقعة اللون شعثاء غبراء ترتدى الأسمال البالية وتنظر بتلك العيون الغائرة يعلوها الذباب والصديد، وهى تمد إلينا أيديها للشحاذة أو للنشل عند الفرصة السانحة !

لست أعنى تلك الطفولة ، فهى لا تحتاج إلى التنبيه ، ومنظرها وحده أبلغ من كل كاتب وكل خطيب ، وبقاؤها هكذا — ولو لم ينبه قلم واحد إليها — شاهد على إهمال المجتمع فى حق نفسه وحق الإنسانية .

إنما أعنى بالطفولة المهملة الطفولة المصرية كلها ، حتى التى تسكن القصور وتذهب إلى المدرسة وتلبس أفخر الملابس وتأكل أدسم الأطعمة وتستمتع بشتى المتاع . وليس المتشردون وحدهم من الأطفال هم المهملون ، فالواقع أن كل طفل فى مصر يعد مهملا . والإهمال صنوف ودرجات :

فالطفل المدلل الذى تجاب كل رغبته ، وتسهل أمامه كل العقبات فلا يجهد نفسه فى تذليل عقبة واحدة ، ولا يحس أن الحياة تطالبه بالعمل وأن المجتمع يطالبه بالإنتاج ، لأن أبويه وفرا له كل ضرورى وكل كمالى وعاشا تحت رحمة رغائبه وشهواته وعوداه النعومة والميوعة والدلال . . .

هذا الطفل مهمل بكل تأكيد أشد من إهمال الطفل المحروم الذى قست عليه الحياة وعضه الشظف وجرعته الأحداث كؤوس الحرمان ، فربما كان فى هذا فضيلة نفسية أو وراثة كامنة تثيرها المحن ويذكيها الحرمان ، فيغدو عضوا نافعا فى الحياة بعد التغلب على العقبات . أما ذلك الطفل المدلل الرقيق المزاج ، المائع الأخلاق ، فسينشأ رجلا مريضا مستهترا لا يعرف للمجتمع عليه حقا ، بل يطلب من الجميع أن يكونوا مذين لرغباته محققين لشهواته، وإلا برم وسخط وانقلب عابثا يشقى به أهله ويشقى به المجتمع . وتلك علة كثيرين من الأطفال ولا سيما فى أوساط الأغنياء !

والطفل المتروك للخدم يحيا معهم معظم أوقاته لأن أمه مشغولة بالسهرات والحفلات والاستقبالات والأزياء والزينة، ووالده مشغول بالعمل فى الديوان أو السهر مع الإخوان... هو طفل مهمل بكل تأكيد كزميله المتروك لرفاق الطريق وزملاء السوء . فالأول — وهو فى الغالب من أبناء السراة — سيقبس أخلاقه وألفاظه وطباعه من أولئك الذين يعيش معهم معظم حياته : من الخدم الذين نعرف جميعا مستوى أخلاقهم ونسمع كثيرا من قاموسهم اللفظى، فنحن صائرون فى العد بسبب هؤلاء الأطفال المهملين إلى أن نكون سادة ولكن فى أخلاق السوقة ، و إلى أن نكون رؤساء وحكاماً تربوا فى أحضان الخدم أو من هم فى حكمهم من المربيات . و إذا ظلت الحال كذلك فسنستقبل جيلا بائسا منحط الطباع والألفاظ . فأبناء السراة وأبناء السوقة سيكونون سواء لأن المشرفين على تربيتهم جميعا فى الطفولة هم الخدم فى بيوت الأغنياء ورفاق السوء فى بيوت الفقراء !

والطفل الذى يولد من أبوين أحدهما أو كلاهما مريض، هو طفل مهمل لحقه الإهمال قبل أن يجىء إلى هـذه الحياة ، وورثه وهو جنين فى ظلام الغيب ، ومهما تكن التربيـة أو الملاحظة فى المستقبل فلن تنجيـه من لعنة الوراثة ، ولن تعفيه من الضريبة الفادحة التى يؤديها عن أبوين مجرمين قذفا به إلى هـذا العالم معدّا للمرض والإجرام والتشرد ... وأخيرا للسجن أو الموت بعد العذاب والآلام .

ونسبة هؤلاء الأطفال نسبة مروعة لأننا نسىء فهم الحرية حتى نخلط بينها و بين الفوضى ، وتأبى لنا الرحمـة والبر بالآباء والأمهات أن نمنعهم من الزواج والتناسل و إيلام الألوف من الأطفال الابرياء .

والطفل الذى ينفصل أبواه بالطلاق أو بغيره أو يشاركه فى الأبوة أطفال من زوجة أخرى ، أو يعيش بين أبوين يسودهما جو من الشقاق والنزاع ، هو طفل مهمل بلا شك حتى لو توفرت له كل الرغائب المـادية فى الحياة، لأنه سينشأ محروما من الرعاية العائلية ومن الحنان الأبوى أو الأمومى ، ومن جو الصداقة الذى يغرس فى نفسه حب المجتمع و ينشئه رجلا عطوفا بارا بأهله وقومه ووطنه، أو امرأة رحيمة كاملة تنشئ أسرة سعيدة. إنه سينشأ مشبع النفس بالحقد وحب النزاع وشراسة الطباع وكراهة المجتمع، لأنه لقن هذا كله فى لبيئة المشوشة التى نشأ فيها وانطبعت آثارها فى نفسـه وأخلاقه وطريقة فهمه للحياة وللعلاقات بين الناس .

والطفل الذى لا نعنى بتغذيته الغـذاء المناسب سواء بالافراط أو التفريط ، هو طفل مهمَل ، لأنه سينشأ مريضا بأمراض التغذية الناقصة أو التغـذية المفرطة وكلاهما وخيم العاقبـة ، وقد ثبت أن للغذاء أثرا فى التفكير والأخلاق وفى تكوين الشخصية لمـا له من العلاقة بالجسم و بالغدد التى تهيئ مصير الطفل والرجل أو المرأة .

وتسعة وتسعون فى المـائة من أطفالنا يتعرضون لهذا النوع من الإهمال ، ويشاركهم الكبار فى هذا ، لأننا جميعا — حتى المثقفين — لم ندرس شيئا عن التغذية الصحية ، والهيئات الطبية ذاتها لم تعن بالتخصص فى دراسة الأمراض الغذائية والأطعمة الصحية ، فأغنياؤنا وفقراؤنا على السواء لا يعرفون كيف يختارون طعامهم ، وسنبقى كذلك ما لم تصبح شؤون التغذية مادة أساسية فى بعض مراحل الدراسة .

والطفل الذى لا تراعى ميوله الوراثية واستعداداته الطبيعية فى توجيهه إلى الدراسة وإلى الحرفة هو طفل مهمَل شقى بدراسته وبحرفته ، ونحن لا نلقى بالنا إلى شىء من هذا ، فالوالد يختار لابنه نوع الدراسة التى تؤهل لمستقبل مضمون ، بغض النظر عن ميوله واستعداداته الذاتية ، والمدرسة تتلقى هذا الطفل فتسلكه فى عداد تلاميذها كيفما اتفق ، وتسوقه سوقا مع الآخرين غير مفكرة فى حقيقة اتجاهه الطبيعى . . . يصنع الوالد هذا لأنه فى الغالب جاهل بكل دراسة نفسية ولو كان متعلما ، وتصنعه المدرسـة لأنها جاهلة كذلك ، ولأنها مثقلة الكواهل بالنظم المدرسية العتيقة وبالعلوم المزدحمة فى البرنامج وبالامتحان ونتائج الامتحان ، ولأنها يائسة متبرمة ساخطة بسبب الغبن فى الرزق والتقدير الذى ينصب على النظار والمدرسين منشئى الجيل .

ومعظم أطفالنا يتعلمون مواد ليس لديهم أى استعداد لتعلمها ، ويحترفون حرفا بعـد تخرجهم لا تؤهلهم طبائعهم لها ، وهم يشقون بذلك التعلم وبهذه الحرف ، ويخفقون أو يخيبون ، ونحن المسئولون عن شقائهم وعن إخفاقهم وخيبتهم ، لأننـا نسوقهم سوقا كأنهم آلات فى الحياة .

والطفل الذى ننسى طفولته فى البيت والمدرسة ، لأننا نريد إنضاجه قبـل الأوان ، فلا نلقى بالنا إلى طفولته ، ولا إلى طريقة تفكيره فى هذه الطفولة ، وإنما نجعل همنا كله أن نصب المعلومات فى ذهنه صبا بطريقتنا نحن وعقليتنا نحن ، فإن لم تكفنا ساعات الدراسة عمدنا إلى الواجبات المنزلية نكظ بها وقت التلميذ كظا ، ونوصى أولياء الأمور أن يلاحظوا تأدية أبنائهم لهذه الواجبات !

هذا الطفل مهمل أشد الاهمال ، ترتفع درجات إهماله كلما ارتفعت درجات العناية بإنضاجه قبل الأوان ، ومخاطبته ومعاملته على أسلوب الكبار ، وكل برنامج مدرسى يقتضى من الطفل جهدا خاصا بعد مبارحة المدرسة هو برنامج فاشل فى حاجة إلى النظر والتعديل .

والطفل الذى لم يعن البيت ولم تعن المدرسة بتقوية شخصيته وإبرازها واستخدام قواه الكامنة جميعها وتدريبه على الحياة الاجتماعيـة والتعاون مع المجتمع ، ولم توجه عناية خاصة لتقوية أخلاقه وإنمـاء فضائله وتربية ذوقه — هو طفل مهمَل سيخيب فى حياته ويصطدم بالمجتمع الذى لم يمرن على التعاون معه .

ونحن فى البيت وفى المدرسة لا نعنى بشىء من هـذا كله ، فالبيت مشغول بشئونه عن الزهرة نابتة فى أحضانه ، والوالدان لا يعنيان بشخصية طفلهما وأخلاقه بعض عنايتهما بطعامه ولباسه . أما المدرسة فهى مكان لصب القوالب لا للتربية ولا لملاحظة الشخصية ولا للتدريب الاجتماعى والتهذيب الخلق ، لأنها مشغولة عن ذلك بالامتحان وحشو المعلومات ، وليس لها من الحماسة للعمل ما يجب لمهمتها الخطيرة .

والطفل الذى لا يجد مكتبة أطفال تخاطبه بلغته وتمشى مع تفكيره وترمى إلى تسليته وتنشيطه وإشاعة البهجة والمرح فى حياته قبل أن ترمى إلى تلقينه المعلومات الجافة ، ولا يجد كذلك حدائق الأطفال المجهزة بأدوات اللعب المناسبة لعقليته الصغيرة ، ولا يجد المدرس أو المشرف الذى يرعاه فى مكتبته و يوجه خطواته برفق وعطف وحكمة ، والوالدة أو المشرفة التى ترافقه فى حديقته المعدة لألعابه — هو طفل مهمل ، لأن طفولته تكبح فلا تجد المجال صالحا لنموها ، وتهدر فلا تعيش فى الجو الطلق المرح الذى يغذيها .

ونحن إلى هـذه الساعة لم نؤلف مكتبة للاطفال ، ولم ننشئ حديقة خاصة بهم ، ولم نخصص للطفولة أياما أو أسابيع فى الحدائق العامة نبيحها لهم ونشجعهم على غشيانها بالتشويق والهدايا والألعاب ، ولم نفطن إلى أن الساعة التى يقضيها الطفل فى مكتبته أو فى حديقته أحدى ألف مرة من التى يقضيها فى حجرة الدرس و لاستذكار ، لأن المكتبة تغريه بالاطلاع الحر وتنمى فيه الرغبة فى المعرفة والمثابرة على القراءة ، تلك الخاصة المفقودة التى تقف دون رقينا الفكرى فى مستقبل الأيام . ولأن الحديقة تفتح جوانب إحساسه وتصقل ذوقه وتربى خلقه من حيث لا يشعر .

ونحن إذا حاولنا مرة أن نقدم للطفل قصة اتجه همنا إلى إبراز " المغزى " وخصصنا له مكانا فى نهايتها وسقناها بأسلوب جاف كأسلوب الوعظ يكثر الطفل فيها . فى حين أن قصة الطفل يجب أن يكون مغزاها هو اللذة والنشاط وتنمية الخيال .

* * *

هذا الإهمال الذى عددت بعض مظاهره منشؤه أننا لا نحسب حسابا لمرحلة الطفولة الخطيرة ، ولا نقدر أنها المرحلة الحاسمة فى بناء الشخصية وتكوين الأخلاق والعادات ، والرصيد الذى ينفقون منه مدى الحياة ، وأن كل عناية وكل إصلاح بعد هـذه المرحلة إنما هو طلاء جميل فوق بناء مختل . ومن أعجب الأشياء أننا نؤجل كل عناية وكل تربية ريثما تنتهى هذه المرحله ، ونتوهم أن هذه الفترة لا تصلح للتهذيب والتوجيه ، ثم نأخذ فى هدا بعد فوات الأوان !

ليس للدولة ولا للمجتمع ولا للأسرة سياسة مرسومة للطفولة، وليس للتشريع ولا للتعليم وجهة نظر خاصة يسعى لتحقيقها ، أو هدف معين يرمى إليه ؛ والطفولة فى نظر الجميع فترة انتظار وهى فى حقيقتها فترة تكوين .

نحن لا نعرف ماذا نريد من أطفالنا ، ولم نرسم صورة واضحة لأغراضنا من تربيتهم ، لأننا لم نرسم صورة واضحة للمجتمع الذى نريده ، ولا للمستقبل الذى ننتظره ؛ فكل شىء فى طفولتنا وفى مجتمعنا وفى مدارسنا يسير حيثما اتفق ، وكل شىء ينبت كما تنبت الحشائش الشيطانية فى الحقول ، بلا سبب ولا غاية ولا وجهة مقصودة ولا هدف مرسوم .

فنحن إذن — دولة ومجتمعا — مسئولون عن كل طفل يخيب فى حياته أو يخفق أو يشقى ، لأننا لم نعن به ولم نفحص عن قواه واتجاهاته ، ولم نوجهه الوجهة التى يفلح فيها ويسعد . ونحن مسئولون كذلك عن هذا المجتمع الذى يخبط فى كل اتجاه ، ويشيع فيه السخط والشقاء والانحراف والتفكك ، لأن بذوره فى الطفولة نشأت بدون رعاية ولا حماية ولا توجيه ولا صيانة .

وقد فطنت شعوب الدنيا الراقية إلى خطورة المرحلة الأولى من حياة الأفراد فوجهت إليها أكبر قسط من الاهتمام ، وقام علماء النفس وعلماء التربية وعلماء الطب والتغذية والحكومات والهيئات بكل جهد واجب لدراسة هذه المرحلة ثم الانتفاع بهذه الدراسة فى جميع فروعها .

وها هى ذى الحرب تذهل الحكومات والهيئات عن كل شىء ولكنها لا تذهلها عن الأطفال وحماية الأطفال . فانجلترا فى صراعها الرهيب الجبار تشغلها مشكلة ترحيل الأطفال إلى المناطق المأمونة ، وفرنسا فى محنتها القاسية الأليمة لا يعنيها فى شئون الأمومة أكثر من غذاء الأطفال ودواء الأطفال ، وجمعيات الصليب الأحمر فى كل مكان وجه همها إلى انقاذ الطفولة من الموت والجوع والمرض فى هذا الصراع .

ولا أريد أن أضرب الأمثال بأمم شمال التى تمنح الآن كل طفل عناية فردية شخصية وتتيح له فرصة لإظهار مواهبه وتنمية شخصيته مهما كان نوعها ، وتهيئ لوسط الصناع له شخصيا مهما كان شاذا أو مريضا أو ضعيف الادراك والحواس ، ذلك أنها تحسب كل طفل جزءا من الثروة القومية تمنحه من الاهتمام والعناية ما تمنحه لتقدير ميزانيتها العامة ومسائلها الكبرى فى الداخل والخارج .

نعم لا أريد أن أضرب المثل بهذه الأمم ، وإلا كنت مغاليا فى الطمع مشتطا فى الخيال . فالأمة المصرية التى يتشرد أبناؤها وبناتها فى الطرقات جياعا عرايا معرضين لأشد النكبات

فى أخلاقهم وأعراضهم دون أن تتسع الملاجئ والمشاغل فيها لإيوائهم ، والأمة المصرية التى تقذف إصلاحيات الاحداث بن كن فيها من الفتيات وهن فى سن الثامنة عشرة سن الفتنة والطيش والإغراء ثم لا يجدن لهن جماعة نسوية تضمهن اليها وتراعيهن وتهيئ لهن المستقبل وتحفظهن من السقوط فى سن السقوط ؛ والأمة المصرية التى يعيش أربعة أخماسها فى مقابر ومغاور تسمى بيوت الأرياف ، والأمة المصرية التى يصاب سبعون فى المائة من أبنائها بالأمراض المتوطنة ، والأمة المصرية التى يخط متوسط الدخل الفردى فيها إلى عشرة جنيهات فى العام ، والأمة التى يعارض ملاكها معارضة شديدة فى حماية زراعها من الحجز على جزء من المحصول يساوى قوتهم السنوى وعلى أدوات الزراعة الضرورية وفاء لإيجار الأطيان هذه الأمة لا تقاس بأمم الشمال فيما تطلبه لأطفالها من رعاية وحماية وترفيه ؛ وإن يكن ذلك من حقها فى القرن العشرين لجماعة من الأنامى لها حقوق الآدميين !

وإنما نريد أن نسير خطوة خطوة . نريد أن ترسم الدولة سياسة معينة للطفولة تظهر آثارها فى القوانين فتمنع التزاوج بالمرضى بأمراض وراثية لتكفل للطفل الصحة قبل قدومه إلى هذا العالم (وهى ماضية فى هذا الطريق) . وتسن من القوانين للأسرة ما يضمن ثباتها ويقيها الهزات التى تقوضها وتشقى الأطفال بلا ذنب ولا جريرة . وتفرض العقوبات على الأولياء الذين يهملون تربية أطفالهم ورعاية أخلاقهم ، والذين يعرضونهم للتسول أو الفساد . أما إذا ثبت عجزهم عن الانفاق أو قصورهم عن الرعاية فتتولى الدولة كفالتهم وتربيتهم فى منشآت خاصة .

وتظهر آثارها فى المنشآت الاجتماعية والصحية ، كمراكز رعاية الطفل والمستشفيات الخاصة بالأمومة والطفولة ، بحيث تجد كل أم وكل طفل مكانا للرعاية والاستشفاء ، وقدرا من الغذاء والدواء ، وجماعات النسوية تستطيع الكثير فى هذا السبيل ، وتستطيع أن تضمن للأطفال الذين حرموا عطف ولاتهم بالطلاق أو الموت أو العمل ، عوضا من العطف المفقود والتربية القويمة ، على أن يكون القانون فى عون هذه الجمعيات والمنشآت .

وتظهر آثارها فى تغذية الأطفال ، فتوفر لهم المواد الأساسية كاللبن والبيض والفاكهة وتتولى الدولة والمنشآت الاجتماعية والهيئات الخيرية تمكين كل طفل فى البلاد من نيل نصيبه من هذه المواد الغذائية ، بنشر الدعوى الصحية عن تغذية الأطفال ، وبمباشرة تغذيتهم بكوب من اللبن مثلا وقليل من الفاكهة عن طريق السيارات المتنقلة والمراكز الثابتة ، فقد ثبت أن هذا الغذاء القليل من اللبن والفاكهة يقيهم كثيرا من الأمراض ، ويوفر نفقات العلاج فى المستشفيات ، وإنه لخير لمركز رعاية الطفل أو للمستشفى أن يتلقى الطفل ليناوله كوبا من اللبن ، من أن يتلقاه ليناوله زجاجة من الدواء .

وتظهر آثار هـذه السياسة المرسومة فى المدرسـة ، فتعنى بميول الأطفـال وأستعدادهم الذاتى وتوجههم الدراسة التى تليق بهذا الاستعداد . ولن يكون ذلك حتى تعنى المدرسة من ضغط النظم الإدارية ومن ضغط التكدس فى عدد التلاميذ بالفصول وعدد المواد فى المناهج ، وحتى تشفى من لعنة العقلية الامتحانية التى تحسب العلم حشوا فى الأدمغة لا ثقافة فى العقول ، وحتى توفر لها الكرامة المعنوية والإنصاف المـادى والرقى العلمى .

وحينئذ ينفسح أمامها المجال لدراسة نفسية كل طفل وعقليته دراسة فردية شخصية ، وتستطيع أن تعامل الأطفال كزهرات صغيرة فى حاجة إلى الرعاية ، فلا تسرق طفولتهـم ولا تحاول إنضاجهم قبل الأوان .

وحينئذ تستطيع المدرسة أن تعنى بتقوية شخصية التلميذ وتنمية الفضائل الشخصية والاجتماعية فى نفسه ، وتجد فى أوقات الفراغ متسعا لتربية ذوقه وتدريبـه على التعاون مع الزملاء وإعطائه فكرة عن الحياة فى المجتمع قبل أن يواجهه .

وحينئذ تنبت قصص الأطفال ومكتبة الأطفال وحديقـة الأطفال على أساس استثارة الغرائز وتنشيط الخيال وإحداث المتعة والسرور ، لا على أساس الوعظ الجاف والمنزى المتكلف .

* * *

يجب أن تكون للدولة سياسة مرسومة للطفولة يتعاون فى رسمها إخصائيون فى الطب والتربية والصناعة والاقتصاد والتشريع ، سياسـة تبدأ قبل أن يبرز الطفل إلى عالم الوجود وتلاحقه حتى سن الرشد فى كل مكان يذهب إليه خلال إحدى وعشرين سنة . وأحسب أن رسم هذه السياسة هو العمل الذى ينقذنا من لعنة المجتمع المريض .

ولكن الدولة لا تستطيع أن تضمن لسياستها النجاح ما لم تجـد من المجتمع بصفة عامة ومن الهيئات بصفة خاصة عناية بهذه المرحلة الخطيرة . فكل فرد مثقف وكل جماعة منظمة عليها واجب للضمير والمجتمع والوطن فى رعاية الطفولة والحض على رعايتها .

وتستطيع وزارتا الشئون الاجتماعية والمعارف أن تنظما حملة واسعة النطاق فى سبيل الطفولة . ولكن بعد أن تكون الدولة كلها قد رسمت سياستها ، وحددتها بالقوانين والبرامج فتسير الخطوات جميعا فى تناسق وتوافق وانسجام .

عبد السلام الشاذلى

فى سبيل مكافحة الحفاء

عرض عام للمشروع

وبيان لأعمال لجنته المركزية

لحضرة صاحب السعادة محمد عبد الخالق حسونه بك

وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية

اقتضت الارادة الملكية السامية أن تجعل من مكافحة الحفاء فتحا مباركا فى سبيل رفع مستوى الشعب المصرى وجهدا جديدا يضاف الى الجهود التى ترمى الى صون كرامته بين الشعوب ، فكان لزاما أن يتعاون الشعب مع الحكومة على تدبير الوسائل لتحقيق هذه الرغبة الكريمة بما يكفل للمشروع الدوام والانتشار فى كافة أرجاء البلاد .

لهذا استصدر حضرة صاحب الدولة حسين سرى باشا رئيس مجلس الوزراء قرارا من المجلس بتشكيل لجنة مركزية لتدرس هذا الموضوع وتتعهده على مر الزمن وتراقب تنفيذه فى الجهات بالاتصال مع السلطات المحلية و بالتعاون مع مجالس المديريات والمجالس البلدية .

ولقد قامت اللجنة بدراسة هذا الموضوع من جميع نواحيه . وانه ليسرنى أن أقدم بيانا ملخصا عن الأسس والقواعد التى سارت عليها اللجنة فى وضع مشروعها لمكافحة الحفاء بين الطبقات الفقيرة فى البلاد .

لم يكن رائد اللجنة أثناء دراستها للموضوع الحرص على المظهر القومى فحسب ، بل الرغبة فى المحافظة على صحة الطبقات الفقيرة العاملة مما يداهمها من علل وأمراض بسبب الحفاء . فقد تبين للجنة أن الحفاء يكاد يكون الطريق العادى لعدوى الانكلستوما فى البلاد ، وأن أى لباس للقدم يحول بينه وبين تربة الأرض له أثر كبير فى مقاومة عدوى هذا المرض الذى يفتك بنحو ٥٠٪ من المصريين ويسبب لهم المرض المشهور "بفقر الدم المصرى" الناشئ من وجود طفيليات فى أمعاء هؤلاء المصابين تسلبهم غذاءهم وتنهك قواهم . فاذ أمكننا اتقاء هذه العدوى بتزويد الأفراد بالأحذية ، فإن الغذاء الحالى يصبح فى كثير من الحالات كافيا لاحتفاظهم بحيويتهم كاملة .

وقد استعرضت اللجنة حالة الصناعة فى الظروف الاستثنائية الحالية وتعذر استيراد الخامات ومواد الدباغة من الخارج ، وما يتكلفه المشروع من نفقات قرأت ، لضمان استمراره ، وخاصة

من الوجهة المالية ، أن توصى بالسير بالمشروع فى شىء من التدرج ، وأن نكون فى سيرنا به أدنى الى التمهل والاتئاد منا الى المبالغة والاندفاع ، وأن نتدرج به فى خطوات ثابتة ، نحو تعميم المشروع على جميع الطبقات العاملة الفقيرة .

فلهذه الاعتبارات لم تر اللجنة بدا ، للتوفيق بين العوامل السالفة الذكر ، من التوصية على تنفيذ المشروع فى بدايته فى نطاق محدود ، وذلك بتحديد الجهات التى يعمها ، وكذلك بتحديد الأشخاص الذين يكون لهم حق الأولوية فى لبس الحذاء من غيرهم .

ولقد استرعت حالة تلاميذ التعليم الإلزامى انتباه اللجنة ، إذ اتضح من البيانات التى عرضت عليها أن الأطفال أكثر استهدافا لعدوى الانكستوما من البالغين ، فضلا على أنها تؤثر فيهم تأثيرا سيئا ، وتعيق نموهم البدنى والعقلى . كما تبين من الإحصائيات التى استعرضتها اللجنة فى هذا الشأن ، أن عدد تلاميذ التعليم الالزامى فى القطر كله يبلغ حوالى المليون ، وأن الحفاء منتشر بينهم بنسبة ٩٠ ٪ تقريبا فى المديريات ، وبنسبة ١٠ ٪ تقريبا فى المحافظات .

لذلك آثرت اللجنة باهتمامها هؤلاء الأطفال فأوصت بوضعهم فى مقدمة الفئات التى لها حق الأولوية فى لبس الحذاء لأنهم فى أمس الحاجة إلى العناية بأمرهم ، فضلا عن سهولة تعويدهم لبس الأحذية وهم فى هذه السن المبكرة .

وقد راعت اللجنة فى اختيار نماذج الأحذية المناسبة للمشروع أن تكون مصنوعة من خامات مصرية وأن يكون نوع الحذاء الذى يستعمل فى المدن غير النوع الذى يستعمل فى الريف . لهذا أوصت اللجنة بنوع " الصندل " العادى للمدن ، لرخص ثمنه وحفظه المظهر اللائق بسكانها وأدائه الغرض المطلوب .

أما القرى فقد اختارت لها اللجنة نوع النعل (الخدوة) إذ تبين أن هذا النوع كاف لوقاية الأقدام من الحصى وقطع الطين المتجمدة التى قد تؤذى الأقدام أثناء السير ، كما أنه كاف للوقاية من عدوى الانكستوما فضلا على أنه لا يحصر أصابع القدم فلا يعيق لابسه عن أعماله الزراعية ، ويترك فى الوقت نفسه باطن جلد القدم سميكا يقاوم التأثيرات المختلفة عند العمل فى الغيط . أما فى الأراضى الرطبة ، فقد رأت اللجنة أن الضرورة تقضى بأن يكون العامل حافى القدمين ، لأنه من المتعذر عليه عمليا أن يعمل فى الأراضى الزراعية المروية حديثا وهو محتذ أى نوع من أنواع الأحذية ، هذا فضلا على أنه قد ثبت من الخبرة الطويلة فى البلاد الأخرى ، المشابهة لمصر ، أن عدوى الأنكلستوما فى الحقول تكاد تكون معدومة .

وقد رأت اللجنة ، فيما يختص بإنتاج الأحذية ، أن يبدأ المشروع للاعتبارات السالفة الذكر على أساس تزويد ٦٠٠ ألف شخص بالأحذية مرتين فى السنة ، وعلى أن ينهض

المشروع فى بدايته على أساس الصناعة اليدوية غير المركزة حتى يدر الرزق على كثير من الصناع والعمال ، وأن يعرض المشروع فى الأسواق المحلية فى مناقصة عامة ، على صفقات صغيرة تتراوح بين ٥٠٠ و ٥٠٠٠ زوج حذاء ، توزع فى جميع أنحاء القطر حتى يتسنى لصغار الصناع والتجار أن يساهموا فى المشروع .

ولم يفت اللجنة فى هـذا الشأن أن تبحث مسألة إنشاء مصنع مركزى لتموين المشروع بالأحذية اللازمة له ، وذلك بغية تخفيض تكاليف الإنتاج ، لأنه متى تدرج المشروع وكثر الإقبال على لبس الأحذية فسيزيد الطلب عليها بطبيعة الحال ، مما يستلزم وجود مؤسسة للإنتاج الوفير ، تسد حاجة البلاد . إلا أن اللجنة رأت إرجاء النظر فى هـذا الموضوع ، فى الوقت الحاضر ، إلى أن تتحسن الظروف الدولية القائمة ، و إلى أن تظهر لنا التجارب ما يسفر عنه المشروع الحالى فى خطواته الأولى .

ولضمان استمرار المشروع وضعت اللجنة نصب عينيها أن يتولد من التبرعات الحالية عمل منظم يؤدى إلى معالجة الحفاء تدريجيا ، فاستعرضت الوسائل التى يمكن بها تمويل المشروع بصفة دائمة . وقد أحيل هذا الاقتراح إلى وزارة المالية للقيام بدراسته لاستنباط المبالغ اللازمة لاستمرار المشروع .

وقد عنيت اللجنة بمسألة توزيع الأحذية ، فأوصت بأن يخصص ٢٠ ٪ منها للفقراء والمعدمين فى جميع أنحاء البلاد مجانا . وأما الـ ٨٠ ٪ الباقية ، فرأت اللجنة توزيعها بثمن رخيص جدا ، وذلك للتيسير على الطبقات الفقيرة عند الرغبة فى الحصول عليها والإقبال على شرائها من تلقاء أنفسهم ، والاحتفاظ بها إذا دفعوا أثمانها ، على أن يتحمل المشروع الفرق بين ثمن البيع وتكاليف الإنتاج بنسبة الثلث تقريبا .

ومن المسائل التى أولتها اللجنة أكبر نصيب من العناية والاهتمام ، مسألة مكافحة الحفاء عن غير طريق المشروع . فقد تبين لها أن بعضا من عمال الحكومة والمجالس النيابية المحلية يزاولون أعمالهم وهم حفاة الأقدام ، فأوصت فى تقريرها بأن تتكفل هـذه الهيئات بتزويد عمالها بأحذية مناسبة لهم .

كما درست مسألة عمال بعض المصانع التى ينطبق عليها قانون المحلات الخطرة والمقلقة للراحة والمضرة بالصحة ، فأوصت بإلزام أصحاب هذه المصانع بتزويد عمالهم بأحذية أثناء العمل ، استنادا إلى القانون المذكور ، باعتبار أن هذا الاستعمال ضرورى للمحافظة على صحة العمال .

ومن المسائل التى تناولتها اللجنة بالبحث مسألة سن تشريع لإلزام الحفاة بالانتعال ، ولكنها رأت إرجاء النظر فى هذا الموضوع فى الوقت الحاضر إلى أن تتحسن ظروف الإنتاج لاسيما وأن المشروع المقترح ينطوى على توفير أحذية للشعب و بيعها له بثمن رخيص ، وهذا كفيل بترغيب الحفاة فى اقتناء الأحذية والإقبال على لبسها من تلقاء أنفسهم .

هذا عرض موجز للقواعد التى سارت عليها اللجنة فى مقترحاتها والتى تفضل مجلس الوزراء بالموافقة عليها أخيرا لتنفيذ المشروع .

وقد قامت اللجنة بعد ذلك باعداد الوسائل اللازمة لإخراج المشروع الى حيز التنفيذ بأسرع مايستطاع ، فأعدت كشوفا تفصيلية لتوزيع الـ ٦٠٠ ألف حذاء التى قررها المشروع على المحافظات والمديريات ، بينت فيها ما يخص كلا من الفئات التى شملها المشروع ، فخص المحافظات منها ٥٧٩٠٠ كلها من نوع الصندل المخصص للمدن .

وخص مديريات الوجه البحرى ٣٠٢٦٠٠ منها ٨١٨٠٠ صندل للبنادر والمراكز والباقى وقدره ٢٢٠٨٠٠ من نوع النعل للقرى .

وخص مديريات الوجه القبلى ٢٣٩٥٠٠ منها ٦٣٢٠٠ صندل للبنادر والمراكز والباقى وقدره ١٧٦٣٠٠ من نوع النعل للقرى .

وقد خصص من هذه الأحذية ٤٨٠ ألف لتوزيعها بالثمن الرخيص ، منها ٤٣٠ ألف لتلاميذ التعليم الإلزامى . أما الباقى وقدره ٥٠ ألف فللأشخاص الذين يحصلون على رخص لمزاولة عمل أو حرفة ، على أن يكون للطوائف الآتية حق الأولية وهى :

الباعة المتجولة ، باعة الجرائد ، عربجية النقل ، الشيالون ، الحمالون ، مساحو الأحذية ، الحمارة ، الفلايكية ، السقاءون ، صيادو الأسماك ، صيادو للطيور ، منادو السيارات ، ومن شابه ذلك .

أما ما يبقى من أحذية المشروع وقدره ١٣٠ ألف فقد خصصت للفقراء والمعدمين فى جميع أنحاء القطر ووزعت حسب نسبة عدد السكان فى كل منها بالتقريب . فخص المحافظات ١٧١٠٠ والوجه البحرى ٥٤١٠٠ والوجه القبلى ٤٨٨٠٠

ولم يفت اللجنة بحث مسألة مقاسات الأحذية لتكون مناسبة بقدر الإمكان لأقدام لابسيها من الفئات السالفة الذكر فأعدت كشوفا خاصة بذلك مستعينة بأعمار تلاميذ التعليم الإلزامى ونسبة مئوية لكل سن قياسا إلى مجموع عددهم .

ولقد قامت اللجنة بإعداد المواصفات الفنية ورسم الإجراءات اللازمة وطرحت أحذية المشروع فى مناقصة عامة فى جميع أنحاء القطر وقد فتح مظاريفها منذ أيام .

هذه خلاصة موجزة لما قامت به اللجنة العامة لمشروع مكافحة الحفاء ، ولا ريب فى أن تحقيقه على الوجه الأكمل يتوقف على ما يبذله الجمهور من رغبة صادقة وعزم أكيد فى إنجاحه والعمل على معالجة هذه العيوب الاجتماعية التى تعانيها الطبقات الفقيرة حتى نجنبها ما يتتابها من أضرار صحية وأدبية بسببها ومن بينها مشكلة الحفاء ، تلك الظاهرة الكريهة التى اقتضت الإرادة السامية التنبيه إلى مكافحتها ما

محمد عبد الخالق حسونه

حاجتنا إلى أهداف قومية

بقلم الدكتور ابراهيم مدكور
الأستاذ بكلية الآداب وعضو مجلس الشيوخ

ليس شيء أعون للسائر من أن يجد فى طريقه بعض المعالم التى ترشده ، والنصب والإشارات التى تعينه على تبين الغرض الذى يسعى إليه ، لا سيما إذا كان الطريق جديدا لا عهد له به ، أو كان ملتويا متعدد العطفات والمنعرجات. ولا نزاع فى أن طرق الإصلاح شائكة ومملوءة بالصعاب ، تتنوع فيها الميول وتتباين النزعات ، وكلما وضحنا معالمها وحددنا غاياتها كنا اقدر على اجتيازها وتخطى عقباتها .

ومن أخص خصائص مدنيتنا الحاضرة تشعب مناحيها وتعقد أطرافها ، حتى ليكاد المرء يضل بين جنباتها دون أن يشعر أين هو ولا إلى غاية هو مسوق . ولولا ما نتسلح به من منهج وطريقة ونظام وترتيب ما خطونا خطوة فى مضمار هذه الحضارة ، ولا وصلنا الى هدف أو غاية تذكر .

تلك ضرورة لازمة للفرد والجماعة معا ، وتفاوت الأفراد فى انتاجهم يرجع غالبا الى أن بعضهم رسم لنفسه خطة سار على مقتضاها وتابع السير فيها ؛ فى حين أن البعض الآخر تعارضت مقاصده وتشتتت جهوده ، فيخيل الينا أنه يعمل الليل والنهار دون أن تبدو لعمله ثمرة أو تظهر لجهوده نتيجة . ولا تختلف الجماعات عن الأفراد فى هذا الموقف أى اختلاف فلها أغراض لابد أن تحدد وأهداف لابد أن تعين ، بل ربما كانت أحوج الى رسم الخطة ووضع البرنامج ، لتعدد مطالبها وتباين الوسائل التى تعين على تحقيقها .

ومصر — بين الأمم والجماعات — فى مسيس الحاجة الى أهداف قومية تشخص اليها الأبصار ، وتطمح الأفئدة ، ويتغنى بها الأطفال ، ويقدسها الشيوخ ، ويجد فى ادراكها الكهول والشبان . نعم هى فى حاجة ماسة الى ذلك ، لأن نهوضها فتح أمامها سبلا جديدة يجب أن تحدد معالمها وترسم خريطتها واضحة كاملة لتكون نبراسا جليا للسائرين . ولا يكفى أن تحبس أغراض النهوض ومراميه سرا فامضا فى أدمغة القادة وارعماء ، وانما نريد بها أن تتحول الى عقيدة شعبية يؤمن بها الجميع ويسير على مقتضاها ، فتتجه الجهود على اختلافها نحو هدف واحد وغاية واحدة .

ومصر فوق هذا ، وقد سبقها الركب العالمى فى ميدان النهوض والتجديد ، تشعر بأن عليها أحمالا ثقيلة ربما ناءت بظهرها ، وعليها واجبات عدة لو لم تسلك بها مسلك الحزم والحكمة لعز عليها أداؤها . واذا ما تعددت المسئوليات والأعمال فأضمن طريق للقيام بها أن نسير فى إنجازها الواحد تلو الآخر بناء على منهج ثابت وخطة واضحة ، وعلى النظام والترتيب يتوقف اليوم نصف الانتاج الانسانى تقريبا سواء أكان ماديا أم روحيا .

وهناك ظرف آخر خاص بنا أيضا يدعونا الى تحديد أهدافنا القومية وتعيين أغراضنا الوطنية ، ألا وهو أن أمورنا لم توكل الينا الا منذ زمن قريب ، أما قبل ذلك فكان تصريفها بأيد غير أيدينا وعلى أسس غير تلك الأسس التي نضمن لها ، وواجبنا يقضي — وقد ألقيت المسئولية على عاتقنا — أن نبدأ أولا فنرسم الخطة لما نحن بصدده ، ثم نسير في التنفيذ . وقد يكون من دواعي الفشل وخيبة الأمل أحيانا أنا لم نعرف كيف نوائم بين مشروعاتنا ومقتضيات الظروف الحاضرة . ورب عمل كان يعد جليلا منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت فإذا به اليوم لا يرضي الشعور القومي ولا يسد حاجة الطموح الشعبي.

ولا أظنني في حاجة الى أن أشير الى أن الأهداف القومية وليدة الكيان الوطني وربيبة النهوض والاستقلال ، فإذا ما تاقت أمة الى الوجود الكامل والحياة الصحيحة رأت نفسها مضطرة الى رسم تلك الأهداف والجد في تحقيقها . ولقد كانت لنا أهداف قومية في التاريخ القديم والمتوسط يوم أن كان لنا مجد وعزة وطنية . ولا أحب أن أقف عند هذا الماضي البعيد ، وكفى بأن الاحظ أنا بدأنا نرسم هذه الأهداف مرة أخرى بحروف من نور في أوائل القرن الماضي حين بدأنا نستنشق نسيم الاستقلال والحرية ، وخطونا في عهد المغفور له محمد علي خطوات لو تابعنا السير على مقتضاها لسبقنا كثيرا من الأمم اليوم . ولكن أبى الله إلا أن نتوقف في الطريق ، ثم جاء الاحتلال والحماية فصرفانا عن كل مطلب وطني أو اتجاه شعبي .

وما ثورتنا الأخيرة في سنة ١٩١٩ إلا إنكار لذلك كله ، أو رغبة صادقة في استعادة مجدنا القومي. بيد أن الهدف الخارجي قد غطى طوال عهد الثورة على كل الأهداف الداخلية وكان القادة والزعماء يعرضون قصدا عن التحدث في شؤون الإصلاح خشية أن تصرف الجماهير عن غرضها الأسمى من الاستقلال والحرية . ولم يتغير الموقف كثيرا بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي اعترف باستقلال مصر ووضع أساس النظام البرلماني ، ذلك لأن هذا التصريح لم يحقق كل الآمال الوطنية ولم يسو المشكلة الخارجية تسوية نهائية .

حقا إننا أخذنا منذ ذلك التاريخ ننظر في حاجاتنا المختلفة ونحاول سدها ، ونعالج أبواب الاصلاح المتعددة : في الصحة والتعليم ، والأخلاق والسياسة ، والاقتصاد والمال . فعقدنا لذلك المؤتمرات ، ونظمنا الهيئات والجماعات ، وساهمت الصحافة في الاعلان والدفاع عن الأفكار الاصلاحية بنصيب كبير . ويمكننا أن نستخلص من خطب العرش برامج إصلاح شاملة ، وقد أضافت إليها المناقشات البرلمانية الكثيرة جانبا عظيما من التفسير والتبيين . هذا إلى أن الحكومات المتعاقبة تضافرت على العناية بالمشاكل الاجتماعية والعمرانية ، وكونت لها لجانا عدة عنيت بدرسها ووضع تقارير مستفيضة فيها .

إلا أنا لم نحظ في هذا كله بالاستقرار الذي ننشده ، ولا بالسير المطرد في سبل الاصلاح الذي نصبو اليه . وبقيت المشكلة الخارجية شغلنا الشاغل ، وجرت علينا ما جرت من

انقلابات وأزمات الى أن عقدت المحالفة الأخيرة بيننا و بين الانجليز فى سنة ١٩٣٦ ، ويخيل إلى أن هـذه المحالفة يجب أن تعدّ حدا فاصلا فى تاريخ تطور فكرة الأهداف القومية . لأننا — وقد رضينا ولو مؤقتا أن نوطد علاقاتنا الخارجية على أساس ما — كان لا بد لنا أن نتفرغ للشؤون الداخلية ونعنى بها العناية كلها . ولعل هذا هو الذى دفع فريقا منا لأن يظهروا أسفهم على أن هذه المحالفة لم تعقد منذ زمن مضى ، لتوفر على الأمة خمس عشرة سنة قضتها فى تخبط سياسى واجتماعى لم يخط بها الى الأمام كثيرا . ولعل هذا هو الذى جعلنا نسمع على أثر المحالفة أحاديث كثيرة عن الاصلاح وسياسة الحكم الصالح . ومهما يكن من أمر الاعتبارات الداخلية أو الخارجية التى قضت بتغيير الوزارات فى خمس السنوات الأخيرة فلا نزاع فى أن الرأى العام أحس بحاجته الى الاصلاح أكثر من ذى قبل . ثم جاءت الحرب فعارضت الكثير من مشروعاتنا ووقفت حجر عثرة فى طريق اصلاحاتنا .

تلك هى الأدوار التى مرت بها فكرة الأهداف القومية فى العشرين السنة الماضية ، هذه هى الجهود التى بذلت فى سبيلها . ولكنا نستطيع أن نقول بلا تردد إننا لم نكون بعد كل هذا سياسة قومية ثابتة فى أية ناحية من نواحى نشاطنا الاقتصادى والاجتماعى ، ولم نرسم لأنفسنا أهدافا وطنية واضحة . فالإصلاح يسير على حسب الميل والهوى ، وهو شخصى أكثر منه قومى ، تتدخل فيه عوامل الدعاية وبعض المؤثرات الحزبية . هـذا إلى أنه وقف يحيا بحياة شخص أو يقوم بقيام وزارة ، حتى إذا ما بعد الشخص عن الأعمال العامة أو سقطت الوزارة انتهى كل شىء وتوقف الإصلاح ، وكم من مشروع إصلاحى بدأ قويا جذابا ، ثم ما لبث أن تلاشى وانهار لأن صاحبه لم يتسع له الزمن لتحقيقه .

ويظهر فوق هـذا أننا أسرفنا فى الخطط والمشروعات ، فلا تكاد توجد فكرة إصلاحية إلا ولها نصيب فى "دوسيهاتنا" الرسمية أو تقارير لجاننا ومؤتمراتنا الحرة . وكان كل شخص يأبى إلا أن يعزى اليه قسط من الاصلاح ، ولو مجرد التفكير فيه ، فيحور ويعدل ما سبق اليه ليدلل أنه من عمله الخاص . ثم تعجلنا فى درس هذه الخطط أحيانا ، أو أبطأنا فى ذلك إبطاء مملا أحيانا أخرى ، ففوتنا على أنفسنا الغرض الذى نسعى اليه فى كلتا الحالتين .

ومما يؤسف له أخيرا أن الأحزاب السياسية عرفت كيف ترسم لنفسها خطة أمام المشاكل الخارجية ، أما المسائل الداخلية فأعرضت عن تحديدها إعراضا يكاد يكون تاما . وهى لو فعلت لرسمت لنا دستورا إصلاحيا نسير على مقتضاه مهما تغيرت الظروف والحكومات ولأزالت كثيرا من أسباب الخلاف التى تباعد بينها . وهى أقدر من غيرها على أن تلقى نظرة شاملة على الحياة المصرية عامة فتلم بأطرافها المختلفة ، وتقـدر لكل داء دواءه الملائم ، ولا جدال فى أن النظرة الشاملة التى تحيط بكل مواطن الضعف أعون على العـلاج من النظرة الجزئية العاجلة .

لا أحاول فى هـذه الكلمة القصيرة أن أحدد الأهداف القومية ، ولا أزعم أن الأمر يسير المنال إلى هـذه الدرجة . وكل ما أستطيع أن أقوله الآن ان هذه الأهداف يمكن أن تقسم الى طائفتين متميزتين : خارجية ، وداخلية . فترمى الأولى الى تحديد نطاقنا الدولى وبيان علاقتنا بجيراننا القريبين والبعيدين ، وخاصة الأقطار الشرقية التى ينبغى أن تقوم علاقاتنا المادية والأدبية معها على أسس واضحة وسياسة مطردة . وأما الثانية فالأهداف الداخلية فتلخص كل أبواب الاصلاح الذى ننشده ، من اجتماعى وأخلاقى ، سياسى واقتصادى ، علمى وأدبى ، مادى وروحى . وهذا ما يبين خطورة الموضوع الذى نحن بصدده .

ولئن فاتنا أن نحدد الأهداف القومية فى دقة ، فلا أقل من أن نشير الى الطريقة المثلى التى تعين على رسمها وتكوينها . وفى اعتقادى أنا أصبحنا نمقت كل المقت الارتجال فى المسائل العامة ، لأن جهود الأمة وأموالها وحياتها لا يصح أن تضيع فى تجارب لا يعرف مصيرها . وأصبحنا نؤمن أيضا بأن فردا ، مهما سمت مواهبه وامتازت عبقريته ، لا يستطيع أن يلم بأطراف المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتشعبة . فلا بد من تضافر جهود الفنيين والمختصين لرسم خطة الاصلاح الذى ننشده ، وحبذا لو استطعنا أن نضع برامج إصلاحية محدودة الزمن تتقدم بها السلطة التنفيذية ويقرها البرلمان ، وبذا نضمن لها السير المطرد والأثر الدائم . ولنا فى مشروع الخمس السنوات أو العشر السنوات الذى طبقته البلاد الأخرى أسوة حسنة ، ولم يسرنى أن نبدأ فى هذا بتجربة قصيرة المدى ، فاذا ما بدا أثرها شجعتنا على تجارب أخرى .

وعلى كل حال كفانا ما مضى من تغافل عن المستقبل ، وغض الطرف عنه أو تجاهله وخشيته أحيانا ، فإن الأمم التى تنشد الرقى ينبغى أن تعيش لمستقبلها أكثر مما تعيش لماضيها وحاضرها . ولم يكن مستقبلنا متجهما قط تجهمه فى الظروف الحاضرة ، واعتقادى أن فى تجهمه هذا ما يحملنا على أن نصوب النظر بعيدا ونعد العدة لكل شىء ، لا أن نبقى مكتوفى الأيدى خائرى القوى . واذا كنا فى حاجة إلى أهداف فى حال السلم فنحن أحوج اليها فى ظروفنا الدقيقة ، وجدير بنا أن نتهيأ لما ينتظرنا بعد هذه الحرب كيفما كان لونه .

فالسلم والحرب معا يدعواننا إلى تحديد أهدافنا القومية ، والحكمة والمصلحة تشددان علينا الدعوة فى ذلك . لأنا بهذا التحديد نسير على هدى ، فنسرع الخطى ونأمن الزلل ، ونختصر الزمن . والوقت فى جيلنا الحاضر — أكثر منه فى أى جيل آخر — ذهب أو هو أنفس من الذهب . وفى تحديد هذه الأهداف ما يعالج أيضا بعض مظاهر النقص فى النظام البرلمانى ، فلا نخشى الإمهال والتباطؤ ، ولا تعوقنا المناقشات الحادة والمعارضات الطويلة ، ومتى اتضح الغرض سهل الوصول اليه . وفى التحديد أخيرا ما يقرب مسافة الخلاف بيننا ويجمعنا على كلمة واحدة ، ومتى اجتمعت أمة على أمر فهى لا بد واصلة اليه ما

ابراهيم مدكور

القاهرة الخداعة

بقلم الاستاذ الأديب سيد قطب

ما أكذبك أيتها "القاهرة" وما أشد خداعك، لمن لا يعرفون منك إلا بعض جوانبك البراقة!

إنك لتلوحين — أيتها القاهرة — جميلة فتنة، سعيدة باسمة، غنية ممتعة، راقية متحضرة، تفوح منك العطور، وتتفتح فيك الزهور، وترن الضحكات العذبة في جنباتك وتتخايل مظاهر النعمة على سيمائك فتتم الخدعة، وتنطلي الكذبة ... ولكن على من لا يعرفون ومن لا يفتشون!

ولكنك أيتها القاهرة — في حقيقتك قبيحة شائهة، شقية بائسة، فقيرة معذبة، جاهلة متحلفة، يفوح منك الأسى وينصح عليك الشجن، وتدوى الصرخات الأليمة في ربوعك وتكمن الأنات الوجيعة في ضلوعك، وتتكشفين عن سحنة كابية مريضة، وجثة دامية سقيمة لمن يكشف عنك أول ثوب من ثيابك، ولمن يفتش في ثناياك وأحنائك.

أنت — أيتها القاهرة — جميلة هنالك في الزمالك وجاردن سيتي والدقى وشارع الهرم وسان ستفانو والمعادي وحلوان ومصر الجديدة وحلمية الزيتون. الى آخر مفاتنك ومباهجك حيث تعيشين هنالك في القصور، وحيث تسهرين مع باريس وفينا وجنيف، وحيث تصرين ألف ليلة وليلة، وحيث بلياليك الحمراء المسحورة، وكؤوسك المترعات المتوهجة .. هنالك حيث تلعب نشوة مشعشعة برأسك المفتون، ولا تشعرين بكل ما في جسمك من دمامل وبثور!

وأنت — أيتها القاهرة — شائهة زرية، جائعة مريضة، شقية منكودة. هنالك في المدابغ وزينهم ودرب البرابرة وحارة "أبو حاف"، ودرب القرودى ودرب عجور وخوش قدم والمغربلين وطيلون ... الى آخر مذابحك ومقذراتك، حيث تعيشين هنالك في مغور الزنوج وشعب الأحقاف ومواقع الصين ومجاهل التاريخ!

إن رنين الكؤوس — أيتها القاهرة — وعربدة السكارى، وقهقهة السعداء، وضجيج السيارات الفخمة، ووهج الأضواء المترقصة يوم كانت فيك أضواء، ليغطى على أنين المرضى وصرخات الجياع ودموع المحزونين وآلام البؤساء، وظلام القبور التي يعيش فيها أولئك المنسيون!

اسمعى أيتها القاهرة الخادعة المخدوعة بعض ما يقوله فيك رجال لا مطعن في نزاهتهم ولا ريب في إخلاصهم، ولا شبهة في تحريهم الصدق فيما يقولون، والقصد فيما يصورون..

اسمعى الرجل الكريم النبيل "احمد حسنين باشا" رائد "مجلة الرواد" تلك المنشأة المتواضعة الرفيعة الصامتة العاملة، تلك التي يحاول بها مع زملائه الكرام المجهولين علاج بعض ما في جسدك المؤوف من دمامل وبثور! إنه يقول:

" أمنا من لم يغش حيا بلديا من أحياء القاهرة ؟ ماذا إذن فى مثل هـذا الحى نرى ؟ إنا لنقع على حياة رخيصة فودية مظلمة منحطة. نرى طرقا ضيقة قذرة ، أزقة مبتلة متسخة، فضلات ملقاة على الجانبين ، مساكن كالكهوف ضيقة ضئيلة منكمشة ، مآوى متداخلة بعضها فى بعض كأنما أعدت لطائفة من الأشباح ، ليس فيها منفذ لشمس أو مسرب لهواء رجالا خائرين كأنما يستبطئون مقدم الموت، العامل فيهم أداة سقيمة صماء لا رأى له فى شيء ولا يفكر إلا فى أفق أولى غاية فى الضيق ، والمعطل منهم لائذ بالمقهى ، يقضى يومه بين أن يسمع شرا أو يأتى شرا أو يفكر فى شر. رجال قنع خاملون ، نهشت المخدرات هياكلهم نهشا ، نامت فيهم كرامتهم ، وضاعت منهم كبرياؤهم ، وانتفى فيهم كل معنى من معانى القومية ، لا نخوة لهم ولا خلاق، تضيع حقوقهم فيستنيمون، وينال من عزتهم فلا يشعرون، ما أيسر أن يضيمهم مضيم ، وما أسهل أن يستهين بهم مستهين، لا يدركون أنهم شيء يجب أن يحسب له حساب ، ولا يقـدرون لأنفسهم وزنا فى نظر النـاس ، لأنهم لا يقيمون لأشخاصهم هذا الوزن فى نظر أنفسهم .

" أولئك هم رجال الحى . أما نساؤه فقد طمس عليهن ، فشاعت القذارة فى أنفسهن وبيوتهن وأولادهن . فى هذا المحيط المظلم وفى تلك البيئة التى أفسدها الجهل والأمية ينشأ الطفل مهملا متأثرا بأخلاق هـذا الوسط ، وتنشأ البنت محملة تراث هذا العرف الاجتماعى السيئ. والأطفال الذين تتولى أمرهم وهم صغار ، هم الذين يتولون أمر أبنائهم وهم كبار ، وبنت اليوم هى أم الغد ، والأم هى الأمة" .

تلك أيتها القاهرة — صيحة أحمد حسنين باشا . فسمعى كلمة حافظ عفيفى باشا ذلك الطبيب الاقتصادى الحريص على ألفاظه المقتصد فى تعبيراته ، الهادئ فى تفكيره ، المحقق فى تصويره . إنه يقول :

" لقـد اشتغلت بالطب عشرين سنة فى مدينة القاهرة ، ولا أظن أن هناك ركنا من أركان العاصمة المجهولة لم تطأه قدماى. ولا يوجد شارع أو حارة أو زقاق فى مدينة القاهرة إلا دخلت بيتا فيه لمعالجة طفل مريض . ولذلك رأيت ما لم يرغيرى فرأيت عجبا : رأيت الأزقة التى لا تتسع لأكثر من شخص واحد يسير فيها، والتى يمكن للساكنين على جانبيها أن يقفزوا من بيت إلى بيت بكل سهولة . دخلت بيوتا تنبعث منهـا الروائح الكريهة مولكة وتعلو جدرانها الرطوبة صيفا وشتاء، ولا شمس ولا هواء، ولا نور ينفذ إليها .دخلت منازل جدرانهـا وسقوفها من صفائح البترول القـديمة ، تسكن الحجرة الواحدة أسرة مكونة من الأب والأم والأولاد ، ويعيش معهم أحيانا بعض الحيوان أو الطيور المنزلية. ولست أبالغ فى هذا الوصف ، فليس من الصعب على كل من يريد التأكد من حقيقة الأمر أن يذهب إلى عرب اليسار أو عشش الترجمان ليرى بعينيه ما أصف الآن ، بل أستطيع أن أدله على

حى من أحياء القاهرة لا يبعد إلا بضعة أمتار عن شارع قصر العينى فإنه يجد فى هذا الحى منطقة يصعب أن ترى مثيلها فى بلاد الكنغو أو فى أقاصى السودان ، يوجد " تل زينهم " بمنظره المدهشة ، وحاراته التى لا يزيد عرضها عن المتر، ومنازله المتداعية للسقوط والمبنية بالطين والصفيح ونحو ذلك .

وتل زينهم الذى ضرب به الدكتور حافظ عفيفى باشا مثلا للأحياء القذرة والذى لا يبعد على حد قوله إلا بضعة أمتار عن شارع قصر العينى، وصفه الأستاذ محمد عبد الكريم فى جولة له بالقاهرة المجهولة فى " مجلة الشؤون الاجتماعية " وصفا صادقا رهيبا تقشعر لهوله الأبدان وهو يقول :

"وارتقينا ربوة عالية ، فإذا بنا نشرف على واد فسيح اجتمع له الماء والهواء وسعة الصحراء ، ولكنه ماء آسن راكد ، وهواء فاسد خانق ، وصحراء مترية ليس فيها سوى الركام والأنقاض . هذا هو حى المدابغ ، وإن شئت فقل هو حى الوباء ومصدر الأمراض والأدواء . وما ظنك بمكان لا ترى فيه إلا كل قبيح ولا تشم إلا كل كريه ؟ سرنا فيه بين أوحال وقنوات تجمع فيها ماء المدابغ المتخلف من تنظيف الجلود وظل بها حتى زاد فسادا وملئ وباء.

"وانتقلنا إلى مدابغ الحور والحور جلود الماعز وما شابهها فكادت المياه المتخلفة أمامها تعوقنا عن دخولها لولا تضحيتنا بنظافة احذيتنا وجوار بنا فى سبيل بلوغ غايتنا .

دخلنا المدابغ فهالنا ما رأيناه بها : صبية ورجالا عرايا لا تستر هم إلا خرق صغيرة يعملون وقد اختلط عرقهم بنفايات الجلود ودمائها ، غائصين فى الماء الآسن إلى سيقانهم.

"وتقدم لنا صاحب المدبغة ، فسألته عن حال العمل فقال : "معدن... أحسن ما نحن أصحاب المدابغ. أجور عالية وصحة كاملة وساعات شغل طبق نص القانون، انظر إلى الأجزخانة التى عملناها تنفيذا لأمر مصلحة العمل . وأشار إلى صندوق صغير به بعض زجاجات صغيرة وقليل من القطن .

"يشتغل عمال المدابغ فى الوضع الذى وصفته عشر ساعات فى اليوم، وأكثرهم لا يتقاضى أجرا ثابتا ، بل يعملون بما يسمونه "الطريحة" فترى العامل كالآلة يعمل دائبا مستميتا لإنجاز أقصى ما يمكن ، وهو رغم ذلك لا يكاد يحصل على كفافه إذ لا يتجاوز أجر الرجل فى المتوسط ستة قروش فى اليوم ، والغلام قرشا واحدا .

"وقد سألت البعض كيف يقوى العمال على احتمال الجو الخانق الذى لم نطقه لحظات ؟ فقال "البركة فى الشاى والنشدر" إذ كلما أغمى على أحدهم عمل على إفاقته بالنوشادر وأعطى قليلا من الشاى لينهض ويعود إلى مغالبة الموت ومواصلة الكفاح فى سبيل العيش .

"على أن هناك فريقا من العمال يعملون فى ما هو أبشع مما رأينا وأشنع . إذ يقتضيهم عملهم أن ينزلوا عراة فى أحواض الجير ويمكثوا فيها طول يومهم . ولسنا ندرى كيف يقوى هؤلاء المساكين على احتمال نار الجير الكاوية ؟ "

أيتها القاهرة الخادعة المخدوعة . أسمعت بعض ما يقال فيك ، وعرفت بعض ما أنت به مبتلاة ، إني على يقين أيتها القاهرة أنك لم تكوني تشعرين بهذه الأدواء . إن السعداء فيك لم يعرفوا ولن يعرفوا شيئاً عن هذه الأحياء . إن طرقاتها الضيقة لا تتسع لمرور عرباتهم الفخمة فكيف إذن يعرفونها ؟ وإن روائحها الكريهة تؤذي معاطسهم الرقيقة فكيف إذن يقصدونها ؟ إنك معذورة أيتها القاهرة لأنك ثملة بنشوة الكؤوس والضجيج ، وهم معذورون لأنهم في شغل عن هذا بالقصف والضجيج .

ولقد سمعت أخيراً — أيتها القاهرة — أن وزير الصحة هالته هذه الحال، ورثى للمكوّنين التعساء في أحيائك الفقيرة ، فألف لجنة برياسة مفتش صحتك لبحث مشروع يرمي إلى إنشاء متنزهات في أنحائك على بعض الأراضي الفضاء والخرائب التابعة لوزارة الأوقاف، وأن عدد الأماكن التي اختيرت في مختلف أنحائك بلغت ثلاثاً وأربعين قطعة تبلغ مساحة أصغرها ثمانية آلاف متر . وأن نفقات المشروع تقدر بحوالي ستين ألف جنيه .

هذا ما سمعته نقلاً عن صحيفة الأهرام ، وإني لأخشى أن تضني بهذه الستين ألفاً من الجنيهات أو ببعضها تحلقين به رئات تتنفس بها هذه الأحياء المختنقة ، فعهدي بك بخيلة ضنينة بكل قرش ينفق في سبيل الأشقياء المحرومين ، كريمة سخية بالمئات والألوف في سبيل السعداء المحظوظين .

وإني لأخشى مرة أخرى أن يلجأ أولئك المساكين الذين تهدم أكواخهم لتنشأ على أرضها المتنزهات ، إلى أرض أخرى يبنون عليها الأكواخ ، وإلا فأين يذهبون أيتها القاهرة الفاتنة ؟ أيذهبون للإقامة في الزمالك وجاردن سيتي وحامية الزيتون ؟

من يدري أنك لا تفكرين هكذا ؟ وأنك لا تعجبين أشد العجب لهؤلاء الذين يبنون أكواخهم بالصفيح والطين . فلم لا يتخذونها من المسلح والمرمر والجرانيت ؟ وهؤلاء الذين يأكلون الفضلات ويطعمون الخبز الحاف . فلم لا يأكلون "البفتيك والكافيار" ولا يطعمون "البقلاوة والجاتوه" ؟ إنهم مجانين ! أي والله أيتها القاهرة — مجانين .

* *

اسمعي — أيتها القاهرة — إنك لتحسنين صنعاً لو أفقت من النشوة لحظة ، وأفاق معك المحظوظون ، وإن فعلت فقولي — بحقك — للسعداء أن يستمعوا مرة واحدة للأشقياء . قولي لهم إن العالم كله يثوب إلى رشده ، ويفيق على صوت المدافع وأزيز الطيارات ، وناشديهم أن يجاروا هذا العالم وهو يثوب إلى الرشاد .

قولي لهم : أو قولي للحكومة تقل لهم : إن كانوا لا يستمعون إلا لصوت الحكام !

سيد قطب

الدعوة إلى تحديد النسل

جريمة قومية لا ضرورة اجتماعية

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عبد المجيد نافع

المحامى وعضو مجلس النواب

منذ عهد غير بعيد ، نبتت فى أذهان بعض المشتغلين بمشاكل مصر الاجتماعية فكرة كانوا يتهامسون بها و يشفقون على أنفسهم من أن يجهروا بالدعوة إليها ، لما قد تصادفه من ازدراء العقلاء أو إثارة خواطر المستمسكين بفضائل الدين وفضائل المجتمع .

ولكنا لم نلبث أن رأينا هذه الفكرة الحائرة الخبية المترددة تطفر طفرا سريعا فتثب إلى صفحات المجلات وأعواد المنابر، وتتخذ شكل مذهب اجتماعى يدعو إليه الدعاة فى غير ما حذر ولا تبصر ، كما لو كان أمرا طبيعيا لا إثم فى الأخذ به ولا حرج من دعوة الناس إليه .

تلك الفكرة هى فكرة "تحديد النسل" أى اللجوء إلى اصطناع الوسائل لمنع الحمل بغية التقليل من عدد المواليد بدعوى أن الثروة القومية المصرية لا تحتمل الزيادة المطردة فى عدد السكان .

وأصحاب فكرة تحديد النسل يذهبون إلى أن هذا التحديد ضرورة اجتماعية فى بلد كمصر لا يملك من الثروة الأهلية ما يكفى سكانه الحاليين، فكيف به إذا زاد عددهم أو تضاعف على مر السنين؟ وهم يؤيدون مذهبهم بكلام يشبه الصدق إذ يقولون إن نسبة عدد المواليد قد تجاوزت فى مصر ٤٣ فى الألف حين لم تبلغ فى أرقى أمم الدنيا : بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وألمانيا و إيطاليا وفرنسا سوى ١٤،٩ و ١٧ و ١٨،٨ و ٢٢،٩ و ١٤،٧ فى الألف، ويخرجون من هذه الموازنة بأنه يجب وضع حد لاطراد الزيادة معاكسة الطبيعة والحيلولة بين المرأة و بين أن تؤدى وظيفتها الرئيسية فى الحياة .

ولكن أولئك المتمشقين للأرقام والاحصاءات لا يمدون أبصارهم إلى أرقام أخرى كفيلة بأن تردهم إلى الصواب، وتبين لهم أنهم لا يقدرون المسائل إلا بعقل أعور يرى من الشيء ناحية ولا يرى غيرها من نواحيه .

صحيح إن نسبة المواليد فى مصر قد بلغت ٤٣ فى الألف . ولكن أليس صحيحا أيضا أن نسبة الوفيات تبلغ الآن ٢٥،٤ فى الألف فى حين أنها لا تعلو فى بريطانيا العظمى على ١٢؟

وأول ما يقفز إلى الذهن فى المحنة العالمية الحاضرة أن دعاة تحديد النسل يغفلون الجانب العسكرى فى المسألة ، وهم يرون ، يعونهم التى فى رءوسهم ، كيف تجرفت الدعوة إلى السلام وباتت عصبة الأمم خيالا متلاشيا أو حلما من أحلام الماضى ، وكيف أن الأمم الكبيرة تسحق تحت أقدامها الأمم الصغيرة غير مترفقة ولا وانية .

إن عزة الدول ومنعتها لا تكون إلا بالعدد والعدة والقلوب العامرة بالايمان الوطنى . ولو أن أشياع تحديد النسل حققوا خيال تحديد التسليح لما سمع الوطنية الهتاف بدعوتهم ، ولو أصبح الانسان بغير ظفر ولا ناب لحق لهم أن يسقطوا من حسابهم الحرب كعامل من العوامل التى تخمق كل حركة للتحديد فى مهدها .

ويا سبحان الله ! أفلم ير أبطال التحديد كيف سقطت فرنسا جثة لا حراك بها أمام أول وثبة للعسكرية البروسية . وما قضى على أحفاد لويس الرابع عشر ، والثورة ، ونابليون ، حربيا واقتصاديا ، إلا شيوع الأنانية المتحجرة بينهم ، ورواج دعوة التحديد المحرمة بين صفوفهم .

كم غلت مراجل الغيظ فى صدور علماء فرنسا المخلصين فأرسلوا الصيحة عالية مدوية فى بنى قومهم محذرين ومنذرين بأن تناقص السكان عرض من أعراض انحطاط الشعب الفرنسى .

ولطالما أذن أولئك العلماء فى الناس أن نقص المواليد إن دل على شىء فإنما يدل على التخاذل أمام الخلق والتجديد ، والحين عن احتمال أعباء الحياة وتكاليفها .

بل لقد جهروا بأن ظاهرة تحديد النسل تدل أصرح الدلالة على خمود القلوب من القومية ، وإقفارها من الوطنية ، وتشبعها بعبادة الذات .

ما كان أصحاب دعوة تحديد النسل مجددين ، بل كانوا مقلدين ، ومقلدين لمصدر وحيهم " روبرت مالتس " ، ذلك الذى دعوه بحق شيخ المتشائمين ، وعلم كارليل على علمه سمت " العلم المشئوم " ووصفه جودين بأنه العبقرى الجهنمى الذى يخمد كل نزعة للرجاء فى النوع الإنسانى .

لقد كان الناس قبل "مالتس" يؤمنون بأن وفرة عدد السكان خير وبركة على الأمة ، وأن لا خوف من زيادتهم عن الحاجة فإن خيرات الدنيا وثمراتها كفيلة بسد حاجات الإنسانية .

فأقبل رأس المتطيرين ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ويشكك فى مستقبل الإنسانية ومستقبل العلم معا ، ويزعم أن عدد السكان فى كل أمة يمثل فى زيادته تصاعدية هندسية ، على حين أن الموارد تمثل تصاعدية حسابية ، ثم رتب على تلك المقدمة التعسفية ، نتيجة فاسدة ، ألا وهى أن عدد السكان يتضاعف كل خمسة وعشرين عاما ، وأن اليوم ليس ببعيد

حين تضيق موارد العالم عن إشباع بطون ساكنيه ، ثم أغرق الرجل فى التشاؤم فبارك الحروب والأمراض والأوبئة والطواعين وجميع الشرور التى تخفف من ضغط الموارد البشرية على الموارد الطبيعية .

وما ندرى كيف غفل شيخ المتشائمين عن أن قوة الإكثار فى حبة القمح والبطاطس ، وفى الدجاج وفى الأسماك ، وفى صيد البر والبحر ، بل وفى فصيلة الأبقار والأغنام ، تربى بما لا يقاس على قوة الإكثار فى بنى آدم .

فى عام ١٧٨٩ قدر لافوازييه إنتاج القمح فى فرنسا بـ ٧¾ هيكتولتر للهكتار الواحد من الأرض وفى السنين الأخيرة بلغ الناتج ١٧ هيكتولترا إلا قليلا . فاذا علمنا أن عدد سكان فرنسا لم يزد بنسبة تلك الزيادة أدركنا هول الجناية التى جنتها دعوة مالتس عليها .

وكان صاحب دعوة تحديد النسل معاصرا لحروب الثورة الفرنسية ، وحروب نابليون بين عامى ١٧٩١ — ١٨١٥ ، وشاهد بعينه آثار تلك الحروب التى حصدت من زهرة الشبيبة العربية عشرة ملايين نسمة . فما تراه كان يقول لو أنه شهد الحرب العظمى ، التى قضت فى فترة أربعة أعوام فقط على حياة ثمانية ملايين من الجنود ، ومثلهم من المدنيين . بل ماذا تراه كان يقول لو امتد به الزمن الى المجزرة البشرية التى تشهدها الانسانية اليوم ؟ أكبر الظن أنه كان يهيب بتلاميذه وأبو قه أن يكفوا عن النفخ فى دعوة تحديد النسل ، والاكتفاء بما تحصده النيران من المقاتلين وغير المقاتلين .

ولا نحسب أن مبعث التناحر زيادة السكان وقلة الموارد ، فالعالم يشكو أزمة الكثرة لا أزمة القلة . والتخمة الصناعية لا المجاعة القطنية ، والتخمة الغذائية لا الجوع ، هى التى حملت الأمريكان يوما على أن يضرموا النيران فى جزء من محصول قطنهم ، وساقت البرازيليين الى حرق جانب من بنهم . انما مبعث تنازع الطبقات فى داخل الأمم سوء توزيع الثروة ، ومنشأ التناحر بين الشعوب الظلم فى توزيع خيرات العالم .

والآن كيف السبيل الى تحديد النسل أو ضبط النسل ؟ بالاكراه الأدبى كما يجيب شيخ المتشائمين وأنصاره من التابعين . وبعبارة أوضح وأصرح بالعزوبة وباستخدام الوسائل الصناعية بعد الزواج . فأما العزوبة فبفرضها على الفقراء وحدهم وجعل الزواج احتكارا للأغنياء ، يتبرع به أبطال التحديد كامتياز جديد يضاف الى امتيازاتهم العديدة . وأما عن الوسائل الصناعية فقد اجتمعت كلمة الأطباء فى كل بلاد العالم على أن العلم لم يصل بعد الى اكتشاف طريقة مرضية لضبط النسل .

ان دعاة تحديد النسل يدعون الأمم الى الانتحار القومى والى فوضى الأخلاق . وهل من نتيجة لدعوتهم إلا شيوع البغاء والزنا والخنا والاجهاض وهدم صرح الأسرة وكل أولئك مقدمات سيئه لهذه الأمة ؟ وهل نشهد فى ظل دعوتهم ، كما يشهد الغربيون اليوم ، إلا الفتاة الشمطاء والفتاة الوالدة ؟

لقد كانت قوة الحيوية تدفع الأمم الفتية إلى الإكثار من النسل . فهذه أمم اليونان والرومان والعرب كانت ترى أن التناسل فرض مقدس يؤديه الرجل والمرأة لوطنهما . وفى الأمم الناشئة الناهضة هى الحاجة إلى الأيدى التى تحقق الثروة القومية ، والرءوس التى تخلق المدنيات .

واليوم هى الأثرة التى تسوق الآباء والأمهات الى الهروب من الواجبات والاضطلاع بالمسئوليات فأما الآباء فيفرقون من تبعات تربية الأولاد وتعليمهم حتى يصبحوا مواطنين صالحين وجنودا للوطن . وأما الأمهات فيشفقن من آلام الحمل وأخطاره فيؤثرن السلامة على التضحية فى سبيل الوطن . وأما النساء المترجلات فقد أصخن بسمعهن الى دعاة أو أدعياء تحرير المرأة فزهدن فى الزواج وإنجاب الأولاد جميعا . وأما الخليعات من النساء فقد آثرن القد الأهيف ، والجسم الغض البض ، والوجه المشرق الوضاء على كل تفكير فى المصلحة العليا للدولة .

وساقت دعوة تحرير المرأة المرأة نفسها الى الاستعباد فى المعامل والمصانع والاسترقاق فى المتاجر والوظائف ، ومكانها الحق فى البيت لتكون زوجا صالحة وأما رءوما .

وصادفت الدعوة هوى فى أفئدة الاغنياء دون الفقراء ، فأضرب عن الزواج الكثيرون من القادرين عليه ، وأحجم عن الانتاج من تمكنهم وسائلهم من تربية الأولاد وتعليمهم . والآن فإن الأرقام فهى أبلغ من كل خطيب .

ففى جميع أمم الغرب وفى أمريكا وفى مصر قل الزواج وقل النسل بين الطبقات الغنية المترفة وزاد بين الطبقات الفقيرة المعدمة .

ولقد أجرى إحصاء فى عام ١٩١١ عن انجلترا وويلز لمعرفة خصوبة الزواج ، فقسم التقرير الأمة الى ثمانى طبقات ، ودل على أن نقص الوفيات بين أطفال الطبقات المثرية لم يعوض النقص الذى أحدثه انخفاض المواليد ، وأن هذه الطبقات لا تحتفظ بعددها النسبى بين الطبقات الأخرى بل هى فى تناقص نسبى مستمر .

وفى أمريكا ، لا بالنسبة للرجل وحده ، بل بالنسبة للمرأة ، دل الاحصاء على أن بعض المهن يلازمها العقم الاجتماعى ، فالكتاب ، ورجال الفن والموسيقى وأصحاب المسرح ، يرجئون الزواج فإذا تزوجوا لم ينجبوا الا قليلا . فمن بين الموسيقيين تزوج ٣٦ فلم ينجبوا الا ٣٧ ولدا ولم ينجب مائة من كبار المؤلفين إلا ١٥٠ ولدا .

وفى مصر لا تنجب الطبقة الوسطى وهى عماد الأمة الا قليلا من الأولاد .

فإذا كانت هناك نتيجة لدعوة تحديد النسل فلعل شر نتائجها انقراض الطبقات الصالحة للنهوض بالامة .

ان الذى يرتسم فى أفق العالم اليوم هو تراخى العاطفة الدينية ، وتلاشى روح الوطنية ، وانحلال الأسر ، وكثرة الطلاق بصورة جعلت الزواج أشبه الأشياء بزواج المتعة .

وليس من نتيجة لإنقاص الأولاد الشرعيين الا زيادة عدد اللقطاء .

ولقد أوغل "مالتس" وأشياعه فى المادة فنسوا أو تناسوا ان السعادة تحقق بكوخ وقلب. وأن غريزة حفظ النوع أقوى من غريزة حفظ الذات ، بدليل أن كثيرا من الأنواع يهلك الذكر منها لا محالة بعد مباشرته عملية التلقيح ، فاذا كان التماس الحرية الكاذبة يعمى الناس عن واجباتهم حيال الجنس فليس لذلك من نتيجته إلا التدهور فالفناء .

يقولون إن العامل الاقتصادى يدفع إلى تحديد النسل. والذى يهدم هذه الدعوى أن دخل الفرد فى الولايات المتحدة عام ١٨٥٠ كان ٣٠٨ دولارات وفى عام ١٩١٠ بلغ ١٤٧٠ دولارا على حين أن عدد السكان زاد من ٢٣ مليونا إلى ٩٢ أى أن الدخل بلغ أربعة أضعاف فاكثر وعدد السكان لم يكد يبلغ أربعة أضعاف مع كثرة الهجرة .

لمعترض أن يقول : وأين نحن فى مصر من الثراء الطائل فى الولايات المتحدة ؟ والجواب أننا حين نستغل ، على خير صور الاستغلال ، زراعتنا وصناعتنا وتجارتنا ، وحين نستصلح الأراضى البور ونستغل ثروتنا المعدنية وجميع مرافقنا العامة ، ونستخلص مرافقنا من أيدى الأجانب ، حين ننجز كل أولئك يصح لنا أن نتكلم عن الموازنة بين عدد السكان وموارد الثروة القومية .

إننا حين نبدئ ونعيد ونملأ أسماع الفقراء بأن أسباب بؤسهم إنما هى الزواج المبكر وكثرة الأولاد ، وأن لا قوانين تسن ولا أنظمة توضع بمستطيعة أن تنقذهم من براثن الفقر ومخالب الفاقة ، إذا ظللنا نضرب على هذه النغمة المعجوجة لم نبلغ إلا غاية واحدة ألا وهى أن ينفض الأغنياء أيديهم من مصائر الفقراء وأن تجمد كل حركة للإصلاح فى البلاد .

إن المذهب الفردى قد دفن إلى غير بعث . وحل محله مذهب التضامن الاجتماعى الذى يجعل دينا فى عنق الدولة يجب أن توفيه ، بأن تربى أولاد الفقراء جميعا وتعلمهم وتدربهم على أن يشقوا طريقهم فى الحياة حتى يصبحوا للدولة قوة اقتصادية وقوة اجتماعية وقوة عسكرية.

يقول تقرير اللجنة الانجليزية القومية للمواليد الصادر فى سنة ١٩١٦ إنه لا ينهض دليل على أن سكان العالم يفوقون الموارد الطبيعية فيه ، بل لا بد لاستغلال الموارد من زيادة عدد السكان ، ولقد زاد إنتاج القمح فى الامبراطورية البريطانية ٧٥٪ فى الفترة بين ١٩٠١ — ١٩١١

وإذا لاحظنا أن فى استراليا اليوم يوجد ساكن واحد فى الكيلو متر المربع فى حين يوجد فى بعض جهات مديرية المنوفية ١٠٠٠ ساكن كان لنا أن نأمل فى توزيع عادل لخيرات العالم.

لقد أجرى فى بلجيكا تحقيق عن العائلات الكثيرة العدد فتبين أن الأغلبية العظمى فيها تتمتع بالسعادة وأن التى يخيم عليها الشقاء إنما هى العائلات التى يسود فيها من جانب الآباء التعطل والمرض ومعاقرة الخمور أى أن الاصلاح الاجتماعى يكفل رخاء الأسر جميعا .

ولقد تجلى أن ذوى الأولاد يقبلون على العمل ، وأنهم أقوياء الإرادة وأنهم يشعرون بالحياة شعورا كاملا على عكس العائلات التى ليس لها إلا ولد واحد .

وفى مصر فضلا عن العاطفة الدينية يرى الآباء أن الأولاد رأس مال لهم وتأمين ضد الشيخوخة .

ولعل من المهم أن نذكر أن زيادة عدد السكان تلازم الحكومات الصالحة فى مصر . وهذا دليل ناهض على أن الزيادة خير ينبغى ألا نتبرم به .

إن أوربا تشكو اليوم من قلة النسل لا من كثرته ، وأن بعض الدول قد أوجدت قروض الزواج وإعانة العائلات ولإعفاء من الضرائب والإيثار فى الوظائف والقيام على تربية الأولاد وتعليمهم ورعاية الأمومة والطفولة ومعونة الشتاء وإصلاح حال العمال بالتأمينات الاجتماعية المختلفة وإقطاع الأراضى للعائلات الفقيرة وتعميم الهجرة فى الداخل والخارج ، وعلى الجملة قامت طائفة من الاصلاحات تشجيع كثرة النسل .

على أن كل أولئك لا يعنى أنى أعارض فكرة منع تناسل المصابين بأمراض وراثية والمجرمين ، بل أنى أذهب فى ذلك إلى حد التعقيم .

إن منشأ الفقر والمرض والجهل فى مصر ليس كثرة السكان وإنما عدم وجود سياسة اجتماعية ثابتة .

وإن الدعوة إلى تحديد النسل لهى دعوة إلى إعلان الافلاس الاجتماعى !

عبد المجيد نافع

آباء مجرمون

قرأنا فى إحدى المجلات لأمريكية خبراً ينبه الذهن النائم ويقلق القلب المطمئن ، ذلك أن فى مدينة شيكاغو طبيبة اسمها الدكتورة "فان هوزين" تخصصت لعلاج لأمراض السرية فى النساء . ولكن وجه الغرابة فى هذه الطبيبة أنها لا تفحص عن مريضة متزوجة أو تتولى علاجها إلا فى حضور زوج هذه المريضة وأمام عينيه . وحكمتها فى ذلك أنها تعلم أن المرضين السريين الوبيلين : السيلان والسيلان لا يصيبان فى أغلب الحالات النساء المتزوجات ، أولا تنقل اليهن عدواهما إلا من أزواجهن الذين يكونون مصابين بهما أو يكونون قد أصيبا بهما قبل الزواج ولم يبرءوا منهما برءاً صحيحاً . وهناك فى عيادتها يقف الزوج لأنه ليرى بنفسه ما جره على امرأته من المصائب وما سببه لها من الآلام ، ويبصر بعينى رأسه آثار المرض تعمل عملها المخرب فى ذلك الجسم الغض الذى تسلمه من يد الطبيعة سليما جميلا بهجة للناظرين . وهناك ، وأمام هذا المنظر المؤلم المخزى الذى يبعث الحزن والندم الى القلب، يتلقى الزوج درسا عمليا فى مضار التشرد الجنسى الذى يقع فيه الشبان قبل الزواج ، وفى مضار المتع الجنسية المحرمة المتنقلة التى يقعون فيها بعد الزواج . ومما ذكرته المجلة التى نقل عنها هذا الخبر أن الطبيبة فان هوزين قد أجرت لإحدى السيدات عملية جراحية فى الرحم لاستئصال أورام وإزالة قرحات نشأت من سيلان أهداه زوجها اليها ليلة العرس أو فى أثناء الحياة الزوجية. ولم يستطع الزوج أن يثبت على قدميه لأنه لم يألف رؤية تمزيق اللحم البشرى ، وهو لحم زوجته ، بالمبضع والمشرط ، وأغمى عليه ثلاث مرات . ولكن الممرضة التى كانت تساعد الطبيبة كانت توقظه من إغمائه بنضح وجهه ورأسه بالماء البارد وبتنشيقه المنعشات والمنبهات القوية حتى لا تفوته صغيرة ولا كبيرة من الفظائع التى سببها لامرأته بجهله وطيشه.

* * *

ما أحرانا بأن نتأمل الخبر ونفكر فيه ونطيل التفكير ! إن آلافا من الزوجات المصريات قد ابتلين بواحد من هذين المرضين أو بكليهما ، وما انحرفن عن طريق الفضيلة ولا خرجن من طوق العفاف . وإنما هم الأزواج الطائشون الذين لم يبالوا الاستقامة والحفظ أولا ، ثم لم يبالوا بعد ذلك صحة نسائهم اللاتى أقبلن على ازواج فرحات مستبشرات بالحياة الزوجية الجديدة ينتظرن منها السعادة والهناء والمرح وطيب العيش بين الزوج والأولاد ، فإذا بهن يجدن المرض والشقاء، ويتلوين على فراش الزوجية من تباريح الألم والعناء .

المألوف الذى يجرى على ألسنة الشبان فى الأحاديث أن السفلس — وهو المرض المشهور فى مصر باسم " التشويش " — هو أخطر الأمراض الزهرية ، أما السيلان فيزعمون أنه ليس له من الخطورة ما يوجب التحفظ والحذر ، وهذا وهم شنيع يؤدى إلى أخطار فادحة ، فالسيلان إذا انتقل إلى امرأة تفشى فى أعضائها التناسلية ، وعده لأعضاء تناسلها متفشية فى البطن وليست منحصرة فى مكان محدود كما هو الحال فى الرجل ، فالمرأة التى تصاب بالسيلان يكاد يصبح من المستحيل أن تشفى منه بالوسائل العلاجية المألوفة ، لأن الرحم بتفرعاته يجعل الغسل والتطهير قاصرين عن تأدية الغرض منهما ، ثم تأتى بعد ذلك مضاعفات السيلان التى تجعل حياة امرأة عبئا عليها ، ولا نذكر السفلس الذى كثيرا ما يؤدى فى النهاية إلى الشلل العام فالجنون فالموت .

ولكن لأمراض الزهرية لا تقف أضرارها عند الزوجين بل تتجاوزهما إلى الأطفال . فإن هناك وعا من الرمد الصديدى الحاد يصيب الطفل بعد مولده بأيام ، وقد يؤدى إلى العمى التام إذا هو أهمل أو لم يعرفه الطبيب ، هذا الرمد منشؤه ميكروب السيلان الذى يكون كامنا فى الأم عند الولاد ، لأنها ظنت خطأ أنها شفيت منه وهو فى الحقيقة لا يزال موجودا ، تنتقل عدوى السيلان إلى عيى المولود فيحسبه أهل الطفل مرضا عاديا من أمراض العيون ويعالجونه بالششم والقطرة فلا تمضى أسابيع حتى يفقد الطفل بصره ويصير أعمى يستقبل دنيا الظلام بدلا من دنيا النور .

كثير من الصبيان العميان ، بل معظم هؤلاء الصبيان العميان الذين نراهم فى القرى والبيئات الفقيرة ، قد نزلت بهم كارثة فقد البصر لأن عيونهم لوثت وقت الولادة بميكروب السيلان من أمهاتهم ثم أهمل علاجهم . وكثير من النشوهات الجسمية والذهنية التى يصاب بها الأولاد فى السنين الأولى أو الوسطى من حياتهم منشؤها مرض السفلس الذى يرثونه من أبويهم . وهنا لا تقتصر العدوى الوراثية على الأولاد فقط وإنما تنتقل كأنها القدر القاسى إلى الأحفاد وأبناء الأحفاد ، لأن هؤلاء يشبون وهم مرضى ، أو هم يحملون جراثيم المرض كامنة فى جسومهم ، ثم يتزوجون فيعقبون نسلا مريضا بهذا المرض الخبيث الملعون .

ما أصدق الشاعر عندما يقول :

أواه لو عرف الشبا ب وآه لو قدر المشيب !

لو أن الشبان عرفوا تلك الجريمة بل تلك الجرائم المنكرة التى يوقعون فيها زوجاتهم وأبناءهم وأبناء أبنائهم لاستخفافهم بالاستقامة والعفاف فى سبيل إشباع شهوة طارئة أو الاستمتاع بمتعة عارضة ، ثم لاستهانتهم بعد ذلك بالعلاج التام المنظم . لو أن الشبان عرفوا ذلك لفكروا طويلا قبل أن يتزوجوا ، لأن الزواج فى هذه الحالة لا يكون لذة ولا سعادة

وإنما يكون شقاء وبلاء ، شقاء وبلاء يمتدان حتى بعد أن يموت ذلك الأب المجرم الأثيم الذى ترك لبنيه تراثا من المرض يشقون به فى حياتهم فيصبون عليه اللعنة وهو راقد فى قبره تحت أطباق التراب .

* * *

لقد عنيت الحكومات بمكافحة الأمراض الزهرية ، وأسست لها المستشفيات والمستوصفات كما عنيت حكومتنا المصرية بذلك أيضا ، فليس لأحد عذر إذا هو أهمل العلاج ، بل إن بعض الحكومات قد جعلت المعالجة إجبارية كما جعلت لامراض الزهرية فى عداد الأمراض التى يجب على الطبيب المعالج أن يبلغ عنها مصلحة الصحة شأنها شأن الأوبئة المعدية والحميات الخبيثة ، وذلك لكى تتقصى الحكومة تاريخ المريض وتطور مرضه وتواصل العناية به حتى يشفى فلا ينقل العدوى إلى سواه .

وتعنى الآن دوائرنا الصحية بمسألة الزواج وتتجه بها نحو أغراض اجتماعية يقصد منها إلى تحسين النسل والمحافظة على سلامته ، وهذه الأغراض قد وجدت الاهتمام من الدول المتمدينة التى وضعت تشريعات تنص على وجوب منع ذوى العاهات الموروثة والشواذ من الزواج ، سواء أكانت عاهاتهم جسمية أم عقلية ، وقد وضع بعض الحكومات الأخرى تشريعات تقضى بتعقيمهم حتى لا ينسلوا ولو تزوجوا .

على أننا — ونحن لا نزال فى بداية العهد بالإصلاح الاجتماعى — لا نذهب إلى هذه الحدود القصوى ، بل نكتفى بأن نطالب بوجوب توقيع الكشف الطبى على الخطيبين فى الأسبوع الذى يسبق الزواج .

إن مأذون الشرع — وفقا للقوانين الجديدة — يحتم الاطلاع على شهادة الميلاد ليتحقق من أن كلا الزوجين قد بلغ السن القانونية ، فلماذا لا يوضع تشريع جديد يحتم الاطلاع على شهادة من طبيب لقسم أو طبيب المركز تثبت أن كلا الخطيبين سليم من الأمراض الزهرية وغيرها من الأمراض الموروثة ؟

إن الفتاة التى تتزوج قبل بلوغها السادسة عشرة لا تجنى على نفسها ولا على زوجها ولا على أولادها جناية ذات أثر ، ولكن الجناية الحقيقية التى تعقب أخطارا محققة ، هى جناية الشاب المصاب بمرض زهرى ظاهر أو مستتر الذى يقدم على الزواج مستهينا بصحة امرأته ونسله ، فهل لا تستحق هذه الجناية من عناية الحكومة واهتمام المصلحين الاجتماعيين ما استحقته جريمة الزوج قبل السادسة عشرة ؟

ليست قوة الأمة فى عدد أفرادها وإنما هى فى كثرة عدد الأصحاء منهم ، فليس يقبل من حكومة رشيدة أن تقصر مهمتها على تخفيض نسبة وفيات الأطفال والإكثار من عدد المواليد أيا كانت حالتهم . فمهمة الحكومة الرشيدة تسمو على هذا بكثير ويجب أن تتجه إلى تحسين النسل ووقايته من الأمراض الطارئة والأمراض الموروثة . إن من الخطر أكبر الخطر على مستقبل الأمة ان نحث الشبان على الزواج ونغدق المنح والمكافآت والمعاشات للمتزوجين ما دمنا لانعمل على منع المرضى منهم من الزواج، أى من أن يكونوا وسيلة سهلة لإنتاج نسل هزيل ضعيف مريض مجنون يكونون عالة على الدولة والمجتمع وينتهى أمرهم إلى مصير معلوم وهو المستشفيات أو السجون بعد أن يخلفوا أنسالا غير متناهية تنتهى هى أيضا إلى هذا المصير ، وإنه لخير لمصر أن يقل عدد سكانها من أن تمتلئ البلاد بالمرضى والمجانين ، وإنه لخير لمجتمعنا أن يكثر فيه العزب من أن يكثر فيه الآباء المجرمون .

ولقد هيأت حكومتنا مشروعا للفحص الطبى قبل الزواج ، وذلك بغية منع الزواج على المرضى والزمنى والمعيوهين ممن يخشى أن تنتقل أمراضهم أو نقائصهم الجسمية أو العقلية إلى أبنائهم .

وقد سبقنا كثير من الأمم المتمدينة فى سن القوانين لهذا الغرض . ولا يمكن لأحد فى هذه الأمم أن يتزوج إلا بعد أن يقدم شهادة تثبت سلامته من الأمراض وصلاحيته للزواج . ونحن نذكر فيما يلى بعض القوانين التى سنت فى بعض الأمم لهذه الغاية .

ففى نروج مثلا سن قانون للفحص الطبى صدر فى سنة ١٩١٩ وهو يحوى ٨١ مادة . ويجب على المرشحين للزواج أن يستوفوا هذه المواد وأن يجيبوا على بعض الأسئلة مثل :

(١) هل بينك وبين خطيبتك قرابة رحم أو مصاهرة تمنع الزواج ؟

(٢) هل سبق أن تزوجت ، وبمن ؟

(٣) هل لك أبناء غير شرعيين وكم عددهم ؟

(٤) هل أنت مصاب بمرض زهرى أو أى مرض آخر ينتقل بالعدوى أو الوراثة كالصرع أو البرص ؟

ومن يتعمد الكذب فى الإجابة يعاقب بالحبس سنتين .

وفى دنمركا قانون يرجع الى سنة ١٩٢٢ يلزم الخطيب بعرض نفسه على طبيب قبل الزواج، وقد نص فيه على عقوبة قاسية لكل زوج يكون مصابا بأحد الأمراض الزهرية — مثل السفلس أو السيلان أو القرحة البسيطة — وينقل هذا المرض الى زوجته ، ولا يجوز للموظف الموكل بالعقود أن يعقد أى زواج الا بعد أن يقدم له الخطيب شهادة طبية لم يمض على كتابتها أكثر من ١٤ يوما ، وهذه الشهادة تثبت سلامته من جملة أمراض معينة .

وفى سنة ١٩٢٣ سن فى تركيا قانون يحتم الكشف الطبى على طالبى الزواج . ويجوز للقاضى أن يفسخ عقد الزواج إذا وجد إخلالا بالشروط التى نص عليها هذا القانون . وإذا تزوج أحد قبل الكشف الطبى صار عرضة للمحاكمة الجنائية .

وفى ألمانيا لا يجوز لأحد أن يتزوج قبل أن يحصل على شهادة طبية بأنه لائق للزواج . وفى سنة ١٩٣٥ صدر قانون جديد بشأن الوراثة والصحة جاء فيه ما يلى :

يعطى الشخص — رجلا أو امرأة — شهادة بأنه قد أجرى عليه الكشف الطبى . وهذه الشهادة تجيز له الزواج لمدة ستة أشهر بعد الحصول عليها . ويرفق بهذه الشهادة بيان عن حالة الشخص وما فيه من أمراض سابقة وحالته أيام الطفولة ونموه الجسمى والعقلى وتقاسيم جسمه . وعلى الطبيب أن يعطى الشهادة ويشير على صاحبها بالامتناع عن الزواج لمدة معينة أو مدى حياته أو يجيز له الزواج فورا . كما يمكن الطبيب أن يجيز الزواج بامرأة عاقر أو معقمة . ويجب التنبيه فى الشهادة عن صراحة الدم هل هو آرى أو غير آرى .

وفى هولندا تعين الحكومة الأطباء لإلقاء المحاضرات عن تحديد النسل والصحة الجنسية وإرشاد الحوامل الخ . وهى تنشر النصائح على الجمهور لكى تنيره عن الشئون الزوجية خاصة والجنسية عامة . من ذلك مثلا :

الصحة هى أعظم العوامل لتحقيق السعادة الزوجية .

المرض فى أحد الزوجين ينغص حياة الزوج الآخر ويحدث شقاء العائلة كلها .

يمكن أن يصاب أحد الزوجين بمرض معد ينتقل إلى الأبناء ويكون مسببا لشقاء العائلة .

على الزوجين أن يعرفا أن المال والحب لا يكفلان السعادة لهما ولأولادهما . إذ لا بد أيضا من الصحة .

وفى هولندا جمعيات غايتها تنوير الجمهور ومساعدة الحكومة على تعميم النصائح الطبية لكى لا يتزوج أحد قبل الكشف الطبى .

وقد عقد المؤتمر الأممى الأخير لحماية الطفولة فى باريس فكان مما جاء فى قراراته أنه :

ينبه عن الخطر الذى يلحق بالآباء والأبناء من عقد الزواج بدون الرقابة الطبية . ويرى المؤتمر لذلك أن الكشف الطبى يجب أن يكون إلزاميا قبل الزواج .

ويرى القراء هنا أن بعض الأمم جعلت الكشف الطبى قبل الزواج إجباريا . وبعضها آثر النصيحة على الاجبار . وكذلك الشأن ، فى التعقيم لمنع التناسل فإنه إجبارى فى البعض اختيارى فى البعض الآخر . والأمم الديمقراطية تميل فى الأكثر إلى جعل التعقيم اختياريا أما الأمم الديكتاتورية فتجعله إجباريا .

حاجتنا إلى إصلاح صحي

لحضرة صاحب العزة الدكتور عبد الرءوف حسن بك

مدير مصحة فؤاد الأول بحلوان

أهم الصعاب العملية التي تعترض سبيل الإصلاح الصحي في مصر مشكلة خطيرة قد لا تبدو لأول وهلة ذات صلة مباشرة بالصحة العامة : تلك هي مشكلة الجهل والفقر .

فالفقر مظهره الجوع والعرى وسوء التغذية ورداءة المسكن . وأنت لا تستطيع أن تتحدث إلى الفلاح المصري الفقير عن النظافة وتوقي الأمراض وعلاجها، وعن الغذاء الجيد والرياضة المنظمة ، فكل ما يطمع فيه هذا المخلوق التعيس إنما هو أن تقدم إليه الخبز أيا كان نوعه والمأوى أيا كان شكله ، وبعد ذلك حدثه عما تشاء فلعله يفهم عنك ما تقول .

أما الجهل فأعني به قصور الغالبية العظمى من سكان الريف المصري عن فهم أصول الصحة الشخصية والصحة العامة ، لقلة التعليم من جهة، ولافتقار البلاد إلى الدعاية الصحية الشاملة من جهة أخرى .

ومن دواعي الأسف الشديد حقا أن يقترن الفقر والجهل في مصر بعدم توافر وسائل الوقاية والعلاج توافرا كافيا .

ولقد يضيق مجال القول هنا دون مشكلتي الفقر والمرض وما يترتب عليهما من آثار مدمرة للصحة العامة ، فلا أرى مندوحة عن أن أسرع إلى عرض أهم المشكلات الصحية التي تواجهها مصر عرضا صريحا صادقا دون تعمق مهني أو تفصيل فني تغيب دقائقه عن غير المتخصصين .

١ — المشكلة الأولى : ارتفاع نسبة الوفيات في مصر :

الشعب المصري لحسن حظه أو لسوء هذا الحظ ، لا أدري ، شعب مخصب كثير التناسل إذا هو قورن بغيره من الشعوب . ولكنه في الوقت عينه شعب يحصد الموت فيه الأرواح حصدا لا مثيل له في غير مصر من البلاد التي تعرف الاحتشاء . ولقد تدرجت الوفيات في الهبوط خلال الخمسين لسنة الماضية في جميع البلاد المتمدينة إلا في مصر ؛ فان نسبة الوفيات بها لم تنقص بتاتا منذ بداية القرن الحالي ، بل إنها بالعكس قد ارتفعت . والجدول الآتي يغنينا عن كل بيان :

متوسط نسبة الوفيات العامة فى مصر وفى انكلترا كل خمس سنوات

(عن الأستاذ الدكتور عبد الواحد الوكيل بك)

فى مصر			فى انجلترا	
١٩٠١ — ١٩٠٥	٢٥,٣	فى الألف	١٦,١	فى الألف من السكان
١٩٠٦ — ١٩١٠	٢٦,٨	»	١٤,٨	» »
١٩١١ — ١٩١٥	٢٧,٧	»	١٤,٣	» »
١٩١٦ — ١٩٢٠	٣١,٧	»	١٤,٤	» »
١٩٢١ — ١٩٢٥	٢٥,٣	»	١٢,٢	» »
١٩٢٦ — ١٩٣٠	٢٥,٨	»	١٢,١	» »
١٩٣١ — ١٩٣٥	٢٦,٢	»	١٢,	» »
١٩٣٦	٢٧,٣	»	١٢,١	» »
١٩٣٧	٢٧,٢	»	١٢,٤	» »

ووفيات الأطفال فى مصر من سن خمس سنين فأ ل تبلغ نسبة فاجعة لا أدرى كيف أصورها التصوير الصحيح . فأكتفى بالقول بأن أكثر من نصف جميع الوفيات بالمملكة المصرية وفيات أطفال دون الخامسة . أى أن الأمهات المصريات التاعسات يتجشمن مشقة الحمل والولادة والرضاعة والسهر والتربية ليسلمن حوالى ربع مليون طفل فى كل سنة إلى يد الموت القاسية التى لا تشفق ولا ترحم .

نسبة المواليد فى الألف من السكان

فى أمم مختلفة فى سنة ١٩٣٧

(إحصائيات رسمية)

المملكة	نسبة المواليد	المملكة	نسبة المواليد
مصر	٤٣,٥	رومانيا	٣٠,٨
انجترا وويلز	١٤,٩	سويسرا	١٥,
فرنسا	١٤,٧	الهند	٣٤,٥
ألمانيا	١٨,٨	اليابان	٣٠,٦
إيطاليا	٢٣,٩	الولايات المتحدة	١٧,
بلجيكا	١٥,٣	استراليا	١٧,٤

ويلاحظ هذا أن نسبة المواليد فى مصر أعلى منها فى البلاد الأخرى، وهذا امتياز قد يبدو مشجعا لأول وهلة لولا أننا أمة تقدم مواليدنا للأمراض وللموت بنسبة مفزعة كما يبدو من مراجعة الإحصائيات التالية :

نسبة الوفيات فى كل فئة من العمر

مقارنة بين انجلترا ومصر

فئات العمر	بمصر	بانجلترا
٠ — ١	١٩٣ فى الألف	٦٠,٨ فى الألف
١ — ٥	٦٣,٣ »	٥,٥ »
٥ — ١٠	٧,٢ »	١,٩٧ »
١٠ — ٢٠	٦,٩ »	١,٧٥ »
٢٠ — ٣٠	٦,٤ »	٢,٧٣ »
٣٠ — ٤٠	٩,٢ »	٣,٣٥
٤٠ — ٥٠	١١,٩ »	٦,٠٦ »
٥٠ — ٦٠	١٧,٦ »	١٣,٤ »
٦٠ — ٧٠	٢٩,٦ »	٣ ,٧٩ »
٧٠ — ٨٠	٦٢,٩ »	٧٨,٤٢ »
٨٠ — ما فوق	٥٩٣,٩ »	١٦٠,٩٦ »
نسبة الوفيات العامة	٢٥,٤ فى الألف	١٢,١ فى الألف

الوفيات بالقطر المصرى فى سنة ١٩٣٧

حسب فئات السن (إحصاء رسمى)

فئات السن	عدد الوفيات	فئات السن	عدد الوفيات
أقل من سنة	١١٤٨٥٦	٤٠ الى ٤٩ سنة	١٨٣٧١
١ الى ٤ سنوات	١٢٧٥٩٢	٥٠ الى ٥٩ »	١٦٧٨٧
جملة	٢٤٢٤٤٨	٦٠ الى ٦٩ »	١٧٨٨٥
٥ الى ٩ سنوات	١٦٠٤٧	٧٠ الى ٧٩ »	١٨٨١٣
١٠ الى ١٩ سنة	١٥٥٣٠	٨٠ الى ٨٩ »	٢٠١١٨
٢٠ الى ٢٩ »	١٦١٢٧	٩٠ سنة فأكثر	٢٩١٥٩
٣٠ الى ٣٩ »	٢٠٦٦٩	جملة الوفيات	٤٣٤٢٠٨

يلاحظ أن وفيات الأطفال (أقل من خمس سنوات) أكثر من جملة الوفيات فى جميع الأعمار وهذا رقم مفزع حقا .

المشكلة الصحية الثانية — انتشار الأمراض فى مصر انتشارا مروعا وعدم كفاية وسائل الوقاية والعلاج فى هذه البلاد .

أرجو ألا أتهم بالغلو والمبالغة فى التعبير، فإنى أقدر ما أقول وأزنه وزنا دقيقا، ومع ذلك أوثر أن استشهد بغيرى ممن لا ترقى التهمة الى رأيه ولا يخالج الشك أحد فى صدق تقديره . يقول الدكتور عبد الواحد الوكيل بك أستاذ الصحة العامة بكلية الطب فى محاضرة له ألقاها بمؤتمر المجمع المصرى للثقافة العلمية بعد أن استعرض انتشار الأمراض فى مصر :

" هذه هى أمراض المصريين، اذا جمعنا بعضها الى بعض مرضا مرضا وجدنا جملتها زهاء خمسين مليونا ، أى أنها تكفى لإصابة شعب مؤلف من خمسين مليون نفس بحيث يصيب كل شخص منهم مرض واحد . فاذ وزعناها على المصريين، وهم ستة عشر مليونا، أصاب كل شخص فى المتوسط ثلاثة أمراض فى وقت واحد .

"واذا تبعنا مايفعله الاخصائيون الامريكيون وأردنا أن نترجم هذه الأرقام بالجنيهات التى تخسرها الأمة فى المجهود القومى بسبب الأمراض، واذا قدرنا أن متوسط قيمة المجهود الذى يبذله الشخص السليم فى السنة يساوى ١٢ جنيها فقط ، وأن المصاب بثلاثة أمراض يهبط انتاجه الى النصف — وهو تقدير شديد التواضع — رأينا أن ما تخسره مصر بسبب هذه الأمراض هو زهاء مائة مليون من الجنيهات فى كل عام . ذلك فضلا على الآلام البدنية التى لا يمكن تقديرها . وهى خسارة جديرة بأن تفتح العيون دهشة وتملأ القلوب هما وحسرة، وجديرة أيضا بأن يتدكرها ولاة الأمور حين يضمون ميزانية الخدمات الطبية الصحية التى تعجز بدونها عن تقليل هذه الخسارة المادية الكبيرة فى هذه البلاد".

بيان عن إصابات الأمراض الاجتماعية فى مصر

المرض	نسبة المصابين فى المائة	عدد المصابين (تقريبا)	المرض	عدد المصابين (تقريبا)
	٪			
الرمد الحبيبى	٩٠	١٤½ مليونا	الزهرى	١,١٢٠,٠٠٠
البلهرسيا	٧٥	١٢ »	السيلان	٨٢٠,٠٠٠
الانكلستوما	٥٠	٨ »	السل الرئوى .	٣٠٠,٠٠٠
الديدان المعوية	٥٠	٨ »	أمراض عقلية	٣٢,٠٠٠
الملاريا	٧	١,١٢٠,٠٠٠	الجذام	٥,٠٠٠
البلاغرا	٧	١,١٢٠,٠٠٠	أمراض معدية مختلفة... ...	٢٥٠,٠٠٠

المشكلة الصحية الثالثة — مشكلة القرية المصرية والعناية بصحة الفلاحين والعمال .

هذه مشكلة اثنا عشر مليونا من المصريين المنتجين الذين يكدحون ويعملون ويقوم الاقتصاد كله على مجهود سواعدهم . فالحالة الصحية لهؤلاء من حيث رداءة المسكن وسوء الغذاء ونقص الملبس وانتشار الأمراض المتوطنة بينهم ، حالة تدعو إلى الجزع الشديد . والمشكلة ليست يسيرة الحل بسبب تفشي الفقر والجهل في الريف المصري وتناثر الفلاحين في أربعة آلاف قرية تتبعها عشرون ألف قرية .

والحالة الصحية بين العمال في المدن سيئة جدا بسبب انخفاض الأجور وانتشار العادات السيئة بين العمال ونقص وسائل الحماية للعامل من أخطار حرفته . وبالرغم مما يحيط بهذه المشكلة من صعاب ، أستطيع أن أؤكد أن أعقد المشاكل لا يستعصى على الحل اذا عولج بفهم وعزم .

بيان تقديرى عن معاهد العلاج : الموجود منها
وما تحتاج اليه البلاد كحد أدنى
(عن الدكتور عبد الواحد الوكيل بك)

المعاهد	العدد الموجود	العدد المطلوب زيادته	عدد الأسرة الموجودة	عدد الأسرة الواجب زيادتها
مستشفى عام	٢٨	١٥٤	٩٠٠٠	٢٣٠٠٠
« مركزى ...	٤٣			
مراكز رعاية الطفل...	٥٥	٥٥٥	—	—
العيادات المدرسية ...	١٩	٦١	—	—
مستوصف الدرن ...	١٤	١٣٦	—	—
مصحات الدرن ...	٢	—	٨٥٦	٢٣٤٤
عيادات البلهارسيا والانكلستوما... ..	٩٥	٢٠٠٠	—	—
مستشفيات الرمد ...	٨٧	٨٧٠	—	—
عدد الأطباء	٤٠٠٠	٤٠٠٠	مصريين وأجانب	موظفين وغير موظفين

ولست أريد أن أناقش تقدير الدكتور عبد الواحد الوكيل بك فى الأرقام التى وضعها لمختلف البنود، فهو كما يبدو، يطالب بالحد الأدنى لكل بند. ولكنى ألاحظ أن الرقم الذى وضعه لعدد الأسرة الواجب إيجادها لمرضى السل رقم ضئيل جدا لا يتناسب مع حالة انتشار هذا المرض فى مصر. والله نزل بتقديره إلى هذا الرقم مراعيا قدرة البلاد المالية ووجوب الاهتمام أيضا بالإصلاح الصحى فى غير ذلك من النواحى .

إحصاء دولى عن النقص فى نسبة الوفيات بالسل
فى كل مائة ألف من السكان

المملكة	سنة ١٨٨١ — ١٩٠٠	سنة ١٩٠٠ — ١٩٢٧	الفترة بالسنوات	النسبة المئوية لنقص الوفيات
			سنة	٪
اسكتلندا	١٩٩	٧١	٤٦	٦٤
المانيا	٢٠٦	٨٢	٣٥	٦٠
انجلترا	١٧٣	٧٩	٤٦	٥٤
فرنسا	١٨٤	١٤٠	٢١	٢٤
سويسرا	٢١١	١٠١	٤٦	٥٢

وهذا يصور إلى أى حد تنجح الأمم فى مكافحة السل وإقلال الوفيات به بنسبة كبيرة متى ثابرت على الإصلاح الصحى .

ويطيب لى قبل أن أختم هذه الكلمة أن أذكر أنى مدين بكثير من البيانات والجداول والإحصاءات الواردة فيها لحضرة زميلى وصديقى الدكتور عبدالواحد بك الوكيل أستاذ صحة العامة بكلية الطب، وأن أقدم له أوفى عبارات الشكر لهذه المعاونة القيمة التى تفضل بإسدائها إلى .

عبد الرءوف حسن

حياة السعادة والشرف

للشاب المصرى

للأستاذ سلامة موسى

كانت مدام دوستال الأديبة الفرنسية المشهورة تقول "إننا ننشد المجد حين نفقد السعادة" وفى هذا القول شىء من الصحة . فإن من يطلب السعادة يتوخى تجنب العقبات والعوائق ويقصد الى الهين اللين من الأمور . وطريق المجد من الطرق الوعرة التى تتطلب الجهاد . فبين الاثنين — المجد والسعادة — تناقض الى حد ما.

وكذلك الشأن فى الشرف ، فانه كالمجد . قد يتعارض مع السعادة أو على الأقل مع السعادة المادية . فان أحدنا قد يطلب الكسب ولا يبالى مأتاه . ثم يرضى بهذا الكسب قانعا بالسعادة المادية التى يجنيها منه دون أن يفكر فى من ظلم فى سبيل مطامعه المالية ولا يبالى أية فاقة قد أحدث فى غيره بخططه الاقتصادية . وحسبه من الدنيا لذة الثراء وسعة العيش . أما الشرف — ولا نقول المجد — فقد وضع على الرف .

ولكن هذه السعادة التى تتعارض مع الشرف أو المجد ليست هى السعادة المثلى ، تلك السعادة التى يجب أن تحيط بأشخاصنا وأعضاء عائلاتنا والمجتمع الذى نعيش فيه . سعادة الاخوة والبر التى تنأى عن الأنانية ، وهذه السعادة تتفق مع الشرف ، وهى واجب على كل فرد منا . أجل يجب — كما يقول ستيفنسون — أن نؤدى واجب السعادة وأن نتعم فيها . وفن السعادة ينحصر فى أن نسعد غيرنا فنسعد بسعادتهم وان نطلب الخير لهم فيحل الخير لنا . وعندئذ لانجد أن السعادة والشرف يتفقان فقط بل إن الشرف يؤدى الى السعادة وطريق الواحد هو طريق الأخرى . والانسان اجتماعى بطبيعته لايمكنه أن ينفرد أو يعتزل . وحين يفعل ذلك انما يفعله بجسمه وليس بروحه . ومالنا من ضمير ولغة أوثقافة أوآمال أو مثليات انما هوقبل كل شىء ملك الجماعة الانسانية ومن مخترعاتها ، ولهذا السبب لا نستطيع أن ننفرد بسعادتنا ونستأثر بها . ولذا فعلنا فننا نشقى لأن السعادة اجتماعية

ولذلك من المحال أن يشقى المجتمع ونعيش نحن فيه سعداء . بل إن السعادة فى مثل هذه الظروف تعود رذيلة منكرة قائمة على أنانية غشيمة . وقصارانا فى هذه الحال أن نطلب — كما يقول هيجل — الحياة الطيبة ونرجئ السعادة كأنها أمنية نرجوها للمستقبل . وفى هذه الحياة الطيبة قد نتعب ونشقى ولكنا عند التأمل نحس سعادة سامية أنيقة .

فحياة السعادة والشرف للشاب المصرى يجب ان تكون — بل لامفر من أن تكون — حياة السعادة والشرف للمجتمع المصرى . بل إن الاضطراب القائم فى العالم الآن يثبت أنه لا يمكن أمة أن تسعد اذا كان غيرها فى شقاء ، وأنه لكى تحظى الأمم بالسلام المنشود يجب قبل ذلك أن يعم الرخاء العالم كله ، وان يأخذ بالتعاون وتعميم الرفاهية حتى لا يحتقن الحقد ويشب يوما نارا وحربا .

ولكن كلمات السعادة والشرف والواجب ، هذه الكلمات التى يعد كل منها مؤسسة بشرية سامية ، قد طرأ عليها تغير أو تطور أو على الاقل اضطراب وتقلقل . لأننا لا نعيش فى زمن الاستقرار والاطمئنان ولكن فى اضطراب عالمى يجعلنا نحس كأننا فى غروب عصر يوشك على الزوال أو فجر عصر آخر يوشك أن يغمرنا بنوره . وهذه الاحوال تضطرنا الى أن ننظر فى أقيستنا الاجتماعية والروحية والاقتصادية وأن نقوم كلا منها بالقيمة التى تستحق فى ضوء الفجر الجديد وان ينفعنا أن نفر من الحاضر ونلوذ بالماضى ونركن الى التقاليد .

وهنا مشكلة الشاب فى عصرنا فإنه حين يشرع فى أن يتحسس طريقه الى المستقبل يحس كأنه قد بدأ سياحة خطرة فى أرض مجهولة بلا خارطة وبلا بوصلة . وهو عندئذ يحتاج الى الاستقلال والى أن يضع بنفسه أقيسته ، وهذا الاستقلال يعنى أنه حر ، ولكن الحرية هنا هى المسئولية بل سلسلة المسئوليات العديدة . وهذه المسئوليات لا يمكن الاضطلاع بها الا بعد التفكير والدرس . وأكاد اقول لهذا السبب إن الثقافة فى عصرنا واجب دينى لانه ليس شىء أخطر من الجهل .

لقد كان يمكن الناس قبل مائة سنة أن يعيشوا فى جهل . ولم تكن حالهم الاجتماعية لتتأثر كثيرا بهذا الجهل ، لأن مجتمعهم كان بسيطا ، ولم تكن الحياة تطلب الكثير الفنى الدقيق من المعارف العلمية أو الاجتماعية ، إذ كانوا يعيشون فى مجتمع قروى ساذج .

أما الآن ، فإن المجتمع العصرى يشبه المصنع الكبير الذى تعددت آلاته وتنوعت ماكيناته الكهربائية والموطرية والبخرية ، وقد اشتبكت جميعها حتى لاسعة لأحد لكى يسير بينها ويتفادى من أخطارها إلا إذا كان على دراية تامة بتفاصيلها . لأن الأخطار محدقة به من كل ناحية ، والجهل هنا يؤدى إلى الموت .

لقد كنا قبل مائة سنة نعيش فى جهل ، ولم يكن يضرنا هذا الجهل ، لأن الحياة الريفية الزراعية كانت ساذجة ليس فيها فن أو علم ، ولكنا فى سنة ١٩٤١ نجد أن هذا الجهل قد أوقع ١٥ مليونا مصريا فى الأمراض التى نشأت عن سياستنا المائية أو نظام الرى ، فالفن أو العلم قد دخل فى الزراعة المصرية وأحدث نظاما فى الرى جهل السكان والمهندسون عواقبه فى الصحة فكانت النتيجة وبالا علينا جميعا .

وهذا هو الشأن أيضا فى الحرب القائمة: علم قد تعمق واستأصل فى الصناعات ارتقت به الفنون الحربية، مع جهل فى السياسة التى لا تزال تتكلم بلغة الاستعمار والامبراطوريات والمواد الخامة والأسواق — لغة القرن الثامن عشر والتاسع عشر — فكانت النتيجة هذا الوبال العظيم، حرب تجرى بفنون سنة ١٩٤١ وعلومها وسياسة لا تزال تعيش فى سنة ١٧٥٠

إن الشاب المصرى يتحمل الآن مسئوليات جساما عن شخصه، وعن عائلته، وعن مجتمعه، وهو لن يبرأ من هذه المسئوليات إلا بالدرس والعمل، والدرس قبل العمل، لأن الضمير الاجتماعى الحسن هو الضمير الاجتماعى المثقف .

إن الشاب المصرى يتطلع إلى السعادة، وإلى رؤيا مصر الناهضة، وإلى السلام العالمى، وإلى الرخاء، ولكن كل هذه المثليات لا قيمة لها إلا إذا قامت على العلم الدقيق والمعارف الفنية، وإلا فقد نندفع فى خطة إصلاحية — مثل خطة الرى — تجلب علينا فى النهاية الموت والمرض والضعف بإفشاء الديدان بين السكان .

وقد يقول الشاب هنا، ان هذا تكليف ثقيل، مالى وللدرس فقد قضيته فى المدرسة وأنا أنشد السعادة، ولكن الرد هنا واضح، وهو أن السعادة ليست هى الرخاوة وليست هى الخمول والاستسلام والاستمتاع، وإنما هى قبل كل شىء شرف وواجب .

إن الأستاذ بيتكين — وهو أستاذ أمريكى — يقول إن الحياة تبدأ فى الأربعين، وقد رد عليه مؤلف انجليزى آخر بكتاب ضخم يقول إن الحياة تبدأ فى الخمسين، وهما يناديان بكتابيهما الشيخوخة الناهضة ويطالبان الشيوخ بالدرس والعمل والجد والشرف والسعادة، أجل، لأنه لا سعادة بلا درس وعمل وجد وشرف .

وإزاء هذين المؤلفين نستطيع أن نخاطب الشاب المصرى وأن نقول إن الحياة تبدأ حقا فى الشباب على الرغم مما يقول بيكين، وتختلف حياة الشباب من حياة الشيوخ، من حيث إن الأولى تنحو ناحية الدرس والجد والاستهلاك، أما الثانية فتنحو ناحية التأمل والتاذة والإنتاج؛ فإن الشاب حين يترك المدرسة أو الكلية يواجه عالما جديدا يحس منه أنه سيعطيه من الدرجات غير ما أعطته المدرسة ويطالبه بواجبات عملية فى العائلة والمجتمع والحرفة . فقد يكون هذا الشاب قد درس ديانته وهو بالمدرسة أو قبل أن يبلغ من العشرين، ولكنه بعد هذه السن يحس أن الدين ليس محض القراءة فى قرآنه أو إنجيله، وإنما هو عمل بار وجهد روحى بين أبناء أمته وسعى للخير ومكافحة للرذيلة، ثم هو يحس أنه

مطالب بأن تكون له شخصية محترمة تدعو إلى العناية بصحته ولباسه وذهنه وعائلته ومجتمعه ، وليست وفرة المسئوليات التي تواجهه مما يثقل عليه تحمله ؛ لأن الواقع أنه يتقبلها في بهجة ونشاط كذلك السابح الذي ينشط إلى مكافحة الأمواج ويحس العافية بجهده، وهذه التكاليف الجديدة هي التي تكون شخصيته .

وأعظم ما يواجه الشاب ويستغرق همومه ونشاطه ثلاثة أشياء هي :

(١) العمل أو الحرفة التي يحترفها لكي يرتزق منها .

(٢) العائلة التي يكونها .

(٣) مكانه في المجتمع .

والاضطراب في هذه الأشياء أو في واحد منها يجعل الشاب غير سعيد ، وذلك لأن الانسان حيوان اجتماعي ، وهو يسعد عند ما يجد أن له مكانة محترمة في مجتمعه ويسعد عند ما يجد أنه رب عائلة يسعى لخيرها ويحس أنها هي أيضا تسعى لخيره ، وليست الحرفة مجرد كسب العيش وإنما هي أيضا مجهود اجتماعي للخدمة العامة في المجتمع وقد ذكر بعض البيولوجيين أن هناك نوعا من الغزلان إذا تخلف عن القطيع لسبب ما برك حيث هو ورفض الحركة كأنه يحس أن الحياة منفردة معزولة بعيدة عن القطيع لا معنى ولا مغزى لها ، وخير منها الموت . وفي نفوسنا نحن البشر شيء من هذه الغريزة؛ فإننا لا نحب أن ننقطع عن المجتمع، وإذا فعلنا فإننا نتنس ونشقى . ويجب أن نؤكد هذه الحقيقة ونكررها ، لأنه لا سعادة ولا شرف ولا شخصية ولا رقي لأي فرد ما إلا بمقدار خدمته للمجتمع . والابتعاد عن المجتمع لا يعني الترك والانفراد في مكان ناء فقط ، فإننا نبتعد عن المجتمع حين نخالف سننه ونتمرد على عرفه، وحين تدفعنا الأنانية إلى اتخاذ أساليب تضر بالمجتمع في عيشنا أو تكسبنا أو تصرفنا حتى ولو لم يؤد هذا الإصرار إلى إيقاعنا في الجريمة .

فأما الحرفة فيجب لكي نسعد بها ولكي نؤديها على أحسن وجه أن نكون قد احترفناها عن حب وتعلق وليس عن قسر وكراهة ، ومعظم السأم الذي يصيب الشاب ويجعله يفتش عن مسليات كحولية مختلفة يعود إلى أنه يكره عمله وأنه يجب أن يسرى عنه سأمه، وهو بعد إرهاق العمل ساعات متوالية كل يوم يفكر في الفرار منه وقد يقع في عادات سيئة نتيجة لهذا الفرار .

فيجب على كل شاب أن يحترف العمل الذي يحب حتى ولو كان دخله ، أي كسبه منه دون كسبه من عمل آخر غير محبوب . لأنه سوف يتعوض من هذا النقص المالي سعادة عظمى تعود عليه من حبه لعمله وأيضا من إتقانه له لأنه يحبه . ولكن هناك حالات يجد فيها الشاب

وقد كلف عملا يكرهه أو هو لا يتعلق به كل التعلق . وكثير من الشباب يجدون أنفسهم فى هذه الحال . وهنا تبرز لنا قيمة الهواية . فاذا لم تحب عملك فاصطنع هواية والجأ اليها فى فراغك . ولتكن هذه الهواية درسا أو لعبا أو رياضة أو أى عمل آخر تهواه . فانها تعيد للنفس اتزانها وتجدد النشاط وتخفف من سأم الحرفة . ولكن خيرا من هذا وذاك أن تحترف هوايتنا اذا استطعنا ذلك . لأننا عندئذ نوحد بين جدنا ولعبنا ولا نسأم العمل . وليس هذا بالشاق اذا اختار الشاب وهو لا يزال فى طور التحصيل لدراسة التى يجد فى نفسه ارغبة الحادة لها . ولكن يجب أن نذكر أن الحرفة ليست للاستقرار وانما هى للتجديد والترقية والتحسين . وهناك شبان قد حصلوا على الوظيفة التى يكسبون منها عيشهم ولكنهم يستكينون اليها كأنهم فى تقاعد الشيخوخة فلا ترقى بهم حرفتهم ولا يرقون هم بها . بل يركد الاثنان . والركود منا هو نقيض السعادة . لأن السعادة الانسانية ليست استقرارا وانما هى تطور وتجدد ونمو وتوسع .

وجميع الحرف أو الصناعات تتسع للتحسين ولو من ناحية الدقة فقط . ولكن يجب على كل حال أن تتعلق بهواية . وما أدرانا ؟ فلعل هذه الهواية تعود يوما ما وهى العمل الذى نعيش به ونتكسب منه !

ويجب على كل شاب أن يحترف حرفة ما ، وأن يرفض التعطل . لأن للحرفة أثرا فى تنمية الشخصية وترقية الذهن . وكلنا يعرف ذلك الشاب المتعطل الذى لا يبالى ملابسه أو حتى مشيته . فهو مهمل الهيئة قليل العناية ليس بلباسه فقط بل بجسمه وذهنه . وليس بعيدا بعد ذلك أن يهمل ضميره . ونستطيع أن نذكر هنا أثر العمل والكسب فى الأخلاق . فقد عنيت إحدى المكتبات العامة فى أوربا بتدوين أسماء العمال الذين يترددون عليها للطالعة أو لاستعارة الكتب . فوجدت أن هؤلاء الأشخاص يقلون قلة عظيمة وقت التعطل و يزدادون زيادة عظيمة وقت العمل والكسب . وهذا عكس ما كنا ننتظر . لأن المنطق السطحى يقول بأن العمال وقت بطالتهم سيجدون الوقت الكافى للقراءة والسلية . أما فى مدة العمل فان وقتهم قليل فلا يقرأون كثيرا . ولكن عكس هذا هو الذى حدث . لأن العمل والكسب يبعثان النشاط فيجد الشاب الوقت والرغبة فى القراءة والاستزادة من الثقافة . وهذا مع أنه متعب من العمل ومع أن فراغه قليل . أما حين يتعطل فان نفسه تركد وهو لا يبالى عندئذ ترقية نفسه بالقراءة .

وهذا المثال يجب أن يكون مقياسا نقيس به قيمة العمل للصحة الذهنية والجسمية معا . ويجب لهذا السبب أن يعد كل شاب نفسه لعمل ما ، وأن يرفض التعطل حتى ولو كان ثريا لا حاجة به الى الكسب . لأن العمل حافز الى الرقى . والرقى يجعلنا سعداء وينمى شخصيتنا .

فإذا انتظم لنا العمل أو اذا انتظمت لنا الهواية التي نعالج بها سأم العمل غير المحبوب فإننا نكون قد قطعنا شوطا بعيدا فى تحقيق السعادة . وعندئذ نواجه مسألة أخرى هى العائلة — نعنى العائلة التى يكونها الشاب بالزواج . فمهما يكن نجاحنا فى الحرفة فإننا لن نسعد اذا شقينا فى العائلة . والعائلة التى نسعد بها هى تلك التى تبنى على الحب والتى تؤلف على الأسس الديمقراطية بين الزوجين . حيث نسير شؤون البيت بالشورى . ولكن العائلة مثل الحرفة تحتاج الى التهيؤ .

والتهيؤ للعائلة يقوم على صيانة الصحة بالابتعاد عن الرذائل التى تؤدى الى الأمراض الجنسية والتناسلية . فكلنا يعرف ذلك الشاب الذى يسلك سلوك التشرد الحرفى . يأخذ بهذه الحرفة شهرا ثم ينتقل منها الى أخرى ثم إلى أخرى . فلا يحسن شيئا . ولكنا ننسى أن هناك تشردا جنسيا قد يقع فيه الشاب قبل الزواج . بل قد يصير فيه التشرد عادة تلازمه بعد الزواج . وهذا التشرد يوقعه فى أمراض وبيلة قد يعيش مدى عمره وهو نادم عليها مكابد لآلامها . بل قد يتعود عادات جنسية سيئة لا يسهل عليه الاقلاع عنها . فإنه فى تشرده الجنسى يقنع من الحب بالشهوة ، هذه الشهوة التى تزف قواه الجسمية والذهنية والروحية . فيبدأ حياته الزوجية وهو منهوك منزوف . بل هو يبدؤها فلا يجد ذلك الزواج الذى يحفل بلذائذ الاكتشافات الجديدة . وهذا التشرد الجنسى قد يشبع الشهوة الجسمية ولكنه يفسد النظام النفسى لانه لا يلائم مع الحياة الاجتماعية . والرذيلة تتغذى بالرذيلة . فكلما استسلم الشاب للتشرد الجنسى وجد أنه يحتقر يوما بعد آخر نحو الهاوية . لانه لن يشبع من حياة الرذيلة . وهذا التشرد لا يعرف الحب . وفرق عظيم بين الحب والشهوة . الحب ينمى الشخصية ويكون السعادة ويربى الحنين ، ومكانه الزواج . أما الشهوة فتستهلك المرأة والرجل معا . الشهوة لذة عابرة أما الحب فسعادة مقيمة . والشهوة الحيوانية الفطرية التى يتخطفها الشاب لا تقارن بالحب الانسانى المثقف الذى هو ثمرة الزواج . ومن هنا قيمة العفاف والتصون قبل الزواج .

وقد كثر الكلام هذه السنين الأخيرة عن فرويد وتأكيده للخطورة العظيمة للكظم الجنسى . ولكن فرويد لم يقل قط بالاستهتار والاستسلام لنداء الجنس . فان الطاقة الجنسية يمكن أن نتسامى بها ونستخدمها لا لعبقرية المذهن ولكن لعبقرية الإرادة . وعندئذ تستحيل بخارا يقوى بحبسه ويوجه نحو الخير والخدمة .

ولكن الشاب لكى يحيا حياة الحب يجب أن يتزوج بطريق الحب . وهناك اعتبارات أخرى لا تنكر قيمتها ولكنها جميعها ثانوية إزاء الحب . ومن هذه الاعتبارات أن يتزوج من طبقته فتاة تقاربه فى المكانة الاجتماعية والدرجة الثقافية . ويجب على الشاب أن يعقد نيته على أن يؤسس بيتا ديمقراطيا وأن يجعل من زوجته زميلة وليست امرأة قاصرة توجه

وتقاد . وقد يرتاح بعض الشبان الى فكرة المرأة القاصرة الخاضعة التى ليس لها رأى . لأن قصورها أو خضوعها يكبر شخصيتهم ويوهمهم عظمة واختيالا ورياسة . ولكن هذا خطأ عظيم . لأن المرأة الراشدة خير من القاصرة . والمثقفة خير من الجاهلة والشاب الذى يبنى بيتا وعائلة يجب أن يحسب للمستقبل طوارئه . وخير له ولأولاده أن تكون زوجته امرأة راشدة مثقفة تستطيع أن تقرأ المستقبل وتبصر فى العراقيل وتربى أبناءها حتى ينشأوا رجالا نافعين . والأم التى تحسن التربية وتنشئ أبناءها مستقلين لهم كرامة ولهم نزعات الجد والشرف يجب أن تحوز هى نفسها هذه الصفات .

وقلما ييئس إنسان اذا كان سعيدا فى عائلته . والعائلة هنا تكبر قيمتها على أى شىء آخر . فإن حرفة الإنسان ومكاسبه وأيضا مكانته الاجتماعية ليست لها جميعها سوى القيمة الهامشية الى جنب السعادة التى نجنيها من الزوجة المحبة الزميلة التى نحتاج الى رأيها ونشعر كأنها هى عقلنا الباطن . هى سريرتنا . نحبها ونحترمها معا . والرجل السعيد الذى احب زوجته وزاملها لا يخشى عليه من أن يشطح ويشذ . ولن تجده متسكعا فى القهوات أو غيرها لأنه يحس أن بيته هو ملاذه ، وهو جنته على الأرض .

بعد الحرفة وبعد العائلة يحتاج الانسان لكى يحقق الشرف والسعادة إلى أن تكون له مكانة اجتماعية ملائمة لمركزه أى أنه يحتاج الى الملاءمة الاجتماعية والى أن يحس أنه عضو نافع فى المجتمع . وصحيح أن هذا الإحساس ينشأ من الحرفة ومن العائلة ولكن يجب أن تكون هناك مظاهر أخرى تبرزه وتنشطه . فيجب أن تكون لكل شاب فلسفة وجيية يعرف بها مكانه من المجتمع بل من الكون . وهذه الفلسفة هى ثمرة الثقافة النامية والتوسع الذهنى اللذين لا ينقطعان . وهى تتألف من دراسة متصلة فى الآداب والاجتماع والتاريخ . ولكن النظريات وحدها لا تكفى . فلا بد أن نضيف اليها العمل . ويجب على الشاب لهذا السبب أن يؤدى نوعا من البر وعملا من الخير يشعره بمنفعته . وكما أن الرذيلة تتغذى بالرذيلة كذلك الفضيلة تتغذى بالفضيلة . والشاب الذى يدعو الى إصلاح يجد نفسه دارسا عاملا مجدا يبحث المسائل والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية وقادرا بل متجرئا على حلها .

إن السعادة التى ينشدها الشاب تحتاج إلى :

(١) اختيار الحرفة المحبوبة حتى نرقى بها .

(٢) وتأليف العائلة الحسنة لكى تكون موئلنا وملاذنا فى الحياة .

(٣) وخدمة المجتمع حتى يعطينا المكانة التى نستحق .

ومتى وضع الشاب غايته فى هذه الأشياء الثلاثة فإنه لا بد مكتشف فى طريقه واجبات يحتم عليه أداؤها .

من ذلك مثلا الدرس والمعرفة . فإنه يجب أن يدرس وأن يعرف أشياء كثيرة والكثير من الشبان يقنع من الدرس بالشهادة ولكن هذه الشهادة يجب أن تكون البداية للتثقيف

الذاتى وليست النهاية . ويجب أن تكون لكل شاب مكتبة خاصة فى بيته تنمو معه ويدل اختيار الكتب فيها على شخصيته ورقيه .

ومن ذلك مثلا صحة الجسم . وهذه الصحة تتحقق بالاعتدال . وبالابتعاد عن العادات السيئة . فإننا قد لا نبالى العادات الصغيرة تبدأ ونحس إننا نملكها ثم لا نلبث أشهرا أو سنوات حتى نجد أنها تملكتنا وهذا هو الشأن فى عادات التدخين والشراب . والصحة الحسنة هى سمفونية بديعة تتغنى بها اعضاء الجسم وتجعل أعباء الحياة خفيفة هينة .

وطور الشباب هو الطور الذى تتكون فيه العادات . وإنى حين أرى شيخا فى الستين قد استكرش وسهدلت عضلاته وانحنى ظهره وآخر قد بلغ السبعين وهو يثب وثوب الشباب وفى عينيه وميض الذكاء وفى وجهه بريق الصحة لا أتمالك من الشعور بأن كلا منهما قد تعود عادات منذ الشباب تخلف من عادات الآخر فى الطعام والشراب والرياضة والنوم والعمل والراحة فيجب على كل شاب أن يحذر من الوقوع فى عدة سيئة مهما كانت تافهة وأن يحيل لنفسه شخصه حين يبلغ الستين والسبعين اى رجل سيكون ؟ شابا فى السبعين أم شيخ فى الستين ؟

كذلك الشأن فى التربية الذاتية، هذه التربية التى تعد فرضا على كل شاب. يربى نفسه فى شبابه وكهولته وشيخوخته ولا يترك فرصة الا ويتعلم منها درسا أو عبرة . وعندئذ يستطيع أن يقول مع الأستاذ بيتكين أو مع زميله الانجليزى " الحياة تبدأ فى الخمسين " أجل تبدأ ولا تنتهى .

لقد تحدثت عن الفلسفة التوجيهية، وعن واجب الثقافة والتربية الذاتية وخدمة المجتمع، ولكن كل هذا لا قيمة له اذا لم يكن بروح التدين أى بروح الشعور العميق بأننا جزء من المجتمع و بأنه لا حق لنا فى الأنانية و بأن خير المجتمع هو خيرنا . و بأن الفقر والجريمة والرذيلة والتقذر والفساد وسائر النقائص التى يشكو منها المجتمع إنما هى نقائصنا نحن، وأن واجبا أن نكافحها بكل ما عندنا من قوة ومال وجاه وصحة وعلم وعرفان .

ان الشاب الأمثل هو الشاب الذى لا يعيش على المستوى الغريزى يأكل ويشرب ويسمن . بل يجب أن تكون له مثليات روحية واجتماعية .

هو الشاب الذى يأبى أن يعيش فى فاقة روحية أو ذهنية لا يحس البر ولا يشتهى الثقافة بل يجب أن يمارس الخير .

هو الشاب الذى يأبى أن يعيش بسيكلوجية الدفاع كأنه فى الحياة وراء خط ماجينو . بل يجب أن يتقدم ويكافح ويقتحم .

وهو عندئذ يحقق السعادة — السعادة مع الشرف . أى السعادة مع الجهاد . ليست سعادة الهدوء والدفاع بل سعادة القوة والبر والاقتحام .

هو الشاب الذى يجعل محور سعادته الحرفة والعائلة والمكانة أى الخدمة الاجتماعية . وعندئذ لا تتحقق السعادة فقط بل يتحقق الشرف أيضا ما

سلامه موسى

صور من الريف

الشيخ عبد الجواد

قبطان القرية

بقلم الأستاذ محمد زكى عبد القادر

"يتوهم المبتدئ فى شرب الخمر أنه قوى الإرادة يستطيع أن يهجر الخمر متى شاء أو متى بدأ يستشعر مضارها . ولكنه ينسى أن الخمر تضعف هذه الارادة وتسلبه سيطرته على نفسه حتى يصبح عبدا لها لا يستطيع أن يعيش بغيرها ، وتظل به حتى تفقده رجولته وحيويته .

هذا هو المعزى الذى يجب أن يستخلص من هذه الصورة الريفية الرائعة"

المحرر

يالذكرى هذا الرجل العزيز على نفسى ، كم تأخذ منها هذه السنوات الطويلة البعيدة ، حين كنت طالبا فى المدارس الثانوية ثم فى كلية الحقوق . أقضى أغلب أشهر السنة فى القاهرة ولا أعود الى قريتى إلا فى الصيف : ثلاثة أشهر أو أربعة ، لا أكاد أخطئ فيها هذا الرجل الكريم يوما . أراه فى الصباح والمساء ، تحت ظل هذه الصفصافة القائمة على شاطئ هذا الغدير المنساب فى رقة وليونة وهدوء . وأسفاه ! ذهبت هى الأخرى . قطعوها ! . . لست أدرى لماذا ؟ وإنى إذ أزورها اليوم ، لا ألقى منها إلا آثارا عفى عليها الزمن . سكنت أعظم الشيخ عبد الجواد قبرها ، وسكنت أعراف هذه الصفصافه الجميلة قبرها ، كأنما كانا فى الحياة وعلى الموت متلازمين .

وكان الريف حينئذ سخيا نديا . كانت نسائمه الرقيقة تهب منعشة رخاء ، كأنما الدنيا كلها تبسم له . كان فى زهده وقناعته كالناسك فى صومعته ، عين الله ترعاه . وتحت ظل هذه الصفصافة فى أمسية الريف السعيدة كان الشيخ عبد الجواد يجلس إلينا يحدثنا عن شبابه وصباه . كان يضحك و يمرح و يغنى . لم يكن هم الدنيا يعرف الى قلبه السبيل . كان مؤمنا هذا الايمان العميق الذى هو طابع أبناء الريف . كان الشيخ عبد الجواد صورة منه . له نبله وصبره . فيه الهدوء والرضاء . لم تكن البسمة تفارق وجهه . مرت عليه الدنيا ببؤسها ونعيمها . ولكنها لم تجده أبدا إلا راضيا قانعا . لم تجده أبدا ، إلا الشاكر الحامد الساجد لله فى السراء والضراء .

تبارك هذا الريف العزيز المجيد ، تبارك ألف ألف مرة ! أين فى غيره يمكن أن تعيش تلك الشخصيات الراضية فى الفقر والغنى ، الصابرة فى الشدة والرخاء ، الباسمة فى الصحة والمرض .

إنى لأفتقد هذا الرجل اليوم فلا ألقاه . لقد مضى بجيل من التقاليد وجيل من الخلق الكريم. و إنى إذ أزور قريتى وأشهد قبره وقد نبت عليه العشب والكلأ ، يروح الخاطر مسرعا الى تلك الحياة الندية المنية التى قضاها الرجل سعيدا طروبا ، و إلى تلك النفس التى كانت تشع النور حواليها وهى تصطرم تحت ضغط الحاجة أو ضغط المرض .

*
* *

لم يكن أحد يتوقع أن يعيش الرجل و يموت بمثل الهدوء والسكينة اللذين عاش بهما ومات . لقد تخللت حياته متاعب . كانت الرياح تصطخب من حوله . كان الفقر يضغط عليه أحيانا . بل كان الجوع يكسر من حدة نفسه ويذل فؤاده . كان فيه ضعف شديد لعله كان مر بلائه . كان يشرب الخمر فى صباه . ولما اكتملت رجولته قاوم هذا الضعف ثم عاوده فى كهولته بل لعله اشتد . فلما تقدمت به السن تلفت صحته ، وضاع ماله ، فاجتمع عليه الفقر والمرض . كان الرجل يتحدث عن نعمة الله عليه . كان يقول إن ارادة الله له أن يشرب الخمر . وقد حاول أن ينصرف عنها فلم يستطع ، فآمن أنها قدر عليه ، وان الله الكريم سيغفر له ذنبه فيها . كان يعصى الله من غير شر ، ولكننى ما أحسبه كان بعيدا عنه ، كان فى قلبه هذا النور المضىء الذى يلمع تحت المحنة ، و يومض فى ظلام الخطيئة ، ليقول لكل الناس إن معدن هذا الرجل صاف ، وأن الله يبتليه ولكن يحبه . وما أحسب رجلا آمن وصبر على قضاء الله صبر هذا الرجل و إيمانه . لقد طوى بطنه على الجوع أياما . ولكنه ظل كريم الفؤاد لم يسأل أحدا غير الله . وظل مشرق الوجه لم يعبس أبدا .

كانت فيه على فقره فى آخر أيامه عفة لم تخذله ، وفى صدره إيمان هون عليه الحياة فى أقسى صورها فاحتمل به الفقر والمرض واحتمل أكثر من ذلك . احتمل إهانة زوجه وأولاده . كان الرجل فى آخر أيامه أشبه بالطريد . إنها محنة الخمر هدت من جسده القوى و بنيانه المتين . ولا يغفر أحد فى الريف ذنب رجل يشرب الخمر . ولذلك فقد الرجل أصدقاءه ولكنه لم يفقد إيمانه . ظل يصلى و يصوم ، وظل قلبه يومض بحب الله . كان يدعوه فى صلاته أن يرحمه من هذا الضعف ، وأن ينزل على قلبه السكينة ويهديه سبيلا سويا . ولم يستجب الله لدعاء الشيخ عبد الجواد ، فظل هذا الضعف يشتد معه كلما ازداد وهنا ، واشتعل رأسه شيبا . بل لقد بلغ هذا الضعف حد المحنة . كان الرجل فى آخر أيامه فقيرا ، فلم يكن يجد من المال ما يشترى به الخمر ، فكان يمزج الماء بالسبرتو ! . . و يشرب هذا المخلوط العجيب ، فكان يفرى كبده ، و يقطع أوصال قلبه . وكنت أحيانا أسأله أن يرحم صحته و يرحم حياته من هذه النار التى يصبها عليها ، فكان يقول : " وماذا أصنع يا بنى ، ان الله أراد بى ذلك . وله حكمة خافية . ومع ذلك أتحسبنى سأذهب الى جهنم . كلا . . إنى أعرف أن الله سيغفر لى . إن الشعور الخفى الذى يضفى على الطمأنينة لا يكذبنى . إنى سأذهب الى الجنة " والدمع فى عينى الرجل شبه دموع . بل هى على التحقيق كانت دموعا ، تضطرب بين الجفون و يحجبها أن تتساقط كرامة الرجولة فى نفسه .

وا أسفاه . لكم دعوت لهذا الرجل أن يرحمه الله من هذا الضعف . كيف كان يكون حينئذ؟ . كان يحب ابنه الوحيد. وكان يعطف عليه عطفا شديدا . وكان يحب ابنه الوحيدة بل كان يدللها . وكان كل منهما يحبه . ولكن هذا الرجل نفسه حينما يستبد به الضعف للخمر كان يأخذ القرش من قوته وقوت أولاده ، فيشترى به خمرا أو سبرتو .

يا لهذا الضعف! كيف بدل الرجل خلقا آخر! كيف أحاله وجرده من كل شيء ؟ لقد فرت كبده جرعات السبرتو فهدت كيانه ، وأهوت على جسمه العريض كأنها معاول فى يد جبار . حرقت كل عصو فيه . ضعضعت حواسه وأضعفت بصره .

كان الشيخ عبد الجواد قبانى القرية. وكان له عهد قديم سعيد، لم أشهده ولكن يحكى لى عنه من عاصروه. كانت فى الرجل شهامة الريف كاملة ونبل الريف كاملا. لم تكن الخمر قد أضعفت نفسه هذا الضعف الشديد. كان فى الصباح الباكر يخرج الى حوارى القرية وأزقتها ومعه "السيبة" الطويلة الثقيلة ، تتدلى منها "رماتها" الضخمة يزن للفلاحين أقطانهم. كل منهم يستقبله فى بشر وترحاب . وهو لا يفتأ يبادلهم النكتة والضحكة والبسمة . يشيع فى كل ما حوله جو المرح . وفى موسم القطن تكون النفوس مستعدة لهذا المرح . فإن الفلاح يبيع قطنه ويرى للمرة الوحيدة فى العام جنيهات كثيرة تدخل جيبه . ويتحول الريف كله تحولا غريبا . تزايله الكآبة والوجوم ، ويلوح كأن الحياة تدب فيه بشر وانطلاق . وتلمح على وجوه هؤلاء الفلاحين الطيبين المؤمنين الراضين شتى المعانى العميقة، فهم شاكرون لله الكريم نعمته. شاكرون له فصل الأرض عليهم وفصل ما أنبتت وما جنوا . تجد هذا يسعى الى "السوق" مسرعا مرحا ، وذاك يجرى ليلحق بقطار "الدلتا" لأنه يريد أن يذهب الى "البندر" ليشترى "كردان" لابنته التى توشك أن ترف . وهؤلاء الصبية والبنات ، بل هؤلاء الأطفال والطفلات أزهار الريف الكثيبة طول العام ، تأخذ تتفتح وتشرق فى موسم القطن ، وتطلق فى جو الريف أغانى الريف الحلوة ، يطلقونها وهم ذاهبون فى الصباح الى حقول القطن ، ويطلقونها فى المساء ، وهم عائدون الى منازلهم ندية بأرضاء قلوبهم ، شاكرة الى نعمة الله نفوسهم. فى هذا الموسم كان الشيخ عبد الجواد يعض صوره الحبيبة الى نفوس القرويين. إن الخير يسعى اليهم مع "سيبته" الثقيلة ومع رماتها الضخمة . وحين يزنون كيس القطن لكى يوزن تقف من حوله أنفاس صاحبه ، يرجو أن يبارك الله له فى الميزان كما بارك فى الزرع والجمع .

أيوه . . يا عم الشيخ عبد الجواد ربنا يطرح فى إيدك البركة .

ويأخذ الشيخ عبد الجواد يهز الرماتة ويحركها ذات اليمين وذات اليسار على العود الطويل حتى تستقر عند الميزان الصحيح، ثم يقول فى صوت أجش فيه "غنة" يجيدها قبانية الريف .

خمسة وخمسين تلتميه ... أيوه تتميه خمسة وخمسين .

ويقبل الفلاح يده طهرا لبطن ، ويقول : كله خير . نعمة من الله .

واشتغل الشيخ عبد الجواد فى صدر شبابه ناظرا لزراعة أحد الذوات . كان متصرفا على نحو ٣٠٠ فدان . فى هذه الأيام كان عهده الذهبى . كانت النقود تجرى سخية بين يديه وكان الرجل كريما جوادا . لم يعرف عنه حينئذ أنه ردّ سائلا أو أساء معاملة فلاح . كان بيته يمثل حينئذ تقاليد الريف النبيلة ، مفتوحا لكل طارق ولكل غريب ، يجد فيه الطعام والمبيت ، وربما وجد الكساء أيضا . تمثلت حينئذ فى حياة الشيخ عبد الجواد كل فضائل الريف حتى أحبه الناس جميعا، وأنس إليه الناس جميعا . وكان محدثا بارعا حاضر النكتة . لا ينضب ينبوع فؤاده. ولا يخبو نور الهناء فى قلبه. بل كان يجد منه فائضا يشعه على من حوله.

يالله ... كيف اجترأت الحمر على كل هذه الكنوز تسلبتهـا حتى آخر درهم ، وتركت صاحبها مجردا من كل شىء . ولكنها لم تجترئ على شىء واحد : هو إيمان الرجل. ظل معه فى محنته كما ظل فى حظوته . وهذا فضل من الله . فقد وجد الرجل فى هذا الايمان ملاذا مسح عن صدره وعن قلبه، وأفاء عليه الرضاء والهناء. الرضاء والهناء حتى فى أشد أيام شقوته وهو طريد أو كالطريد .

لا يزال حتى اليوم وجهه يطالعنى من خلال السنين . وجه الرجل النبيل الكريم . وجه الرجل التقى النقى لذى امتحنه الله أعظم امتحان . بسط عليه النعمة حتى لا يطمع فى مزيد . وبدلته الأيام بهـا فقرا ومرضا وتحقيرا . ولكنه ظل فى نفسه، فى إيمانه، فى قلبه مع الله . لم يتخل عنه لحظة من اللحظات، إلى أن أسلم — وا أسفاه — أنفاسه، فلم يجد صدرا حنونا يشد عليـه غطاء الحياة الأخير . ولكنه انتقل إلى رحمة ربه يغفر له ذنبه ، ويفسح له فى منازل الصديقين الراضين ما

محمد زكى عبد القادر

الى عشاق المهجور من الألفاظ

يقول صفى الدين الحلى فى انتقاد المغرمين بغريب الكلمات :

إنما الحيزبون والدردبيس ... والطخا والنقاخ والعلطبيس
لغة تنفر المسامع منها ... حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يذكر النافر الوحـ ... ـشيُّ منها ويترك المأنوس
أين قولى : هذا قديم ، ومقال : عقنقل قدموس ؟

بعض أخطاء الزوجات

إهمال العناية بالزينة فى البيت

تحسب بعض الزوجات أن الحب هو كل شيء ، وأنه ما دام زوجها يحبها فانها قادرة أن تحتفظ بسعادتها معه . وقادرة أن تظل على هنائها أبد الدهر . ولكن هذا الفهم خاطئ ، فان الحب كالنبت يحتاج دائما الى ما يحفظه مخضرا ، والى ما ينميه و يقيه شرور الحياة ، وما أكثرها .

وسياسة الزوج فن معقد ، والزوجة الذكية تستطيع أن تبلغ من قلب زوجها مالا تبلغه الزوجة الجميلة . ولعل كثيرين مما يعرفون حوادث طلاق وقعت لزوجات جميلات ، و يعرفون كثيرا من الأزواج يعيشون فى هناء مع زوجات لسن جميلات . فالجمال ليس كل شيء يرجوه الرجل فى زوجه . والحب وحده لا يشفع الزوجة فى أخطائها . بل ان هذا الحب يأخذ فى التلاشى والضعف تحت هذه الأخطاء و بسببها .

الجمال ليس كل شيء :

ونحن نعرف زوجات كثيرات استطعن بلباقتهن وحسن تصرفهن أن يكسبن ثقة أزواجهن وحبهم ، واستطعن أن يصرفوهم عن بعض الأخطاء و يبدلوهم خلقا جديدا . إن تأثير المرأة على الرجل تأثير عظيم . والرجل الذى ينكر هذا التأثير يخدع نفسه أو يخادعها ، ولسنا نعنى تأثير الجمال فحسب ، ولكن نعنى أيضا تأثير الأخلاق والتصرف واللباقة السلوك ولم يبالغ من قال : إنك اذا أردت أن تعرف مستقبل أمة فاعرف أثر المرأة فيها . فان الرجل يكسب أخلاقه من بيته . والطفل يكسب أخلاقه من هذا البيت نفسه . وفى يد الرجل بعض شؤون أمته ، وقد يكون من كبرائها وذوى الرأى فيها . ومن الطفل ينشأ رجل الغد . وليس فى البيت ملكة غير المرأة . روحها هى التى تشمله ، وذوقها هو الذى يكسبه الرونق والبهاء ، وحنانها هو الذى يطبعه بالحب والصفاء والنقاء ، فأية مهمة عظيمة وشاقة تضطلع بها المرأة ! وحسن قيامها بها لا يتوقف على جمالها بمقدار ما يتوقف على أخلاقها وثقافتها . والجمال عرض زائل ولكن الخلق والثقافة أبقى وأشد أثرا فى النفس . فالزوجة التى تعتمد على جمالها وحده فى الاحتفاظ بقلب زوجها تخطئ أشد الخطأ .

فى أيام الخِطبة :

ومن الأغلاط الشائعة بين الزوجات المصريات إهمالهن زينتهن أمام أزواجهن . فان الفتاة فى أيام الخطبة تحرص على أن تبدو فى أجمل زينة أمام خطيبها . وتحرص على أن تكون أنيقة ، لا فى زينتها فحسب ، ولكن فى حديثها وتصرفاتها . تبدو أمام عينيه فى أجمل ما منحها الله من رقة ودعة ولطف وحنان . وتظل كذلك طول عهد الخطبة وشهور الزواج الأولى . ثم ينقلب أمرها انقلابا يدعو الى كثير من الأسف : تصبح غير معنية بزينتها . ولا بأناقتها . تهمل إهمالا شديدا أن تتأنق فى حديثها وتصرفاتها ومعاملتها لزوجها . تجمل هذا كله حينما تخرج الى الأسواق ، أو حينما تزور صواحبها وأترابها . حينئذ تكون فى أجمل زينة ، زهرة باهرة الضياء والنقاء أما فى منزلها ، أما فى عين زوجها فان الأمر كأنه لا يعنيها . ترتدى فى البيت أسوأ ما لديها ، وتدخر الجميل والأنيق للخروج والزيارات .

هذا الخطأ هو سوس السعادة الزوجية ، يظل يحفر فيها فيتلفها فى بطء . وقد لا يبدى الزوج ملاحظة ما لزوجته . قد يسكت على ما يرى ، ولكنه يتألم له . انه يحب أن يشاهد زوجته بالنضارة التى اعتاد أن يشاهدها عليها فى عهد الخطبة وفى شهور الزواج الأولى ، يود أن يعود اليه هذا المخلوق الأنيق الرقيق الذى استهواه للمرة الأولى ، فأحب فى شخصه حياة الزواج ، وحلم بالسعادة ، وأيقن أن الحياة معه تشبه الحياة فى فردوس . أين هو الآن . ؟ انه ليتفقده فلا يلقاه . وإنه ليأنف أن يبدى ملاحظة ما ، إنه يكره أن يقول لها تزينى ، تجملى فهو يحب أن يراها فى زينتها وجمالها ، وأن تكون هذه الزينة والجمال من صنعها وسعيها : لكى تظل محتفظة بقلبه وحبه واهتمامه . يكره أن ينبهها الى هذا الشىء الدقيق الذى يمس احساسه وشعوره . فهو يكره أن يراها تزينت لأنه طلب منها ذلك . ولكنه يحب أن يراها أبدا كالزهرة تتجدد ماء الحياة فى وجناتها وقسمات وجهها . ويحب أن يشعر بأنها تتلمس رضاه هو ، وليس رضا الجيران والصاحبات . يحب أن يشعر بأنها تلمس كلمة الاعجاب من فمه ، واحساس العرفان من قلبه ، وليس كلمات الاعجاب من رواد الحفلات والسهرات .

يالخطأ الزوجة التى تفعل ذلك ! . . انها لو تدرى لعرفت أنها تقتل الحب الذى ربط بين قلبها وقلب زوجها . وأنها تنقض حجرا بعد حجر ذلك البناء السعيد الذى شادته فى أيام الخطبة وشهور الزواج الأولى . وزوجها يخرج الى الناس ويغشى المجتمعات والأندية ويختلف الى دور السينما واللهو ، ويلقى أينما ذهب فتيات وزوجات متزينات متجملات ، فإذا عاد الى بيته آملا أن يلقى زوجه كالزهرة المتفتحة والغصن الرطيب ، ألفاها فى أسوأ مظهر . ترتدى فى البيت ملابس لا طعم لها ولا ذوق فيها ، وتختزن أحسن ما لديها لكى تخرج

به الى الأسواق أو إلى الصاحبات . كيف يكون شعوره حينئذ ؟ ان الانسان فطر على حب المقارنة بين ما عنده وما عند غيره ، بين ما له وما ليس له . وهو قد شاهد فى الطريق سيدات متأنقات زاهرات زاهيات . وها هو ذا يجد زوجه غير معنية بزينتها ، منشغلة عنه بطفلها أو بمطبخها أو بما شئت من شؤون البيت .

شعور الزوج :

ان الزوجة مخطئة اذا حسبت أن زوجها اذا لقيها تؤثر طفلها أو مطبخها أو سائر شؤون بيتها عليه سيفرح لذلك . إنها تخطئ أشد الخطأ . إن الرجل يريد أن يكون عند زوجته الشيء الأول الذى لا يعدله شيء . السعادة الأولى التى تحس فى راحته راحتها وفى هنائه هناءها . وليس معنى ذلك أن تهمل طفلها أو مطبخها أو سائر شؤون بيتها ، ولكن معناه أن تجعل لكل شيء حقه و واجبه . وواجبها نحو طفلها أن تحبه ، وأن تعتنى به ، وأن تعطيه حنانها ورحمة فؤادها . وواجبها نحو زوجها أن تشعره بأنه الحياة لها . أن تستقبله فى أحسن زينة أن تكون له النور يضيء ظلام الحياة ، والسلام يطامن من صخب الحوادث . والحنان يمسح عن صدره متاعب اليوم ومتاعب العمل . وهى ليست مستطيعة أن تكون ذلك كله ما لم تجعل قلبها لزوجها ، ما لم تجعل زينتها له ، وخيالها متجها نحوه . أن تتحرى ما يعجبه مما تلبس فتركن اليه ، أن تدخر أحسن ملابسها لزينتها أمام عينيه . وليس معنى ذلك أن تهمل زينتها اذا خرجت الى الأسواق أو اذا زارت صاحبة لها . ولكن معناه أن يكون الشيء الجميل الأول لزوجها فهو سر سعادتها . والاحتفاظ بقلبه أساس هنائها . ولن تستطيع أن تفعل ذلك ، اذا وقعت عيه منها على ما يسوء . اذا شعر أنها تشترى الفساتين الجميلة لكى تكون أكثر صاحباتها أناقة . ولكنه يسعد اذا فعلت ذلك لأنها تريد أن تكون جميلة فى عينه . لا يعنيها أن تكون أكثر صاحباتها أناقة ، ولكن يعنيها أن تكون أعظم نساء العالم قربا الى قلبه .

تصحو من نومها مبكرة :

والزوجة الذكية الفؤاد ، الحريصة على هنائها تصحو من نومها مبكرة قبل زوجها وأولادها بساعة على الأقل ، تستطيع خلالها أن تشرف على إعداد ما يحتاجون اليه فى الصباح ، وأن تستكمل زينتها فإذا استيقظ زوجها من نومه طالع منها ثغرا باسما وقلبا طروبا ، ونظرا يسر العين ويشرح الصدر . ولو عرفت الزوجة حينئذ مقدار ما يشعر به زوجها من البهجة . لو عرفت إحساسه بالجميل لها أن شاعت فى نفسه هذا الشعور البهيج ، لأدركت مقدار ما وفقت إليه من نجاح .

فإذا خرج زوجها ، انصرفت للعناية بشؤون بيتها ، وأشرفت على تنظيمه وتنسيقه وتجميله ، وهى فى هذه الفترة-لابد أن ترتدى ملابس خاصة لأنها ستعمل ، وقد تضطر الى دخول المطبخ ، بل لا بد أن تدخله مهما يكن لديها من الخدم . لا بد أن تكون روح بيتها ، وأن يكون ذوقها واضحا فى كل شىء : فى إعداد البيت وتنظيم الغرف . فى تنسيق المائدة وتخير أصناف الطعام .

فإذا حان موعد قدوم زوجها فرغت إلى زينتها ، وكست وجهها بهذه الابتسامة الراضية التى كأنها حب ووفاء وحنان ، واستقبلته فرحة باسمة الفؤاد ، مهما تكن متاعب نهارها ومهما تكن مشاغل قلبها . فان من حق زوجها عليها أن يجد هـذا منها . من حقه أن يشعر حين تطأ قدمه أرض بيته أن يحس بأنه أسلم خارجه كل متاعبه . أنه وصل الى الراحة التى يشعر فيها بالظل والحب والحنان والهناء .

التضحية من أجل الغير :

ما أنبل الخدمة التى تؤديها الزوجة للرجل بذلك . أنها تزيد من احساسه بنعيم الحياة . إنها تعطيه القوة على مكافحتها . إنها تطوق عنقه بجيادها ، فيظل اسمها فى فؤاده مرادف الصفاء والهناء . أى رجل لايحب مثل هذه الزوجة . وأى حب لاينبت فى الفؤاد لمثل هذه الزوجة ، وأى نعيم فى القلب لا تشعر به . إنها تشيع فى جو بيتها الحنان والهناء . إنها بما وهبها الله قادرة أن تسكب على ظلام الحياة من ضوء فؤادها المنير . وما أصدق ما قالته الكاتبة الإيطالية " جينا لا مبروزو " " إن فى قلب كل امرأة كنزا من الحب والحنان والعطف . إن المرأة تشعر كأنها ترضى غرائزها حينما تضحى من أجل غيرها . ان التضحية من أجل زوجها وأولادها بعض طبائعها . إن سعادتها فى أن تجدهم راضين مغتبطين . انظروا الى العذراء فى بيت أبيها . إنها هى الأخرى تضحى من أجل الآخرين . تخدم أخوتها وأخواتها وأمها وأباها . تشعر كأنما هى أم للصغير فيهم . بل إنها لتكاد تحس هذا الاحساس كأنه حقيقة . إن فى طبيعة المرأة أن تكون أما ، والأمومة تضحية " .

وسنتحدث فى مقال قادم عن بعض الأخطاء الأخرى التى تقع فيها الزوجات . ونسارع الى القول بأن تحدثنا عن إخطاء الزوجات لا يعنى أن الأزواج لا يخطئون . ولكنا نفضل أن نتحدث أولا عن إخطاء الزوجات ، فإذا فرغنا منها تحدثنا عن أخطاء الأزواج ، ثم عن الأخطاء المشتركة بينهما .

العلاقة بين الزوجين

وتأثيرها فى المجتمع

للسيدة الفاضلة حرم حسين عنان بك

الزوج وراحته ، والولد وتربيته ، والبيت ونظامه ، هذه هى وظائف المرأة . وهى بعينها الدعائم التى يقوم عليها بناء الأسرة . وهى فى الوقت ذاته أسس المجتمع الإنسانى كله.

لو عرفت كل امرأة مهمتها فى الحياة ولم تتعد حدودها التى رسمتها لها الطبيعة ، ووهبت قلبها وعقلها لزوجها وولدها وبيتها ، لسعدت الأسر وانتظم المجتمع وقام فى ظل ظليل من النعمة والمحبة والسلام .

ولست أغلو فأزعم أن المرأة المصرية يمكن أن ترقى بالأسرة الى المستوى الرفيع ، وتنشر عليها ألوية السعادة والرخاء بدون أن نعدها هى ورجلها إعدادا ثقافيا وصحيا وخلقيا يجعلهما كفئين لتكوين المجتمع السعيد الجديد .

نعم لا بد من إعداد سليم قويم ومن تقريب بين عقليتى المرأة والرجل قدر الإمكان اذ هما شريكان فى الحياة . ولا يستقيم أمر شركة من أى نوع ما لم تتوافق وتتقارب عقول الشركاء وأخلاقهم وأهواؤهم. واذا كان هذا هو الشأن فى شركة تجارية أو زراعية أو صناعية. فما بالك بشركة قوامها الجسم والعقل والعاطفة ، وثمارها البنون والبنات ؟ هذه شركة من نوع رفيع ينبغى أن تقوم على التفاهم التام وعلى التعاون المشترك وعلى الاحترام والثقة المتبادلة.

لا أريد الإطالة فى الكلام عن بديهية مسلم بها ، وهى أن المجتمع ما تكون الا من الأسرة فاذا صلحت الأسرة صلح المجتمع ، والدليل قائم فيما أثبته تاريخ الاسلام . ففى صدره عمر المسلمون واصلحوا وفتحوا وسادوا ونبغوا فى العلوم والفنون ، اذ كان مجتمعهم سليما قائما على أسرة متحابة متضامنة وعلى زوجية صحيحة رسم الاسلام حدودها وآدابها وواجباتها على أحسن مثال ، فلما توسع المسلمون فى تطبيق المباحات واجترأوا على المكروهات بإسرافهم فى الطلاق وتعدد الزوجات ، فسدت الأسرة ففسد الاجتماع . ومن ثم شاع التشرد والفاقة والمرض وقل الانتاج القومى لدرجة تنذر بالانهيار .

علموا البنت تعليما يهيئها لتكون ربة بيت كاملة . ثقفوها بمعلومات عامة لتساير زوجها فى تفكيره . علموها كيف تحسن انتقاء ألوان الطعام وتنسيقها تنسيقا علميا يجمع بين تغذية الجسم التغذية الصحيحة وبين حسن الذوق ولذة التذوق . عودوها أن تكون من اللباقة بحيث تستطيع أن تتعرف ميول زوجها فتوفر له ما يشتهى وتجنب ما لا يروقه . زودوها

بمعلومات عامة وعلموها أن تنظم بيتها حسب مركزها ومقدرتها بذوق سليم ونظافة تامة ، وأن تعتنى بشخصها وأولادها عناية فائقة حتى يأنس شريكها الى البيت وتطيب له مجالستها ومحادثتها فإذا خرج لرياضة أو تسلية كان شديد الرغبة فى مصاحبتها فتكون صديقته ويكون الاولاد رفقاءه وزملاءه داخل البيت وخارجه .

علموا الزوج تعليما يمكنه من اكتساب رزق حلال فى أى ميدان شريف ، فإن كفاءة الزوج على الانفاق من أهم ما يصلح به حال الاسرة . حذبوا الزوج ليكون رحيما بزوجته بارا بأولاده لايلجأ الى طلاق امرأته وتشريد أولاده لأتفه الأسباب ، وأبعدوا فيه روح التضحية لأسرته حتى يكون لها وحدها يعيش من أجلها ويفنى فيها .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الزوجة الصالحة التى تفهم رسالتها على الوجه الأكمل هى التى تحافظ على أموال زوجها محافظتها على أموالها نفسها ولا تأخذ بالمثل العامى القديم " انتف طيرك وإلا يطير لغيرك " فهذا تفكير سقيم نتيجة نظام فاسد عتيق .

وبعد فنى المسألة نقطة هامة لها خطرها ، وهى ضرورة تقارب السن بين الزوجين ففى ذلك ضمان لتقارب العقليات والأمزجة ، ولقد أثبتت التجارب أن الزواج القائم على فوارق بعيدة والذى لايصدر عن حب أو تقدير لا يمكن أن يسوده التفاهم والتجانس ، فلا يطول عهده ولا تكون ثمرته أسرة سعيدة هانئة .

وينبغى للزوجين كلما طالت أيامهما أن يبذلا كل ما فى وسعهما لتنمية الصداقة والعطف بينهما حتى يكونا مثلين قائمين لأولادهما فينشئوا مجردين من روح التنابذ والتحاسد والتنافر يسودهم التعاون والعطف وروح التضحية والتراحم .

يوم نصل الى نعيم هذا الطراز الصالح من الأسرة سيسعد مجتمعنا ويرقى ، وتنعدم منه كل أسباب الفساد ما

حرم حسين عنان بك

أثر الحفاء في الصحة العامة

لحضرة صاحب العزة الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

اتصل بر المليك بالطبقات الفقيرة من رعاياه منذ نشأته، وعم عطفه الجميع خصوصا الفلاح والعامل . وفي مناسبات لا تحصى أبهج قلوبهم وأشبع بطونهم وكساهم . وبمناسبة بلوغ جلالته الواحدة والعشرين من عمره أراد أن يكون عيد ميلاده عيدا يسعد فيه المحرومون فتبرع بألفي جنيه لمقاومة الحفاء فكان القدوة الطيبة الصالحة للقادرين من المصريين على التبرع لهذا الغرض المفيد الذي يرمي الى تحسين حال الفقراء ورفع مستوى الشعب وصيانة صحة الناس .

فمشروع مكافحة الحفاء متعدد النواحي . وسأتكلم عن ناحية الوقاية من الأمراض المتوطنة ، ولما كان عدد الحفاة يربى على ثلاثة أرباع الفلاحين في الريف فالواجب يحتم تعميم أرخص نوع من الأحذية يكفل الوقاية من المرض .

عدوى مرض الانكلستوما :

تصيب ديدان الانكلستوما ٥٠٪ من المصريين في المتوسط وتصل النسبة أقصاها في قرية المعصرة بالقرب من حلوان حيث تصيب ٨٨٪ وتعيش ديدان الانكلستوما في أمعاء الإنسان حيث تضع بويضاتها . وهذه البويضات تخرج من الجسم في البراز وتجد المكان الملائم لنموها في الأرض الرطبة في طرقات القرى وزرائب المواشي وفي الأرض الفضاء حول القرية وبالقرب من الماء على شاطئ النيل أو الترع أو المساقي القريبة من القرية حيث يذهب الكثيرون لجلب الماء للاستعمال المنزلي وللشرب .

وعند ما تفقس البويضات تخرج منها صغار ديدان الانكلستوما التي تتغذى من المواد البرازية وتنمو وتتطور إلى الدور الذي يجعلها تخترق قدم الإنسان إذا ما لامسته عاريا وتنفذ إلى الدم وتستقر نهائيا في الأمعاء حيث تعيش على الغشاء المخاطي للامعاء وتمتص الدم وتفرز فيه سما من بعض الغدد التي في جسمها وتسبب فقر الدم والضعف والهزال فتعيق نمو الأطفال بدنيا وعقليا ، وتجعلهم أكثر استهدافا للأمراض وأقل مقاومة لها وتحط من من إنتاج الأفراد إلى حد كبير .

أثر النعال فى الوقاية من عدوى الإنكلستوما :

أجمع الباحثون فى مرض الأنكلستوما على أن أى لباس للقدم يحول بينه و بين تربة الأرض يكون ذا أثر كبير فى مقاومة عدوى الأنكلستوما .

(١) فقد قارن "سميلى" فى البرازيل عدوى الأنكلستوما فى ٢٩ فردا من الفلاحين الذين اعتادوا لبس الأحذية بعدواها فى ١٤٨ فلاحا يعملون حفاة وكانت الأحذية ضخمة وثقيلة ومصنوعة من جلد لم يحسن دبغه وتكثر فيها الخروق ، فكان متوسط عدد الديدان فى الفرد من الجماعة الذين يلبسون الأحذية ٢٧ دودة بينما يؤوى الفرد من الحفاة فى المتوسط ٢٥١ دودة .

(٢) وقد لاحظ "شاندلر" سنة ١٩٢٩ أن سكان مقاطعة "شان" فى بورما يلبسون الصنادل و يخلعونها عند قيامهم بالعمل فى الحقول أو عند ما يدخلون منازلهم . وقد عزا قلة الإصابة بالإنكلستوما بينهم إلى هذه العادة وكان عدد الديدان فى المصابين منهم قليلا جدا إلى حد يجعل الإصابة بالإنكلستوما فى هذه المقاطعة تافهة لا تستحق الاهتمام .

(٣) وقد شوهد فى الأقاليم الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك فى استراليا أن الأطفال يسيرون حفاة إلى أن يبلغوا سن الرابعة عشرة ثم يلبسون الأحذية بعد ذلك وأن عدوى الإنكلستوما تنتشر بين الأطفال إلى سن السادسة عشرة ثم تقل جدا بعد ذلك كما نلاحظ من الإحصاء التالى :

السن	عدد ديدان الإنكلستوما فى كل فرد فى المتوسط
٧ سنوات	٦,٦
٨ »	٩١
١٠ »	١٣٨
١٢ »	١٤٤
١٤ » بعد لبس الأحذية	١٨٠
١٦ »	١٩٨
١٨ »	٩٤
٢٠ - »	٢٤
٢٢ »	٨

والديدان تعمر عدة سنوات فى أمعاء الإنسان ولذلك لا يظهر أثر لبس الأحذية إلا بعد عدة سنوات من انقطاع أو قلة العدوى الجديدة .

وفى البيئات التى لا تلبس أحذية لا نلاحظ أى تناقص فى عدد ديدان الإنكاستوما التى يؤويها الفرد حتى يبلغ الخمسين من عمره .

الأعمال الزراعية وعدوى الانكاستوما ولبس النعال :

يصعب العمل على لابسى الأحذية أو غيرها من أنواع النعال فى الأرض الزراعية المروية حديثا خصوصا فى الأرض السوداء الثقيلة والخفيفة والأرض الصفراء، وقبل بلوغ التربة درجة الجفاف التام تصير بعض الأراضى لزجة جدا بحيث يلصق الحذاء العادى بالأرض ويخرج القدم منه عاريا .

وقد دعا هذا سكان بعض المناطق الزراعية خصوصا فى بورما، حيث يكاد يكون لبس الصنادل عاما ، إلى أن ينزع الفلاحون هذه الصنادل عند قيامهم بالأعمال الزراعية .

وهذه ستكون الحال فى مصر ، فمن العسير القيام بالأعمال الزراعية فى حالة الانتعال إلا إذا كانت الأرض جافة .

قدم الفلاح وطبيعة الأرض :

ولما كان اعتماد القطر المصرى فى ثروته على العمل الزراعى الذى تقوم به جمهرة السكان وهم الفلاحون فيجب أن لا يتعارض مشروع تعميم لبس النعال مع كفاءة الفلاح كعامل زراعى . ويمتاز باطن قدم الفلاح بغلظ جلده حتى لا يتأثر بخشونة الأرض وما بها من حصى صغير وشوك وجذور النباتات المقطوعة وغيرها . وكذلك تمتاز بانفراج أصابع القدمين وسهولة تحريكها نظرا لاستعمالها المستمر فى حفظ توازن الجسم عند المشى على الأرض المروية حديثا التى يسهل الانزلاق عليها وعندئذ يكون لحركات أصابع القدم بالانثناء فى العلين أو الانبساط أثر فى حفظ توازن الجسم . كما يشاهد ذلك أيضا فى الفعلة الذين يصعدون السقالات المصنوعة من الخشب فى بناء العمارات بينما لا يتيسر للابس الحذاء الصعود عليها بنفس السهولة التى يجدها هؤلاء العمال . ولبس الحذاء العادى يحصر أصابع القدم حصرا بحيث تفقد وظيفتها بمضى الوقت . وهذا هو المشاهد فى أقدام معظم سكان المدن الذين اعتادوا لبس الأحذية طول حياتهم . فلا يمكن لأى منهم تحريك كل أصبع من أصابع رجليه منفردا وتجدها جميعا ملتصقة ببعضها حتى أن جلد هذه الأصابع يعمل سطوحا وزوايا لا توجد فى القدم العارية . ولكن ليس فى شغل الفلاح بحقله عارى القدمين ضرر من

وحركة العدوى بالانكلستوما كما دلت المشاهدات فى بورما، فإن خطر العدوى مصدره السير بالقدم العارية فى الأماكن الملوثة حول القرى وفى طرقها، أما الغيط فمع انه لا يسلم من تبرز الفلاحين إلا أن كمية البراز التى تكون فيه قليلة جدا بالنسبة لمساحته ؛ والفرصة المناسبة لحصول العدوى هى أن يضع الفرد قدمه فى المكان الذى تبرز به شخص مصاب قبله بمدة لا تقل عن خمسة أيام ولا تزيد عن ثمانية أسابيع ومثل هذه الفرصة نادر أو قليل .

وعند القيام بحرث الأرض وهى جافة سوف تق هذه الحدوة أقدام الفلاحين من الحصى وقطع الطين المتجمدة وجذور النباتات .

وعلى ذلك فالمقترح هو لبس الحدوة أو النعل، وهى تصنع عادة من جلد الجمل قطعة واحدة مسطحة على قدر باطن القدم تترك للأصابع الحرية التامة فى الحركة ، وباحتكاكها باستمرار مع باطن القدم عند المشى تحتفظ بغلظ جلده . والفلاح سينزع هذه الحدوة عند اشتغاله فى الغيط ، ولذلك سيحتفظ بصفات القدم الطبيعية الهامة فى أعمال الزراعة . وقد عمد بعضهم أخيرا إلى صنع الحدوة من الكاوتشوك من الاطارات القديمة التى يستغنى عنها أصحاب السيارات ويكلف النعل منها قرشا واحدا وهو من وجهة اتقاء عدوى الانكلستوما وسهولة العمل فى الحقول الجافة كاف .

قال "شاندلر" فى كتابه عن مرض الانكلستوما سنة ١٩٢٩ نتيجة خبرته الطويلة فى الهند: "إننا حين نفكر فى لباس للقدم ينحصر تفكيرنا فى الأحذية المصنوعة من الجلد ونجد صعوبة فى التفكير فى أى نوع آخر . والحقيقة أن كل مايلزم لسكان البلاد الحارة هو قطعة من الخشب تحت القدم، وهذه فى نظرنا نحن الذين تعودنا لبس الأحذية تعتبر طريقة وحشية وغير مريحة ولا يمكن أن تطاق ، ولكن سكان البلاد الحارة يقنعون بها ويفضلونها على حصر أقدامهم فى أحذية من الجلد نعتبرها نحن ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها".

وقاية الأطفال خاصة من الانكلستوما :

الأطفال أكثر استهدافا لعدوى الانكلستوما من البالغين، وهى تؤثر فيهم تأثيرا سيئا إذ هى تعيق النمو البدنى والعقلى. وقد يبلغ مقدار ذلك فى العدوى المتوسطة سنتين ونصف سنة فى طفل عمره ١١ سنة، أى أنه يساوى فى ذكائه طفلا فى الثامنة والنصف من عمره حسب مقاييس الذكاء. فمن المهم أن يلبس أطفال الفلاحين هذه النعال أيضا عندما يذهبون الى المكاتب الالزامية حتى لا تتغير صفات أقدامهم فى هذه السن المبكرة. ومما يجدر ذكره فى هذا المقام انه شوهد فى أكثر البلاد الحارة وفى مصر أيضا أن متوسطى الحال من الفلاحين بل وبعض كبارهم أيضا الذين يلبسون الأحذية دائما لا يجدون حرجا فى ترك أطفالهم حفاة .

أما أطفال المدن والمحافظات فليس هناك ما يمنع من لبسهم الصنادل إذ أنهم لا يزاولون الأعمال الزراعية فى مستقبل حياتهم، فلبس لأقدامهم الأثر الهام فى نجاحهم فى حياتهم العملية وسيكون للحذاء فائدة خاصة فى مديريات أسيوط وجرجا وقنا وأسوان وهى الوقاية من لدغ العقارب.

مرض البلهارسيا :

لاتقى الأحذية العادية من مرض البلهارسيا ، فالعدوى تحدث بأن يخترق مذنب ديدان البلهارسيا القدم أو أى جزء من الجسم العارى الذى يلامس المياه التى توجد بها قواقع تعيش فيها البلهارسيا .

وهذه القواقع تكثر فى مجارى الرى الصغيرة وتقل جدا فى النيل والترع الكبيرة خصوصا تلك التى تجرى فيها المياه على شىء من السرعة ويقل نمو الحشائش بجوانبها .

وعلى ذلك فكل عمل يؤدى الى غمر أى جزء من الجسم فى هذه المياه يؤدى الى العدوى كاستعمال الطنبور أو تنقية حشائش الأرز أو تحويل المياه أثناء الرى .

وللوقاية من هذه العدوى توجد طرق عديدة هى الآن على وشك التنفيذ فى مديرية الفيوم ، وهى حملة تؤيدها وزارة الصحة والبرلمان والحكومة ومفتوح لها اعتماد قدره ٥٠,٠٠٠ جنيه فى السنة المالية الحالية .

على أن وقاية القدم والساق من عدوى البلهارسيا بتعطيتها بنوع من الأحذية لاتعتبر طريقة عملية لأنها تتطلب :

(١) نوعا خاصا من الأحذية التى ليس بها مسام ينفذ منها الماء وتكون طويلة الرقبة حتى تبلغ الركبة وهى النوع المسمى " جاك بوت " .

(٢) وجد بالتجربة أن هذا النوع من الأحذية يعيق لابسه كثيرا فى قيامه بأعماله فى الماء ويؤدى الى الانزلاق والوقوع فى الغيط .

(٣) يستدعى ذلك استعمال نوعين من الأحذية لكل فلاح أحدهما للشى والآخر للاستعمال فى الماء .

(٤) ثمن هذه الأحذية مرتفع جدا وليس فى مقدور عامة الفلاحين مطلقا .

(٥) علاوة على ذلك تبقى الأيدى معرضة للعدوى ، ويجب أن تغطى بقفازات من الجلد ليست بها مسام .

لذلك لم يتقدم أى باحث له إلمام بأحوال المملكة المصرية باقتراح هذا النوع من الحذاء لمقاومة البلهارسيا ، ولو أنه مذكور فى بعض المراجع كطريقة نظرية للوقاية قاصرة فقط على العلماء الباحثين الذين يضطرهم عملهم الى فحص الاماكن الموبوءة بأنفسهم ما

محمد خليل عبد الخالق

مبادئ الوطنية والكرامة

فى دروس التاريخ بالمدرسة

بقلم الانسة المهذبة حميدة قطب

من أهم العوامل التى تبعث فى نفس الفرد الوطنية والاعتزاز بالقومية وبالكرامة الشخصية، أن يعرف أنه من أمة عريقة قوية ، تاريخها مملوء بالبطولة والعظمة والسيادة . ومن أهم مايضعف فيه روح الوطنية والقومية و يضطره إلى احتقار نفسه ووطنه أن يعرف أنه من أمة ضعيفة حقيرة ، لم تكن تتزحزح عنها أقدام غاصب حتى ترتمى تحت أقدام غاصب . لهذا كان التاريخ أهم مايجب أن يوجه إليه الاهتمام فى التربيـة ليتلقى التلميذ مبادئ الوطنية والكرامة فى حجرات المدرسة قبل أن يشب وتتكون آراؤه .

ويخيل إلى أنه لو حذفت دراسـة التاريخ من المدارس المصرية لكان هذا خيرا للأمة من تعليمه لأبنائها فى الدراسة الابتدائية والثانوية على هذه الصورة التى تزعزع فى نفوسهم كل اعتداد بمصريتهم و بشخصيتهم ، وتجعلهم يحتقرون أنفسهم ووطنهم و يشعرون أنهم خدم لهؤلاء الأجانب الأسياد ، و يعتقدون أن مصر أمة ضعيفة صغيرة خلقت لتحتلها الأمم الكبيرة وتكون تحت سيادة أو تحت حماية دوله عظيمة ، بحيث لاتملك التصرف حتى فى شؤونها الداخلية ، ولا تستطيع أن تبدى رأيها فى مصيرها . فمثل هـذه الأمة فى نظر هؤلاء الصغار لا تستحق منهم الاحترام ولا الجهاد ولا التضحية فى سبيلها .

إن طبيعة سن التلاميذ فى المدارس الابتدائية والثانوية تجعلهم يحبون البطولة والأبطال بقدر مايحتقرون الأمة الضعيفة المحتلة التى لاجيش لها ولا أسطول يدافعان عنها إذا اعتدت عليها دولة أخرى ، وإنمـا يدافع عنها الأجانب أصحاب السيـادة فيها ، وهم فى هـذه السن لا يستطيعون أن يقدروا الظروف التى رمت بهذه الأمة فى أحضان الاحتلال .

لهذا كان على وزارة المعارف إذا أرادت أن تنشئ لمصر جيلا تعمر نفسه الوطنية والقوة والاعتداد ، أن تغير منهج التاريخ التى تدرس الآن . ولا أقصد بهذا أن تغير تاريخ مصر أو تستبدل به تاريخ أمة أخرى ! إنمـا أقصد أن تنظمه وتقسمه على حسب عقلية التلاميذ فى سنيهم المختلفة ، وأن تدرسه بطريقة تشعرهم بأنهم من أمة عظيمة عريقة قوية بين أمم العالم.

يدرس تلاميذ المدارس الابتدائية الآن تاريخ فترة من أسوأ الفترات وأضعفها فى تاريخ مصر، وهى الفترة الواقعة ما بين حكم العثمانيين والعهد الحديث؛ وهذه فترة ضعف وانحلال فى قوى الأمة المادية والمعنوية لم تنته إلا من عهد قريب . ففيها عصر الاحتلال التركى ، وهو عصر يجب ألا يعرفه الأطفال ، لما فيه من تحقير وتصغير لمصر والمصريين وإهانة لكرامتهما وإذا لم يكن بد من تدريسه لهم فيجب أن يدرس بطريقة تسخطهم على المعتدين وتشعرهم أن مصر مهما كانت محتلة فهى أمة عظيمة لا تقبل أن تهان كرامتها ، لا أن يدرس على هذه الطريقة التى تشعرهم بأن هذا الاحتلال وهذه الإهانة كانا أمرا طبيعيا لا يثير فى نفوس المصريين أى تذمر بل يقابلونه بالرضا والاستسلام .

وفى كتاب التاريخ للسنة الرابعة الابتدائية أن السلطان العثمانى وضع لحكم مصر نظاما يضمن به بقاءها على الدوام ولاية عثمانية، وأن من أهم عيوب هذا النظام أن مدة الوالى كانت قصيرة، ولذا كان الولاة يهتمون بجمع المال لأنفسهم ويهملون مصلحة البلاد فكثر النزاع بين الوالى والديوان ، ولا يذكر المؤلفون بعد ذلك أثر هذا النظام فى نفوس المصريين وتذمرهم وإحساسهم بحرماتهم حتى من مجرد الاشتراك فى حكم بلادهم التى يجب أن يحكموها بأنفسهم، ليعرف التلاميذ أن الشعب المصرى لم يكن راضيا ولا مستسلما بل كان يتحين الفرص لإظهار سخطه وتذمره .

وفى هذه الفترة أيضا يدرس تاريخ الحملة الفرنسية على مصر ، ويظهر فيه ضعف المصريين وانحلال أخلاقهم ورغبتهم فى ممالأة الفاتح بمحاولة إرضائه والتقرب اليه وخمود كل عاطفة وطنية فى النفوس وموت كل نزعة استقلالية فى القلوب .

ثم تكمل إضعاف روح التلاميذ الوطنية بعصر الاحتلال وما سبقه من تدهور الحالة الاقتصادية واستدانة مصر وتدخل الأجانب فى شؤونها الداخلية ، دون أن تثير فى نفوسهم التمرد على الاحتلال، بل نقول لهم إنه قد أدخل فى مصر إصلاحات عدة كتخفيض الضرائب وتحرير الفلاح وتحسين وسائل الرى . فلماذا إذن يبذلون جهدا للاستقلال وتلك فضائل الاحتلال ؟ !

ان هذا البرنامج كان صالحا لعهد الاحتلال، لأنه يجيب رغبته فى إضعاف الروح الوطنية والقومية وحب الاستقلال فى الشباب الذين تقوم على أكتافهم كل حركة وطنية لتحرير بلادهم .

والتلاميذ الصغار الذين يدرسون تاريخ بلادهم بمثل هذه الطريقة لا يمكن أن تستشعر نفوسهم العزة القومية ولا الكرامة الوطنية، حتى إذا شبوا وفى نفوسهم بذور الضعف والدعة

والخمول نعيب عليهم هذا وتتهمهم بأن هذا كامن فى طبيعتهم ، مع أننا لو بحثنا عن سببه لوجدناه فى دراسة التاريخ على هذه الصورة .

يحسن ألا يدرس التلاميذ فى المدارس الابتدائية إلا سيرة الأبطال القوميين فى أسلوب روائى مشوق يثير ما كمن فى نفوسهم من وطنية وقومية ؛ وسيرى كل تلميذ فى هؤلاء العظماء مثلا عاليا يود لو يحققه ليكتب له الوطن والتاريخ مثل ما كتب لهم من مجد وخلود .

ثم يجب أن يدرس التلاميذ بعد ذلك فى المدارس الثانوية كل عصور النهضة فى التاريخ المصرى القديم والحديث ، وتترك الدراسة الشاملة لعصور الضعف والانحلال ، وعصور القوة والعظمة للطلبة فى التعليم العالى ، فمعرفتهم لهذه العصور فى مثل هذه السن لا تؤثر فى وطنيتهم ولا فى احترامهم لمصر ولأنفسهم ، ثم هم يستطيعون أن يعرفوا طبيعة الشعب المصرى والظروف التى رمت به فى كل مرة فى أحضان الاحتلال .

قرأت أن أمبراطور ألمانيا السابق دخل فصلا فى مدرسة أطفال فسمع المدرس يقول لهم : إن ألمانيا كانت عدة ولايات متفرقة . فوقف الامبراطور وقال لهم : "إن هذا الكلام غير صحيح وألمانيا لم تكن فى يوم ما ولايات ، بل خلقت كما هى الآن أمة متحدة عظيمة" وبعد انتهاء الدرس قال للمدرس : "إن هؤلاء الأطفال يجب ألا يعرفوا عن بلادهم إلا العظمة والقوة منذ أن نشأت ، ويجب أن تترك الدراسة التفصيلية لطلبة الجامعات" .

هذا هو رأى الألمان فى دراسة التاريخ ، ولكن النظرية الأمريكية على نقيضه ، فهى تقول بوجوب دراسة التاريخ كما هو ، وألا يتأثر بالعاطفة القومية ، لأن اتصاله بهذه الناحية يعلم كل تلميذ أن بلاده يجب أن تسود العالم ، فاذا شب هؤلاء التلاميذ رغبوا فى تحقيق ما تعلموه فتشتعل نيران الحرب وينشأ التطاحن بين الدول .

وقد نشأت هذه النظرية عند الأمريكيين ، لأنهم فى قارة بعيدة منفصلة عن العالم ، وليسوا مهددين دائما بالإغارة عليهم واحتلالهم ، ولو كانوا فى أوربا أو لو كان موقع بلادهم كموقع مصر مهددا دائما بالإغارة عليها من كثير من الدول لما نشأت عندهم هذه النظرية .

وليس من الضرورى أن يتعلم تلاميذ أن بلادهم يجب أن تسود العالم ، ولكن يجب أن يفحص بمصل ضد أى احتلال ليستطيعوا أن يقاوموا غارات المعتدين على استقلال بلادهم وحريتهم ، وأن يعيشوا معتزين بقوميتهم وكرامتهم .

حميدة قطب

آسف ... متشكر

من الكلمات التى يكثر سماعها فى هذه الأيام هاتان الكلمتان Sorry—Thank you "آسف ... متشكر" ونسمعها نحن سكان خط حلوان أكثر من سكان الجهات الأخرى بسبب كثرة الجنود والضباط الانجليز فى هذا الخط .

ما يكاد أى من هؤلاء تلمس قدمه قدمك، أو يصيب طرف كسوته طرف بذلك أو يكون مسرعا فى الصعود أو النزول من القطار فيحتك بك حتى تسمع فى سرعة اللفظة الأولى ، مع إشارة من وجهه تحمل معناها اللطيف .

وما تكاد تؤدى له أصغر خدمة أو رعاية ، كأن تدله على الطريق أو تفسح له مكانا بجوارك أو تراه مستعجلا فى النزول من القطار أو الصعود إليه فتدعه يسبقك أو تترجم لغته إلى بائع البرتقال الذى لا يفهم ما يريد ... حتى تسمع اللفظة الثانية مع ابتسامة تؤيد معناها .

وفى بعض الحالات يكون بعضهم فى حالة سكر شديد لا يملك معها ضبط حركات يديه أو قدميه ، ولكنه يملك مع هذا ضبط ألفاظه وملامحه حين يبدر منه وهو فى حالته هذه ما يستدعى الاعتذار أو يبدو منك له ما يستحق الشكر ولا سيما انجليز الجزيرة الأصلية .

وليست كلمة آسف أو متشكر مجرد لفظة تقال و إلا فقدت معناها ، ولكنها دليل على التهذيب الشخصى وعلى معرفة حقوق المجتمع و احترام الآخرين ، فالرجل الذى يعتذر لأنه صدمك صدمة خفيفة عن غير قصد لا يمكن — وهذه عقليته — أن يفكر فى الاعتداء عليك أو على مالك .

وليس هؤلاء الجنود جميعا مثقفين ثقافة عقلية ، ولا هم جميعا من بيئات راقية ولكن التربية الاجتماعية العادية هى التى توحى إليهم بهذا التصرف المهذب على الرغم من أن حياة الجندية الخشنة كثيرا ما تقضى على رقة المعاملة .

أذكر هذا وأذكر بجواره ما يصادفنا فى المجتمع المصرى فى كثير من الأحيان فأرى أننا فى حاجة ماسة إلى التنبيه إلى آداب السلوك الأولية التى لا يعيش المجتمع بدونها .

كم مرة يذكر القارئ المحترم أن ماء قذرا صب فوقه من النافذة وهو يسير آمنا فى الطريق العام ، أو كومة من القمامة غمرت رأسه وملابسه ، أو عقب سيجارة نسع قفاه وكاد يشعل ملابسه ، أو قلة ماء قذعت رأسه . ثم نظر إلى أعلى حيث تهبط عليه هذه القذائف فرأى

وراء النافذة أو الشرفة رأسا يطل وينزوى صامتا خائفا فى بعض الأحيان أو ضاحكا ساخرا فى بعض الأحيان، دون أن يسمع كلمة اعتذار واحدة تخفف من وقع هذه المصيبة على نفسه.

وكم مرة كنت أيها القارئ المحترم تجلس فى الترام والمقاعد مملوءة وإذ برجل ضخم يصعد ثم يأخذ يلزك لزا ليفسح لنفسه مكانا ، ثم يضع نصفه فى المكان الذى أخلاه بزحزحتك عنه، ونصفه فوق فخذك . فإذا تململت أو ثقل عليك العبء فنهضت لتفسح له المكان نظر إليك شزرا لأنك أخجلته بين الركاب !

وكم مرة كان القارئ الكريم سائرا فى الطريق ثم أحس بصدمة عابثة تكاد تخلع كتفه ثم تلفت فإذا رجل سائر هنـاك بسرعة كبيرة وهو يلتفت خلفه ليرى ماذا صنع به دون أن ينطق بكلمة واحدة !

أو كان واقفا فى الزحام وإذا قدم ضخمة تسحق قدمه ورجل هو صاحب هـذه القدم يزيحه بعنف وهو يهرس رجله هرسا ، ليشق طريقه فى الزحام ؟ !

وكم مرة تذكر أيها القارئ المحترم أنك سمعت كلمة " متشكر " ممن يستعيرون منك علبة الثقاب فيشعلون سجائرهم، ثم يردونها إليك صامتين ، أو وهم ملتفتون فى جهة أخرى إلى أصحابهم يحادثونهم ! أو ممن يسترشدونك عن الطريق فترشدهم ثم يمضون دون أن يلقوا بالهم إليـك ! أو ممن يستعيرون منك جريدتك على غير معرفة فى القطار أو الترام فيقرؤونها فى أناة وتمهـل وتدقيق حتى إذا هممت بالنزول قبلهم تركوك واقفـا تنتظر وقـد يفوتك النزول فى المحطة التى تقصدها ، لأنهم لم يفرغوا بعد من قراءة جريدتك ، وقد يسلمونها لك أخيرا وكأنهم يستثقلون دمك لأنك استعجلتهم ، ولم تظل راكبا حتى ينتهوا من مهمتهم !

أما أنا فأذكر مرة أنى كنت أسير مرة بباب اللوق فوق الطوار . فأحسست بصدمة خفيفة من عجلة سيارة كان يوقفها بدوى ، ولم أكن قد التفت إليه بطبيعة الحال لأنى لست فى ممر السيارات . فلما التفت وجدت صاحب السيارة الضخمة غاضبا كأنه ينتظر منى الاعتذار عن صدمى لعجلات سيارته !

ولم أقصر فى إعطائه الدرس الذى يستحقه مثل هذا التصرف ، لأن التسامح مع هؤلاء هو الذى يملى لهم فى إهمال آداب السلوك ، وفى عدم رعاية الحقوق الواجبة للمجتمع .

وقص على أحد سكان مدينة حلوان — وهو رجل صاحب مزرعة بالقرب من حلوان البلد — أنه بينما كان جالسا فى الدار الريفية بجوار المزرعة قـدم إليه أحد الفلاحين ومعه ضابطان كبيران من الجيش الانجليزى المعسكر بالقرب من هناك كانا قد سألا هذا الفلاح عن الطريق فلم يفهم لغتهما فجاء بهما إلى محدثى هذا ليتفاهم معهما .

وقد اعتذرا أولا عما اذا كانا قد سببا إقلاقه بمجيئهما بلا إخطار سابق ثم رجواه فى أن يدلهما على طريق معين لأنهما يريدان بعض المناورات المحلية و يجهلان المكان ... و بعد أن دلهما على ما يريدان دعواه الى تناول الشاى معهما فى خيمتهما القريبة من مزرعته فى يوم مقبل وانصرفا يكرران الشكر مرة ومرة .

و بعد غروب اليوم نفسه كان عائدا الى حلوان المدينة ، و بينما هو فى الطريق سمع من ينادى : " إنت يا ولد يا للى ماشى هناك " فحسب أن المنادى لا يعنيه لأنه ليس "ولدا" ولكن النداء تكرر فى الظلام فالتفت نحوه فاذا هى سيارة من السيارات العسكرية، وإذا أحد ركابها يسأله : " فين شارع زكى باشا ؟ " فاقترب من السيارة واذا بها "أوتوباشى ونفران"، ولم يتوان صاحبنا أيضا فى إعطاء هؤلاء الدرس اللائق فى آداب السلوك وأن يقص عليهما قصة الضابطين الانجليزيين التى وقعت له منذ ساعات .

هذه الأمثلة التى أسلفتها تدل على النقص الذى نعانيه فى الآداب الاجتماعية الأولية، ونحن معذورون — الى حد — فى هذا النقص، فالجهل الذى يعانيه ثمانون فى المائة من الشعب وإهمال الإرشاد الاجتماعى ممن يقدرون عليه ، وتسامح المجتمع فى حقوقه إزاء العابثين بها وعدم اهتمامنا بهذه الآداب السلوكية مع أطفالنا فى المنزل أو فى المدرسة كل أولئك يشترك فى هذه الجفوة والخشونة وهذا الاستهتار فى سلوكنا اليومى .

ومن الواجب أن نعلم أطفالنا عن طريق القدوة هذه الآداب فى سلوكنا اليومى معهم ومع زائرينا وأصدقائنا أمامهم ، بل مع الخدم الذين يقدمون لنا مطالبنا . فليست كلمة "متشكر" لخادمك حين يقوم لك بخدمة مما يتنافى مع سلطة "الأسياد" وثق أنها ستشعره بالارتياح والمحبة لك والإخلاص فى خدمتك .

وكذلك يجب أن تكون كلمة متشكر وكلمة آسف وكلمة من فضلك أو أرجوك . . . وأمثالها من القاموس الشخصى للدرس بين تلاميذه فى المناسبات التى تقتضيها، و بين الرئيس ومرءوسيه فى الديوان ، بل بينه و بين الخدم والسعاة ، فان هذه الكلمات لن تنقص من هيبة المدرس أو الرئيس ، بل هى على العكس تخلق شعورا لطيفا بالاحترام والمودة .

وقبل أن ننثر هذه الألفاظ فى المجتمع ، يجب أن نقوى فى نفوس الأفراد روح الجماعة ونشعرهم بحقوقها ، حتى تكون هذه الألفاظ صدى للشعور الحقيق وليست كلمات جوفاء تلقى دون قصد أو تفكير .

كفاح المعلم الإلزامي

في محاربة الجهـــل والأمية

بقلم الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم

المفتش بوزارة المعارف

يقول العارفون : إن وسائل الحرب نوعان : ظاهرة وخفية . فالظاهرة هي العدّة ، والعديد ، والعتاد . والخفية هي العقيدة الوطنية ، والروح المعنوية ، وروح المقاومة . ولن تظفر أمة بالنصر في الحرب إلا إذا ظاهرتها هذه العوامل مجتمعة .

وأنت أيها المعلم الالزامي محارب مجاهد : تحارب الجهل ، وتجاهد في محو الأمية . فإن أسعدك الحظ وجمعت بين العوامل الظاهرة وهي عدّة المناهج ، وعتاد الإعداد ، وعديد المواطنة ، وبين العوامل الخفية وهي روح الإيحاء والاستهواء ، وروح القـدوة الحسنة ، وروح الرغبـة الصادقة كنت منتصراً في حربك ظافراً في جهادك . وإن فقدت بعضاً منها أو كلها كان مدى فشلك بمقدار فقدك .

وإن أنبل ما تطلبه الوزارة والأمة من المعلم المقتدر أن ينجح في تربية النشء تربية وطنية تامة ، وأن يفوز في تنشئتهم على الدين القويم والخلق العظيم .

وهذا واجبكم أيها المعلمون الإلزاميون إزاء تلاميـذكم الذين هم أبناء وطننا العزيز ، وهم الجيل الذي يمثل السواد الأعظم من الأمة .

ولمـا كانت مرحلة التعليم الالزامي مرحلة مستقلة قائمـة بذاتها : لهـا بدايتها ، ولها غايتها ، وجب أن تعتبر وحدة كاملة لهـا غرض واحد ، وأسلوب خاص ، ومنهج ذاتي يصبغ شخصيتها ، ويؤلف طابعها . وأسمى ما توصل إليه هذه المرحلة أن ينمو حب الدين والوطن والبيئة جميعاً في النفوس نمواً مطرداً يملك على التلميذ حسه ، وإدراكه ، ونزوعه ، وشعوره ، وآلامه وآماله ، وتفكيره وأعماله . فتحيا فيه العواطف القوية المنظمة التي تدفعه دائماً إلى مسالك الخير ، وتحركه الى ينابيع الفضل .

وليس المنهج الالزامي وحده — مهما يبلغ من القوة والحق — بقادر على تحقيق هذا الغرض ، انما تحقيقه منوط بالعوامل الظاهرة والخفيـة جميعاً ، وبالأداة المنفذة ، وما الأداة الا المعلم نفسه : ففي مكنته أن يجعل دروسه روضة فيحاء ، وأن يبعث فيها فيض

الحياة . كما أنه قد يحيلها مقابر مقفرة ، و يقتل فيها حيويتها وروحها و يجعلها ذابلة ، شاحبة الوجه ، ممقعة اللون ، ليس فيها سوى عثير الاصطلاحات وتراب المقررات ، فتراءى للتلميذ كأنها " زرق العيون عليها أوجه سود " ذلك أن المادة الواحدة قد يتناولها معلم ماهر فينسق فيها و ينوع ، و يبسط فيها و يقبض حتى يلبسها ثو با من الجمال والبهجة ، وقد يتناولها مدرس آخر فينقلها فاترة ، جامدة خالية من الحس والحركة . إلا حس الكراهية ، وحركة العداء .

ولئن كان للتعليم الابتدائى منهج يغاير هذا المنهج فذلك لأن مرحلته ليست نهائية فى ذاتها . بل هى موصلة الى التعليم الثانوى ، فالتعليم الجامعى . وكل محاولة لربط المنهجين (الابتدائى والالزامى) ستظل دائما فاشلة ، لأنها خاطئة ، وخاطئة لأنها فاشلة ، وواهية لكونها صناعية ، وصناعية لأنها لا تتفق مع طبيعة العقول والبيئات والنفوس ، وتكلف الالزاميين شططا ، بأخذهم الى ميادين ليس فيها ما يفيدهم فى ختام مرحلتهم .

وأنت أيها المعلم الالزامى يجب أن يستريح ضميرك حين تؤلف بين عناصر منهج الالزامى ، وتجعل من أحجاره المتفرقة قصرا مشيدا متماسكا ، ومن مواده المختلفة غذاء شهيا لذيذا ، بحسن طريقتك ، وجودة عرضك ، ولباقة قولك ، وحضور بديهتك .

قل لى بربك : ما ذا يستفيده الطفل من درس القط : من أن له ذيلا ، وعينين ، وأرجلا . وأنه يشبه الكلب والأرنب ، والفأر والثعلب . فى حين أنه يراه صباح مساء ، بل و يطعمه ويسقيه صباح مساء . إنه لا يمكن أن يجنى من هذا سوى إضاعة وقته الثمين فيما ليس بثمين .

لكنك لو تعرضت لهذا الدرس ذاته بشىء من التصوير البلاغى والخلقى ، والخيالى ، ووضعت هذه المعانى وما يتصل بها فى قالب أنشودة طريفة ، يقرؤها الطفل فيطرب ، و ينشدها فيعجب ، و يطالعها فيترنم : لكان هذا العرض أعود عليه فى تربية ذوقه واحساسه وتكوين عقله وأدبه .

هذا مثال أذكره لك لتخلص نفسك من نير الألفاظ المقررة فى المنهج الالزامى ، وتخرج الى فضاء الحياة النفسية اللا نهائية فتلتمس الوسائل التى تراها جديرة بالعناية ، وتأخذ بالأسباب التى تجعلها موصلة الى أحسن غاية .

وثق بأن المفتشين سيحكمون لك أو عليك بمقدار ما تتركه من أثر فى تربية تلاميذك ، لا بمقدار ما تتركه من ألفاظ ، وجمل ، واصطلاحات ، عالقة بذواكرهم وحوافظهم .

ومن المسلم به أن المنهج ليس دو كل شيء — كما قدمنا — فلا بد أن تكمله بتعويد تلاميذك العادات الصحية التي تصون جسومهم وتحفظ عليهم نضرة حياتهم ، و بأخذهم بجميل الأخلاق حتى يشبوا محبين لبلادهم و بيئاتهم ، ووطنهم ، وملتهم حبا قويا سليما فيه الخير لهم ولسائر الناس .

يقول الغافلون : ان بلادنا بلاد الجوع والضنك ، بلاد الشقاوة والعرى ، بلاد الضيق والعسر . وهذا قول يراد به أن تستشعر البلاد بالمذلة والبؤس ، وأن تنكمش شخصيتها ، وتهن من الخوف قوتها ، وتضعف عقيدتها . إن بلادنا طيبة ، يخرج نباتها بإذن ربها حلالا طيبا ، وثمرا شهيا : منحها الله تبرا فى تربتها ، وخصبا فى أرضها ، وسعة فى رزقها ؛ مما يجعل لأهلها رحبا فى العيش ، وراحة فى الحياة . فلا ضيق إلا فى العقول ، ولا فقر إلا فى الأخلاق . ولا خلاص من هذا البلاء إلا بتعليم الشعب المصرى تعليما يغرس فى نفوس أفراده حب البلاد ، واحترام الحقوق والواجبات ، و يزيد نشاطهم فى نواحى البيئات الصناعية ، والزراعية ، والتجارية ؛ لتكون ثروة الوطن فى نماء مستمر ، و بأيدى أبنائه العاملين .

وان أول ركن تقوم عليه هذه النهضة هو التعليم الالزامى .

فهل تعلم أيها المدرس إلى أى حدّ أنت مسئول ؟ وإلى أية غاية شريفة يجب أن تتجه ؟ إنك لتضع لبنة فى بناء مصر الشامخ إن عوّدت تلاميذك بر الوالدين ، وحسن السمع والطاعة ، وآداب الاستئذان والزيارة ، وآداب الحديث ، والسير فى الطرقات ، وعادات النظام والنظافة ، والقيام بالعبادات والفرائض بطرق عملية مؤثرة ، ويجب أن تنمى فى نفوسهم العواطف النبيلة ، على التدريج وقليلا قليلا ؛ لتخرج وطنيين عاملين يحبون الله ، و يحبون وطنهم ويتشاركون مع إخوانهم تشاركا فعليا له أثره فى جلب المنافع ، ودرء المضار ، والتعاون على سائر المقاصد الخيرية .

وحب الوطن هو الهدف الأسمى الذى نرمى إليه من تربية هذه الناشئة فهو الخير ، و به الحياة ، ولاحياة الابه .

والمدرسة الإلزامية وليدة ناشئة حديثة عهد بالوجود. فليست لها صبغة تقليدية تتمشى مع العرف ، وتكوّن شخصيتها ، وتجعل لها فى نفوس الناس منزلة ومكانة ، وهذا شأن كل بدعة جديدة حسنة كانت أو سيئة : تكون خالية مما ألفه الشعب وحرص عليه كل الحرص .

وما العرف إلا مجموعة من العادات والتقاليد والأخلاق والمعتقدات ، والأحكام والاصطلاحات التي تتفق عليها الأمة ، وتتواضع عليها تواضعا يثبت دعائمها ، ويوطد أركانها ، ويرفع قواعدها ويجعلها في مقام القوانين السماوية والوضعية فيخضع لها الشعب كل الخضوع ، ويتلقاها بلا مكابرة ولا منازعة ، وينفذها بتمامها ، ويظر إليها نظرة إكبار وإجلال ، وليس شيء أحب إليه مما رافقها ، وجرى مجراها .

فهل في استطاعتك أيها المعلم الالزامي — وأنت ممن يدينون بالعرف — أن تجعل مدرستك متمشية معه ومع التقاليد التي يحبها الناس ؟ أظن من الممكن أن تدخل في مدرستك الإلزامية بعض العناصر التقليدية المألوفة في المدارس الأولية : تكليف التلاميذ إقامة الشعائر الدينية ، وحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا ، مع تجويد آياته الشريفة ، والمثابرة على كل ذلك ، كما أنه من الممكن أن تستخرج من كتاب الله بعض أحكام الدين وتلقيها عليهم وعلى آبائهم بطريقة تلهمهم العقيدة والايمان .

أما إن تجردت المدرسة الإلزامية من التقاليد القديمة فانهم يفرون منها ، لخلوها مما يوافق مشربهم ، وإنهم مع عرفهم ، فينفرون ويقولون : (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ، وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ . فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) ما

محمد أبو بكر ابراهيم

للمتنبي في التحذير

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

الصبي في البيت

يجب أن نوفر له الهناء

كثيرا ما يندفع الآباء لما يشعرون به من حب عظيم لأبنائهم الى حثهم على المذاكرة . فلا يكاد الصبي يصل الى البيت محملا بحقيبته متعبا ينشد الراحة بالسكون أو تسلى بالتعب حتى تحثه أمه أو أبوه على الكف عن اللعب لكى يدرس ويحضر دروس الغد .

والوالدان فى هذه الغيرة على مستقبل أبنائهم إنما يندفعان بأسمى العواطف وأشرف العواطف ولكنهم مع ذلك غيرة فى غير موضعها . لأن الصبي يجب أن يستمتع بصباه وأن يعيش فى حصره وأن يلعب كما تلعب أطفال الحيوان . وكلما قد رأى " مرح الحياة " عند صغار الحيوان كيف تثب وتتصارع . ولو أن أحدا من الناس عمد الى جرو أو جحش أو مهر وحبسه ومنعه عن اللعب والجرى وراء أمه لاتهمناه بالقسوة والغلظة . ولكن هذا الذى نستكبره ونستفظعه فى معاملة الصغار من الحيوان نكاد نستهين به أو لا نباليه بتاتا فى معاملة صغارنا كأنهم حرموا من حقوق الحيوان .

ونحن لرجال نتأفف من أداء الواجبات المصلحية فى البيت ، ونعتقد أنه ليس من حق المصلحة أو المكتب أو المتجر الذى نعمل فيه ونكتسب منه معاشنا أن يكلفنا عملا نحمله معنا الى بيوتنا لكى نؤديه . لأننا نقصد الى البيت للراحة والاستئناس بتحدث ونتسامر وتتحاب ونخرج للتنزه أو للزيارة . فإذا كان هذا هو سلوكنا فيما يتعلق بعملنا وهوننا فلماذا نحمل على أبنائنا وننكر عليهم هذا اللهو الذى ننهو به ونحاسبهم على الساعة والدقيقة عقب رجوعهم من المدرسة ونح عليهم فى المذاكرة والدرس ؟

وهنا يرد الأب أو الأم فى حماسة شريفة : إنى أخشى أن يرسب فى الامتحان آخر العام وعندئذ يضطر الى تكرار السنة الدراسية . وفى هذا التكرار من النفقات فى الوقت والمال ما يعود عليه وعلىّ بأسوأ الأضرار .

وهذه حجة قوية لا يستطيع أحد إنكارها . فان مدارسنا تكلف تلاميذ " واجبات منزلية " يجب عليه أن يؤديها و يعود بها فى الصباح . بل حتى حين لا تكلفه هذه الواجبات يحتاج هو لكى يحتفظ بمكانته فى الفصل أو بدرجته السابقة فى المواد أن يقضى كثيرا من وقته وهو بالبيت فى المذاكرة . والعيب هنا على مدارسنا . فإن حصة الدرس كان يجب أن تكفى

التلميذ للفهم والنمو الدراسي . وهى إذا كانت لا تكفيه فلأن المعلم أساء التفهيم أو لأن المواد الدراسية أكثر مما يحتمل عقل التلميذ . فالعلاج هنا هو النظر فى كفاءة المعلم والنظر فى لياقة المواد الدراسية كما وكيفا .

ولكن الأب يمكنه أن يسارع إلى الرد : ما شأنى أنا وهذا الجدال ؟ فإن ابنى سيتقدم لامتحانات قريبة وأنا مضطر إلى أن أنظر لمستقبله وأسعفه بكل ما فى مقدورى من مال أو سلطة أو نصيحة لكى يجتاز المرحلة القادمة فيقتصد سنة من سنى المدرسة .

والحجة هنا أيضا قوية لأن العذر واضح عند الأب . ولذلك لا يسع الكاتب فى هذه الظروف إلا أن يدعو إلى الإصلاح التعليمى حتى لا يرهق التلاميذ بإداء واجبات مدرسية فى البيت . ولكن فى الوقت نفسه يجب أن ندعو الآباء إلى أن يخففوا من غلوائهم فى غيرتهم على مستقبل أبنائهم بالاعتدال فى مطالبتهم لهم بالدرس فى البيت. لأن الطفل يجب أن يستمتع بطفولته والصبي بصباه والرجل برجولته . والفترة التى تمضى من العمر لن تسترجع . وليس من الحق أن نضحى بالطفولة من أجل الرجولة، ولا بالشباب من أجل الشيخوخة. ولكن مادمنا فى ظروفنا الحاضرة فليس مفر من أن نواجه الواقع وأن نقول بضرورة إرصاد بعض الوقت فى البيت للمذاكرة. و"بعض الوقت" فقط. أما سائر وقت التلميذ فيجب أن يرصد للاستمتاع. ولا يغيب عن أذهاننا أن هذا الاستمتاع ، إذا كان نيرا يسترشد فيه الصبي بنصائح الأب الذكى، فإنه هو الآخر يكون درسا بليغا فى المعارف والأخلاق . ذلك أننا لا نتعلم من المدرسة عشر ما نكون قد عرفناه من المجتمع عندما نبلغ سن العشرين . أجل إننا نتعلم من الشارع ومن المتجر ومن المكتب ومن المذياع ومن السينما توغراف ومن المجلة ومن الجريدة بل أيضا نتعلم من الهواية التى نتخذ فى صبانا أو شبابنا .

ولهذه الأسباب جميعها يجب أن نعامل الصبي فى البيت ليس باعتبار أنه تلميذ فقط عليه أن يؤدى دروسه ، بل باعتبار أنه إنسان قبل كل شيء له حقوق الإنسان ، وربما كان أحسن ما نعامله به من هذه الناحية أن نشجعه على أن تكون له هواية خاصة يحبها ويتعلق بها وينفق عليها . فهناك الصبي الذى يحب الزرع ويهوى شراء المقصريات التى تنمو فيها الزهور . وما أعظم ما يتعلم الصبي من هذه الهواية ! فإن الزهر لم يخلق للشعراء وحدهم لكى ينظموا الأشعار فى إطرائه ووصف ألوانه وعطوره . بل هو خلق أيضا للصبيان لكى يستمتعوا بجماله وأريجه ويتعلموا منه إلى زاوية من سر الوجود. ثم هناك تربية الحيوان. وأى شيء فى الدنيا هو أجمل من دمث الصبي الذى يشغف بتربية الأرانب أو الدجاج ويفرح

ذلك الفرخ الكامل برؤية الفرخ يخرج من البيضة أوالأرنب يرضع أمه؟ ثم هناك ذلك النجار الصغير الذى يقلقنا بالدق كى يصنع كرسيا أو مائدة أو خزانه بدائية . وقس على ذلك .

شتيت ذات مرة نحو ثلاثين بزرة مختلفة من بزور القرنفل والقرطم الى بزور الكتان والسمسم والقمح وعرضتها على الأطفال لكى يتشمموها ويعرفوها بالرائحة ولكى ينظروا إليها ويميزوها باللون والحجم . فكان لنا من هذا درس وتسلية . ثم زرعت هذه البزور فنبتت .

أجل . على كل أب أن يساعد أبناءه بهواية معينة يتعلقون بها حتى يلتذوا الحياة ويحبوا طفولتهم وينبهوا ذكاءهم ولا يسأموا عيشهم ، وهو يستطيع مع ذلك أن يساعدهم فى الرقى المدرسى . فهناك الأب الذى يحادث أطفاله باللغة المهذبة العالية التى يتعودون منها صحة المنطق وعذوبة اللفظ ودقة الأداء . وهناك الأب الذى يساعد أبناءه بالحديث عن السياسة والسياحة ويقص عليهم القصص وأحيانا يحدثهم باللغة الأجنبية التى يتعلمون فى المدرسة فيكون معلما محببا يتعلم منه الصبيان من حيث لا يدرون .

وغاية التعليم — بعد المعارف الفنية — إيجاد الشخصية الناجحة الناجعة ، والمدرسة وحدها لا تكفى لذلك ، فيجب أن يعامل الآباء أبناءهم وفى أذهانهم هذا المرمى البعيد وهو أن ينشأ الأبناء ممتازين بشخصيات ناجعة ، ولذلك يجب أن يحترم فراغ الصبى وتحترم هوايته ، وأن يعطى مصروفا معينا فى الشهر وان يقدم له اشتراك فى مجلة شهرية أو أسبوعية تنمى ذكاءه الصغير وأن يشجع على مراسلتها حتى يحس أنه فرد له آراء محترمة ، بل يمكن أن يكلف القيام بخدمة خفيفة معينة فى البيت تشعره بأنه عضو مشترك فى خدمة العائلة .

بهذا أو ذاك يحس الصبى وجوده بل يشعر بشخصيته ، أما إرهاقه بالدروس والإلحاح عليه بضرورة قضاء الوقت كله فى المذاكرة فليس من العدل به ولا من الفائدة له . فاننا نجهل المستقبل وقد لا يعيش الطفل على هذه الدنيا غير أيام طفولته فليس من حقنا أن نحرمه من الاستمتاع بها بدعوى أننا نهيئه للشباب . وقد لا يعيش الشاب غير أيام شبابه ، ومن الظلم الفادح أن ننكر عليه متع الشباب لكى يتهيأ للرجولة التى قد يموت قبل أن يبلغها . ويجب فى كل وقت ألا نبالغ فى قدرتنا على التكهن بالمستقبل الذى قد يقلب جميع تدبيراتنا ويجعلنا نأسف على تحميل أبنائنا واجبات كانت عناء لهم أيام الطفولة ثم لم ينتفعوا بها أيام الشباب والرجولة . واذا كان المجتمع الرقى يرى أن اللعب ضرورة للكبار فانه يجب أن يسلم أنه أكثر ضرورة للصغار .

الإجرام والجنون

فى نظر علم النفس الحديث

الإنسان حيوان اجتماعى . ومغزى هـــذا الوصف كبير جدا عند ما نبحث الاخلاق والحضارة أو الفضائل والرذائل . فان كل ما نمتاز به من لغة أو تفكير أو صناعات إنما يرجع الى هذه الصفة الاجتماعية . والحيوانات العليا من اللبونات تنقسم فريقين أحدهما انفرادى أى أنه مثـل الأسد أو النمر أو القط يعيش منفردا . والفريق الآخر اجتماعى أى أن أفراده تجتمع قطعانا أو أجالا كالفيلة أو البقر . والإنسان ينتسب الى هذا الفريق الثانى .

ولو كان الإنسان انفراديا يعيش وحده مستقلا عن زملائه من البشر لما عرف اللغـة أو التفاهم . اذ كيف يتفاهم ولمـاذا يتكلم اذا كان منفردا ؟ بل عندئذ يقصر ذكاؤه ويحد بحدود الشهوتين الجنسية والبقائية . ولانستطيع أن نتخيل إنسانا منفردا يمكنه أن يرتكب جريمة ما إذ مع من يرتكب ؟ كما لا يمكننا أن نتخيله متحدثا راويا يميز بين الفضيلة والرذيلة لأن كل هذه صفات الاجتماع وليست صفات الانفراد .

والاجتماع بعـد ذلك قوة ، كما نرى مثلا فى النحلة . فانها منفردة ليست كبيرة الخطر فى الدفاع أو الهجوم . ولكنها عندما تجتمع بغيرها تغدو قوة لا يستهان بها . وفى تنازع البقاء بين الحيوان نجد أن الحيوانات الاجتماعية قد تكاثرت وتوافرت لها أسباب البقاء والغلبـة أكثر من الحيوانات الانفرادية . وغرائز لاجتماع هى الغرائز التى تعزى الصناعة والتجارة والحضارة إليها .

والمعروف فى السيكلوجية أن قوة الغرائز تقاس بتأصلها أى بقدمها فى الإنسان . فالقديم منها أعمق أصولا وأثبت جذورا من الجديد . واذا تصادمت الغرائز القديمة الثابتة مع الغرائز الجديدة المزعزعة تغلبت الأولى . وفى الإنسان ثلاث غرائز بدائية هى :

غريزة البقاء التى ننبعث بها الى طلب الطعام للبقاء .

وغريزة التناسل التى تبعثنا على طلب الجنس الآخر .

وغريزة الاجتماع التى تحبب الينـا العيش مع سائر البشر وتحملنا على النزول على عاداته وأقيسته واتخاذ فضائله .

ولكن الغريزتين الأوليين أقدم وأثبت من الغريزة الثالثة . فاذا تعارضت الغريزة الأولى أو الثانية مع الغريزة الثالثة وكان التعارض عظيما لا يقبل التسوية فان الأغلب أن الفرد لا يبالى الغريزة الاجتماعية بل يخالفها ايثارا لإحدى الغريزتين الأوليين . ومن هنا الجريمة . لأن الجرائم لاتعنى شيئا آخر سوى عجز الفرد عن التوفيق بين غريزته الاجتماعية و بين غريزتى الطعام (الامتلاك) والتناسل .

ونعود فنكرر هنا أنه لا معنى للاجرام اذا كان الحيوان انفراديا . لأننا عند ما نجرم يجب أن نسيء الى أى شخص آخر فى سرقة ماله أو طعامه أو أى شيء من ممتلكاته أو حتى أثناه. وكل هذه أشياء لايدركها إنسان انفرادى اذا فرضنا أنه يمكن أن يوجد مثل هذا الإنسان .

وهنا تنبلج لنا حقيقة . وهى أنه اذا أردنا أن نمنع الجرائم فى مجتمع ما فيجب علينا أولا ألا نجعل التصادم بين الغريزة الاجتماعية و بين غريزتى البقاء والتناسل متاحا . بل ننظم هذا المجتمع بحيث تتسع لكل فرد منه الفرص لأن يحصل على عيشه وأن يتزوج فى سن ملائمة . ثم بعد ذلك نربى الفرد على التعاون مع هذا المجتمع فنغرس فيه الإكبار من الفضائل التى يقول بها هذا المجتمع والنزول على عاداته والرضى بمشياته حتى يحس ألما عند ما يخالفها كما يحس ألم الجوع .

والآن نستطيع أن ندخل فى موضوعنا وهو علاقة الجنون بالجرائم . فان هنالك من يعزو الجرائم جميعها الى الجنون من حيث إن المجرم قد اختلت فيه الغريزة الاجتماعية . وفى هذا النظر بعض الإصابة . لأن المجرم يعجز عن التنسيق بين غرائزه . ولكن هذا الإطلاق و التعريف يحول دون التمييز بين الجرائم خطيرها وتافهها ، كما أنه يساوى فى التبعات بين جميع المجرمين . وقبل أن نبين العلاقة بين الجنون والإجرام نحتاج الى أن نميز بين أنواع الجنون . فان المشهور أن المجنون قد اختلط عقله وساء تفكيره . ولكن ليس هذا هو الواقع فى معظم الحالات . لأن الأغلب أن المجنون لا يسوء عقله بقدر ما يسوء سلوكه وتصرفه . وأحرى بنا أن نقول إن المجنون هو الذى اختلطت عواطفه وتزعزع اتزانها .

وأخف أنواع الجنون هو النيوروز . أى جنون العواطف . وفى هذه الحال يعرف النيوروزى أنه مريض يحتاج الى المعالجة وأنه يكره مرضه ويود لو يشفى منه . كذلك الرجل (أو فى الأغلب المرأة) التى تدخل المخازن التجارية وتلتقط خلسة بعض المعروضات التى ربما لا تحتاج اليها مما يسمى "كليتومانيا" فانها بعد أن يذهب عنها احتداد العاطفة التى أوقعتها فى هذه الجريمة تندم على ما فعلت وقد تعقد العزيمة على الكف عنها . أو كذلك السكير الذى يكره عادته ولكنه لا يطيق الإقلاع عنها . وكثيرمنا من هذه الناحية يصاب

بقليل أو كثير من هذا النيوروز الذى يحملنا على الهروب من الواقع المؤلم بالتدخين أو الشراب أو حتى أكل اللب .

ويلى النيوروز فى الخطورة ما يسمى السيكوز وهو توهم حادثة أوحال لا أصل لها. ثم يؤدى هـــذا التوهم الى اتخاذ نوع من السلوك أو التصرف الشاذ . وإذا كان السيكوز خفيفا فان المريض فى أوقات صحوه يدرك خطأه فى هذا التوهم . أما اذا كان شديدا فان العقل يعم عليه ويعتقد المريض أن جميع أوهامه حقيقية. وهو هنا لا يسلم بأنه مريض وهو يدافع بكل قوة عن أوهامه فيثبت بذلك جنونه . لأن أعظم علامة للجنون أن يعتقد المجنون أنه سليم وأن ليست به حاجة الى طلب المعالجة والشفاء .

ونستطيع أن نقول إن ٩٩ فى المائة من الجرائم من نوع النيوروز . أى أن الجنون هنا فى العواطف فقط . فان التناسق بين عاطفتى البقاء والتناسل وبين العاطفة الاجتماعية قد اختل . ولكن المريض أى المجرم يعرف هذا الاختلال ويود لو يجد طريقا آخر لتحقيق غايته بدون الجريمة . وهنا تتضح لنا مسئوليته . لانه أحس صراعا بين الإقدام والإحجام وكانت له فرصة الاختيار الى حد ما .

أما حين يكون هناك سيكوز — أى أوهام عقلية تؤدى الى تصرف شاذ — فإن المريض يعجز عن الاختيار حتى حين تعود اليه لحظات الصحو ويدرك أن هذه الأوهام لا حقيقة لها . ولكن هذه اللحظات نادرة .

والسيكوزى — بخلاف النيوروزى — يعتقد صحة أوهامه . ومن السيكوز مثلا ذلك المرض المسمى " بارانويا " فانا هنا نجد أوهاما منظمة يعتقد صاحبها أنها قائمة على أن أشخاصا يتآمرون على قتله وهو يسبقهم بارتكاب القتل إما بهم لكى ينجو من المؤامرة الموهومة وإما بغيرهم لكى يلفت النظر الى المؤامرة المزعومة . ومعظم الاغتيالات التى تقع بالرؤساء والزعماء تعود الى هذه البارانويا أى اعتقاد القاتل بأن هناك مؤامرة للإيقاع به .

وهنا يخطر لنا السكر . هل هو سيكوز أم نيوروز ؟

الواقع أن السكير قبل أن يشرع فى الشراب يعرف أنه يقارف عادة غير اجتماعية ، ولكنه أيضا يحس وطأتها وعجزه عن المقاومة فيخضع لها . فهو هنا فى نيوروز من حيث إنه عاجز عن ضبط عواطفه وإن كان عقله سليما . أو هو كتلك السيدة الأنيقة التى لا تطيق منع يدها عن التقاط بعض المعروضات خلسة . ولكنه بعد أن يشرب ويسكر يصبح فى سيكوز لا غش فيه . فهو حين يكون سكران يكون مجنونا بكل معانى الجنون لأنه يتوهم أوهاما كاذبة ، وأيضا يعجز عن التصرف الحسن . فمسئوليته هنا هى مسئولية المجنون .

ويمكن أن نلخص علاقة الجنون بالجرائم فيما يلى :

(١) السكر الذى يحدثه الكئول لأنه يزيد الجراءة ويحدث الأوهام ويوقظ العواطف النائمة ويجعل السكير يرتكب جريمته كأنه فى غيبوبة .

(٢) " الضعف العقلى " فإن متوسط الذكاء بين المجرمين فى السجون يبلغ ٨٩ من المئة . باعتبار أن درجة المئة هى متوسط الذكاء عند الناس . ولكن بعد ما أصاب نظرية القياس الذكائى من انتقادات يجب ألا نعلق أهمية كبيرة على هذه الأرقام . لأن الإجرام قد يكون عادات اجتماعية مكتسبة بدلا من أن يكون عجزا وراثيا عن السلوك الحسن قد نشأ من نقص الذكاء .

(٣) جميع المفلوجين فى الفالج الوراثى يرتكبون الجرائم وهم فى غيبوبة : وجرائمهم تنبنى على سوء التمييز . كالأم التى تقطع ذراع ابنها — قبل نوبة الفالج — وهى تظن أنها تقطع الخبز .

(٤) البارانويا : وقد ذكرناها . وهى توهم مؤامرة تحمل المريض على الدفاع عن نفسه بالإقدام على ارتكاب جريمة ما .

(٥) مرض الشلل العام الذى يحمل صاحبه على البطش .

والنظر السيكلوجى للجريمة جديد . وهو لهذه لحدة عرضة للخطأ . ولكن يمكن أن يقال إن الاتجاه العام فى هذا النظر هو الإيمان بأن للوسط الأثر الأكبر فى الإجرام الذى لا يعادله ولا يقاربه أثر الوراثة . فنحن نجرم لأن المجتمع أفسدنا وعودنا أسلوبا للعيش لا يتماسق مع هذا المجتمع وليس لأننا ولدنا بنوازع إجرامية .

ومن هنا قيمة المعالجة للمجرمين بتعويدهم أسلوبا جديدا للعيش . ففى السجون يعلم المجرم صناعة جديدة مثلا يستطيع أن يكسب بها عيشه . وهو عند ما يغادر السجن يجد الجمعيات الخيرية التى ترشده الى العمل ولا تتركه متعطلا يأسا يعود بتفكيره الى الجريمة . أما أولئك الذين يثبت عليهم الجنون — وهم أقلية صغيرة على الدوام — فإنهم يجب أن يبعدوا عن المجتمع .

خطوات جديدة في أفق العلم

بقلم الأستاذ س . م

المكتشفات والمخترعات العلمية تغير العالم كما تغيره الحروب ، بل ان الحروب لن تستطيع احداث التغير الثابت الا بما تستخدم أيضا من علوم . ولكن الحروب في أكثر الأحيان وقتية مباغتة سريعة الزوال ، أما المكتشفات والمخترعات فدائمة أيام السلم والحرب معا . فأثرها لهذا السبب كبير جدا في الاقتصاديات العامة ، ومتى تغيرت الاقتصاديات تغير المجتمع .

والمتأمل لطوالع الأفق العلمي يجد في بواكير المكتشفات — ما تحقق منها وما يرجح تحقيقه قريبا — قوى عظيمة سوف تغير العالم ، ولكن الحرب بما لها من إلحاح في استخدام جميع مصادر القوة في الأمم المتحاربة تبعث على سرعة الانتفاع بالمكتشفات العلمية ودفع العلماء الى الانتاج . فان حروب نابليون جعلت أوربا تستخرج السكر من البنجر . والحرب العظمى الماضية جعلت الانتفاع بالأزوت المستخرج من الهواء ممكنا وعمليا معا . وهذه الحرب أيضا سوف تخرج لنا من المكتشفات والمخترعات ما سوف تنتفع به الانسانية في السلم . مثال ذلك : هذا التقدم الرائع في الطيران . فان المصانع الأمريكية ترسل الان الى بريطانيا طائرات كبيرة تطير بسرعة ٦٠٢ من الأميال في الساعة أي ما يقرب من ألف كيلو متر في الساعة الواحدة . وعند ما تستعمل هذه الطائرات للسفر بعد الحرب فان روما و باريس واستامبول لن تبعد عن القاهرة — بعدا زمنيا — إلا بمقدار بعد الاسكندرية عنها الآن بقطار الاكسبريس .

وفي العالم الآن نحو ألفي مليون من البشر يعيشون بما تنتجه الزراعة من أطعمة وألياف الأقمشة . ولكن ما يزرع من اليابسة لا يزيد على ١٢ في المائة من مساحتها . وهذا القدر يمكن زيادته مساحة وإنتاجا اذا استعملت الوسائل العلمية الحديثة حتى تكفي الزراعة أربعة آلاف مليون من البشر أو أكثر .

والميدان العلمي الذي يبعث في الوقت الحاضر على التفاؤل العظيم هو الميدان الكيماوي . فإن السكر يصنع الآن بسهولة عظيمة ووفرة كبيرة من الخشب . فلن يحتاج الناس في المستقبل الى زراعة القصب أو البنجر ، لأن أشجار الغابات سوف تكفي الناس حاجتهم الى السكر . والشحم الذي لا يختلف كثيرا من شحم الحيوان يستخرج الآن من الفحم و يؤكل .

وقد كان عالم الطب ينعى على الجمهور إقباله على الخبز الأبيض المصنوع من الدقيق المكرر الذي لا يخالطه شيء من الردة التي تحتوي جرثومة القمح . وقد فشا الخبز الأسمر لهذا

السلب بين بعض الطبقات، ولكن لونه وطعمه قد حالا دون تعميمه . ولكن الكيمياء جاءت أخيرا بالدواء الناجع . فإنها اهتدت الى الفيتامين الذى ينقص الخبز الأبيض . وهو الآن يضاف الى الدقيق فى المطاحن . فلا حاجة للناس بعد ذلك الى أن يحصلوا على الفيتامين اللازم للصحة والحيوية لأن الخبز الأبيض بفضل الكيمياء قد أصبح خبزا كاملا واذا كان به نقص فهو من ناحية الأملاح وليس من ناحية الفيتامينات .

ولا تقتصر فتوحات الكيمياء على هذا الفيتامين وحده . فإننا فى مصر نعالج النقص الغذائى بمركب كيميائى هو حمض النيكوتينيك الذى يعطى للمرضى بالبلاجرا فيشفون منه . وكذلك الشأن فى أمراض النقص الأخرى التى يعالج كثير منها بمركبات كيموية .

وقد فشت فى أوربا وأمريكا زراعة جديدة كانت هواية فى الأول يتسلى بها أولئك الذين يمتازون بالمرح العلمى . أما الآن فهى صناعة وتجارة . يعنى الهيدروبونية أى لزراعة المائية . فإن كثيرا من الخضراوات يزرع الآن فى أحواض فى البيوت ، بل إن بعض الطماطم التى تباع فى الأسواق يزرعها الفلاحون الجدد . فلاحو المدن فى أحواض تحتوى ماء قد مزج بالعناصر المغذية بعد أن يفرش سطح الماء بشبكة من السلك عليها مرتبة من الحصا . فإذا زرعت البذور نبتت جذورها وتخللت الحصا واتصلت الى السائل المغذى ونمت وزكت . وهذه الزراعة يجب أن تنجح عندنا أكثر مما تنجح فى أوربا وأمريكا . لأن سطوح منازلنا ليست منحدرة . ولذلك يمكن أن نعمم لزراعة المائية عليها .

ولكن الكيمياء ليست على الدوام فى خدمة الزراعة ، فهى تقف منها أحيانا موقف العدو لا موقف الصديق . وقد سبق أن فعلت ذلك فى الأصباغ حين ألغت زراعة النيل الطبيعى وأوجدت النيل الصناعى ، وهى الآن تفعل ذلك بالقطن وتكاد تنجح فى أن تلغى زراعته كما ألغت زراعة النيل . والألياف الكيميائية قد احتلت الأسواق احتلالا لا يمكن أن تتزحزح منه . وقد عرفنا الريون ، أى الحرير الصناعى فى جواربنا وفى الثياب النسائية الغالية والرخيصة . وهذا الريون يصنع أو يطبخ من الخشب ، خشب الغابات الذى لا يحتاج إلا لأقل العناية أيام الغرس فقط . وهو يطارد القطن فى كل الأسواق .

ثم هناك الصوف الذى يصنع الآن من اللبن ، أو بالأحرى من الكازين الذى يصنع منه الجبن . بل هناك قماش جديد قد وثب وثوب الظافر الى أسواق الولايات المتحدة الأمريكية وهو النيلون . وهو مصنوع من التراب والماء والفحم وليس أرخص منها . وعلى الأمم الزراعية التى تزرع القطن ، وتنتج الصوف أن تفكر طويلا فى المحتملات المنتظرة لهذا القماش الجديد .

فالكيمياء تقدم لنا الآن طعامنا ولباسنا ودواءنا . وقد بهر الأطباء قبل ثلاث سنوات بدواء أو بأدوية جديدة مؤلفة من مركبات كيماوية اتفق على تسميتها للايجاز باسم سولفانيلاميد

وهى تبرئ كثيرا من الأمراض ، من الحمرة الى النزلات الشعبية الى غيرها ، وهى مركب كيماوى نشأ من الأصباغ المشتقة من الفحم . وهى تعيد الينا ذكرى السلفرسان ، هذ المركب الكيماوى العجيب الآخر قبل نحو ٣٣ سنة .

وقد أدى اكتشاف كيماوى جديد الى ما يشبه الثورة فى العالم الزراعى فإن هنالك مادة سامة مستخرجة من جذور الزعفران الأبيض تسمى كولشيسين Colchicine وهذه المادة يعالج بها النبات بزورا أو فراخا فيصيبه جنون فى النمو والتباين بحيث يكبر حجمه نحو مائة مرة وتخرج منه سلالات جديدة كانت تحتاج لاستخراجها الى مئات السنين . وليس بعيدا أن نشترى الشليك قريبا بحجم البرتقال أو نجد التين الشوكى بلا شوك و بلا بزر وأن تبلغ التفاحة حجم البطيخة مع بقاء ثمار جديدة ستحتاج الى أسماء جديدة . فإن العالم الزراعى يترقب كل هذه المحتملات بفضل الكولشيسين .

وسيكون لكل هذه المكتشفات أثرها الاجتماعى بل السياسى . فان المواد الخامة مثل الكوتشوك والقطن والحديد والبترول لن تكون لها قيمتها الحاضرة لأن الكيمياء قد أوجدت أو هى ستوجد — أبدالا منها . وعندئذ يزول سبب من أقوى الأسباب للحروب . كما أن التقدم الآلى قد أوجد للمتمدنين عبيدا من الحديد والنار يجب أن تغنيهم عن الاستعمار . وليس شك فى أن العلم هنا يخدم الإخاء الانسانى بإزالة الحاجة لاستغلال الانسان لأخيه الانسان .

وقد استخدم العلم للتدمير والتقتيل . ولكن السياسة النيرة التى تسترشد بفلسفة إنسانية عصرية يمكنها أيضا أن تستخدمه للتعمير وخدمة الحياة لا خدمة الموت . واذا كان الضيق الاقتصادى من أسباب التوسع الامبراطورى والاستعمارى فان المكتشفات العلمية ستغنى الامبراطوريين والاستعماريين معا عن اتخاذ هذه الخطط . وعندئذ يزول أكبر سبب من أسباب الحروب ، ويخدم العلم السلم العام ما

س . م .

روح الميوعة والنعومة في الشعب

في هـذا الوقت الذى تتعرض فيه الشعوب الغنية المترفة كانجلترا وفرنسا لضروب من الحرمان فى كل شيء ، وتتعرض للنكبات والكوارث فى كل لحظة ، يعز علينا نحن أن نتنازل عما تعودناه من النعيم والرفاهية والكماليات . ففى أوربا توزع كل المواد الضرورية ببطاقات ، أما المواد الكمالية فقد أصبح معظمها محظورا أو غير موجود ، فلا يشكو أحد من هذه الحالة ولا يتبرم ، لأن للظروف أحكاما وللحروب ضرورات يجب أن يخضع لها الجميع.

وعلى سبيل المثال نذكر أنه محظور فى فرنسا أن يكون للفرد أكثر من حذائين ، ومحظور فى ألمانيا وايطاليا أن يحتوى الطعام على أكثر من نوعين ، وتبلغ كمية اللحم المقررة فى الأسبوع للفرد فى بعض الدول المحاربة مقادير تتفاوت بين نصف الرطل وثلاثة أرباع الرطل ... وهكذا.

وهؤلاء الأوربيون الذين تفننوا من قبل فى إعداد المائدة ، كما تفننوا فى الأزياء والكماليات يجدون فى أنفسهم القدرة على الحرمان ويتعودون الخشونة فى حياتهم ومطالبهم لأن الزمن والحوادث ومطالب الدولة لم تعد تسمح لهم بأكثر مما ينالون .

أما مصر فان كثيرين من التجار استغلوا الظروف فرفعوا الأثمان إلى درجة غير معقولة فى بعض أنواع الأطعمة وسواها فلم نجد نحن فى أنفسنا من القدرة على احتمال الحرمان ما نقاوم به هذا الاستغلال فنمتنع عن الشراء بالأثمان الباهظة حتى يثوب هؤلاء التجار الى رشدهم ويقنعوا بأضعاف ما كانوا يربحون .

منذ أيام لقيت شابا من المصريين يشترى قماشا لبذلة بسعر أربعة جنيهات للمتر الواحد ، ورأيت من يشترى أقة السمك التى كانت تساوى ثمانية قروش بثلاثين قرشا ، وأقة الشليك بثمانية قروش مع أنها تباع من المنتج بقرشين اثنين ... وقس على ذلك كثيرا من الأشياء التى يطلب التجار منا أن ندفع ثمنها أضعافا مضاعفة ، فلا نقوى على مقاومة إغرائها لنا برفض هذه السرقة المكشوفة .

ما ذا تسمى هذه الروح ؟ إن لم تكن هى "الميوعة" بعينها والنعومة التى تدل على المرض ولا تدل على الصحة ؟ وكيف نصنع لو اختفت هـذه الأصناف من السوق ؟ أنموت أم نستطيع الحياة بدونها ؟ واذا كنا نستطيع الحياة ولا شك فلم لا نقاوم رغباتنا المائعة فى الكماليات أو الضروريات التى يستغلنا تجارها هذا الاستغلال ؟

يحلو لبعض الأثرياء عندنا أن يدفعوا الأثمان المضاعفة فى الأشياء ، حتى يحسوا بلذة اقتنائها وعجز الآخرين عن شرائها ، وهذا احساس مشوه ممقوت ودليل على صغر النفس واعتدادها بالأعراض الزائلة لا بالميزات الثابتة ولا بالتفوق الحقيق فى الحياة ، وهو يثير

فى نفوس المحرومين شعور سيئا نحن فى غنية عنه ، شعور التذمر والاحتقار لهؤلاء الذين يدلون عليهم بثرائهم ، مع ضعف نفوسهم وأخلاقهم عن احتمال أبسط الشدائد وأقل الحرمان ويكونون سببا فى طمع التجار وغلاء الأسعار ، لأنهم لو كفوا عن الشراء لرخصت السلع وباتت فى مقدور الجميع ، وبيعت بالسعر الرائج المعقول .

يجب ألا تكون مقدرتنا على الشراء هى كل ما ننظر اليه حين تعرض علينا الضروريات أو الكماليات بأضعاف ثمنها . بل ينبغى أن نحسب حسابا لعوامل أخرى : فلا نرضى بأن يضحك علينا التاجر ويسرق نقودنا الكثيرة ، فان النفس الكريمة تثور بطبيعتها على من يحاول استغفالها واستغلالها ، ولا نقبل أن نكون سببا فى الغلاء الفاحش الذى يصيب مواطنينا الفقراء بأفدح الكوارث ، فالتضامن الاجتماعى فى أبسط مظاهره يحتم علينا أن نقاوم هذا الغلاء رحمة بهم ، ولا نثير علينا نقمة الطبقات المحرومة حين نختال عليهم بملذاتنا وهم محرومون من الضروريات . والتاجر الذى يجد من الأغنياء من يشترون بضاعته مهما ارتفع ثمنها لا يقف جشعه عند حد لأنه ضامن وجود المشترى . فينبغى أن يقف التضامن الاجتماعى بين الطبقات والأفراد حائلا دون هذا الجشع حتى يرغم هذا التاجر على الوقوف عند الحدود المعقولة .

ويجب قبل كل شىء أن يحسب حساب الحرمان الإجبارى فنستعد له بالحرمان الاختيارى من بعض الأشياء التى لا يؤثر فقدانها فى حياتنا ، أو يؤثر تأثيرا محتملا .

جاء فى الحديث النبوى الشريف "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم" وزوال النعم فى مثل هذه الاضطرابات لا تأتى به السنون والأعوام ، بل هو طى الليالى والأيام ، بل الساعات واللحظات ، فمن الاخلاص للذات وحب النفس — بغض النظر عن الاخلاص للجموع والعمل للوطن — أن نروض نفوسنا على الخشونة وأن ندع هذه النعومة المائعة اختيارا قبل أن ندعها اضطرارا .

بعضنا يتأفف اليوم من ارتفاع أثمان الخمور والعطور ! أى والله هذا ما نسمعه من الكثيرين من "أبناء الذوات" فكيف يصنع هؤلاء حين تختفى الخمور والعطور من السوق وتختفى معها ضروريات شتى : أيموتون أم يعيشون ؟!

إننا على أبواب صراع عنيف . بل نحن فى المعمعة . ولأمم المخشوشنة التى تتحمل الحرمان وتصبر على الشدائد هى التى ستفوز بالمضمار . ولسنا خيرا من أمم أوربا التى تقاسى الأمرين من الغارات الجوية ومن الجوع والعرى والحرمان من جميع الملذات . فلتتسلح بالإرادة القوية والروح الرياضية ، والخشونة اللائقة بالرجال قبل أن تدهمنا الكوارث ونحن غارقون فى الميوعة والنعومة ، كأننا أمة من الغانيات الرقيقات المزاج !

البيت والمدرسة

بقلم الأستاذ سليم فريد

ظل الناس حقبا من الدهر يبحثون فى التربية ، أصولها وطرائقها ، حتى أصبح للتربية نظريات مختلفة ، منها ما شرعته الأديان ، ومنها ما وضعته القوانين والنظم الاجتماعية ، ولذلك اختلفت الآراء ، وتضاربت الأفكار ، وأصبح لكل فئة من الناس طريقتهم الخاصة فى التربية ، بل أصبح لكل شعب ولكل دولة نظم وقوانين خاصة فى التربية .

غير أن الرقى العام الذى دفع بالمجتمع نحو العناية بالفرد والنهوض به وتوفير أسباب السعادة له ، وتقدم العلوم التى تتصل بالإنسان مباشرة كعلم النفس ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، كل هذا دعا إلى التفكير العام — أو الدولى — فى وضع أسس ثابتة موحدة فى التربية ونظمها .

وليس هذا البحث بحثا فى التربية ، أصولها وأغراضها ونظرياتها ، بل هو بحث يكاد ينحصر فى تربية الطفل ، فقد كثر الكلام حول هذا الموضوع ، وتضاربت النظريات فيه ، فلعل هذا البحث يوصلنا إلى ما يبتغيه كل والد مصرى وكل والدة مصرية ، من تنشئة طفلهما نشأة طيبة ، ليكون رجلا نافعا لنفسه ولوطنه .

يولد الطفل مزودا بالقدرة على التعلم ، والاستعداد له ، وغرائز الطفل مرنة مرونة كبيرة يسهل تعديلها وتغيير المؤثرات التى تؤثر فيها ، وتوجيه الطفل توجيها صحيحا تحت إشراف العقل والذكاء .

ولدى الوالدين وقت طويل يمكنهما من تعليم طفلهما الشىء الكثير مما تعلماه وخبراه فى حياتهما ، وذلك فى لعبه ومرحه ، وفى هدوئه وحياته اليومية العادية ، وبقدر ما يبذل الوالدان من جهد فى تربية طفلهما وإتاحة الفرصة له ليكتسب خبرة ورقى ، يكون تقدمه فى الحياة وفى المجتمع .

وهنا يحسن أن نفرق بين لفظى التربية والتعليم ، فالتربية هى الجهود التى تبذل لرقية الطفل من الوجهتين النفسية والجسمانية ، والطفل فى تربيته يعمل ويفكر ، وهو تارة يخطئ وتارة يصيب ، ويستفيد من تجاربه فى الخطأ والصواب ، أما التعليم فهو مجموعة المعلومات التى يضعها المعلم فى ذهن التلميذ ليتسع عقله وينمو ، فالتلميذ إذن فى التربية موقفه إيجابى ، وفى التعليم سلبى ، وليس التعليم الصحيح هو الذى ينمى العقل ويزيده مادة وكفى ، بل التعليم الصحيح ما يثير فى نفس المتعلم الشوق إلى الاستزادة من العلم والاهتمام به ، فهو وسيلة من وسائل التربية العقلية .

ومن هذا يمكننا القول بأن التربية هى التأثير بجميع المؤثرات المختلفة التى تعين الطفل على الرقى جسمانيا وعقليا وخلقيا ، حتى يصل إلى أقصى مايستطيع الوصول اليه من الكمال ، ليسعد فى حياته الفردية والاجتماعية .

وكثير من الآباء — خصوصا الصناع والزراع منهم — يفهمون من أصول التربية إعداد طفلهم لكسب الرزق ، فهم ينفقون مالهم على أطفالهم بأمل كسب أكثر منها فى المستقبل ، وبذلك أصبحت أصول التربية عندهم نوعا من التجارة ، وهذا يؤدى إلى تعليم كثير من الأطفال مالا يلائم مواهبهم وميولهم الشخصية .

وإنى لا أستنكر من التربية أن تكون وسيلة من وسائل كسب العيش ، فإن إعداد الطفل لكى يعمل لكسب عيشه بنفسه أمر لا بد منه ، ولكنى أستنكر على بعض الآباء أن يكون هذا الغرض هو المثل الأعلى فى تربية طفلهم ، فرغم أن كسب العيش عامل مهم فى الحياة فلا يغيب عنا أن هذا ليس كل ما نحتاج إليه فى حياتنا الاجتماعية .

كذلك يرمى كثير من الآباء إلى العمل على حشو ذهن الطفل بالدروس والمعلومات لينجح فى الامتحان وكفى ، ولقد دلت التجارب على أن التعليم الخالى من إعداد الطفل للحياة العملية تعليم قاصر ، لايفيد الطفل بتاتا . وهناك من يقول إن التلميذ الأول فى الامتحان هو الأخير فى الحياة العملية ، وسواء صح هذا القول أو لم يصح ، فهو يرينا أن الجد فى الدرس واستيعاب كثير من العلوم لا يفيد بجانب الاستعداد للحياة .

وسنبين فيما يلى أهم ما يجب أن يتبينه الوالدان فى تربية طفلهما ، حتى يشب طفلا قويا من جميع الوجهات الخلقية والجسمانية والعقلية والعلمية .

١ — الميول والغرائز :

يمكن تغذية كل غريزة فى الطفل ، ذلك لأن غريزته وميوله يصحبها من القوة ما يدفع به إلى إرضائها ، ومتى بلغت الحد الذى يعظم فيه أثرها ، اشتدت تلك القوة التى تدفعه إلى إشباع ميوله مما يريد ، فإذا لم يتعهد الوالدان هذه الميول والغرائز بالغذاء الذى يؤدى بالطفل إلى طريق الخير والفلاح ، فإن الطفل يندفع متخيرا من الغذاء ما يصل به إلى غايته فتسوء العاقبة .

ويسهل تعهد الأطفال من هذه الناحية فى أوقات الفراغ ، وكلما سنحت الفرصة بأن أخطأ الطفل أمامنا مثلا ، فنرشده إلى الصواب باللين لا بالشدة .

٢ — القوة الخلقية :

المقصود بها القوة التى تجعل المرء يضع كل شىء فى محله ، وهذه القوة تنميتها وتعهدها يعودان إلى المنزل والمدرسة معا . ذلك أن الطفل يعتقد أن ما يفعله والداه هو الصواب ، وأن ما يفعله المعلم فى المدرسة هو الصحيح . وعلى ذلك فان المنزل المنظم العالى الأخلاق ، والمدرسة المنظمة ذات المعلمين الأفاضل ، من أكبر الأسباب فى إيجاد الطفل القويم الأخلاق .

غير أنه يجب ملاحظة أن المعلم لا يؤثر فى الواقع مباشرة فى الطفل ، فالذى ينمى القوة الخلقية فيه هى الروح المدرسية ، وهى ليست نتيجة عمل المعلم وحده ، بل إن مجموعة التلاميذ والمعلمين ، ونظام المدرسة نفسه ، من أهم العوامل فى تربية تلك القوة فى الطفل.

٣ — العادات الحسنة :

تنشأ العادات الحسنة وتتكون حتى ترسخ فى النفس ، وتصبح طبيعة فى الإنسان ولذلك يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة . وتعويد الأطفال العادات الحسنة منذ نشأتهم الأولى : فالنظافة والنظام الحسن ، والمحافظة على المواعيد ، والصدق ، والأمانة ، والصراحة فى القول ، والإخلاص فى العمل ؛ كلها عادات طيبة إذا تعهدها الوالدان فى الطفل وهو صغير ، شب عليها وهو كبير . وليس تعويد الطفل هذه العادات الطيبة : هو أن نخبرهم بفوائدها ، أو مضار أضدادها بل أن نعمل بها ، فلا نكون قذرين ولا فوضى فى نظامنا أمام الطفل ولا نكذب أمامه ، ولا نظهر أمامه بأى مظهر شائن .

بجانب هذا كله ، يجب أن يتعرف الوالدان أهمية (البيت) والمدرسة فى تربية الطفل وواجب كل منهما فى سبيل ذلك .

فالطفل ينشب متشبعا بميول والديه ، متأثر بمشاربهم فى الحياة ، ويفهم أثناء حياته فى أسرته ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، كما يكتسب كثيرا من الفضائل إذا أراد الوالدان ، ويتعلم كثيرا من النقائص إذا أهمل الوالدان تربيته وملاحظته .

وتأثير البيت فى الطفل قوى ، يظهر أثره فى شبابه ، فالبيت الشريف والبيت الوضيع ، كلاهما عظيم الأثر فى تكوين أبناء الأمة ، ولذلك يجب أن يعرف الوالدان أهمية هذا ، فلا يهملوا فى تأدية واجبهم ولا يتركوا العمل وحده على عاتق المدرسة ، فما المدرسة إلا عامل مهم لتربية البيت ولا يمكن الاستغناء بها عنه .

أما المدرسة فهى الأداة التى تعلم النشء ما يتعذر على الآباء القيام به ، وهى السبيل الذى بواسطته يفهم الطفل معنى الحكومة والقانون ، والحرية والحقوق والواجبات ، هى الطريق الموصل إلى الحياة العملية .

غير أنه يجب ألا يغرب عن البال أن المعلم أثره فى الطفل أقل من أثر الوالد ، ذلك لأن الطفل رأى والده قبل أن يرى المدرسة ، فهو قدوته الأولى ، ولذلك تراه يشكو قسوة معلمه إلى والده ، ولا يشكو قسوة هذا إلى ذاك .

وإذا كان للبيت أكبر الأثر فى تكوين عادات الطفل وتهذيب ميوله ، فإن المدرسة مجالها أوسع فى التهذيب والصقل ، لأنها مجمع الأطفال ، والأطفال يحاكون بعضهم بعضا وجتماعهم أدعى إلى التنافس ، وبعث النشاط فى نفوس الأطفال .

ومن هنا يجب أن نذكر أنه لكى يكون تأثير المدرسة والبيت معا فى الطفل تأثيرا حميدا، يجب التعاون بينهما على تربية الطفل ؛ و إليك واجبات المدرسة ثم واجبات البيت فى هذا التعاون :

(١) يجب أن يتعارف المدرسون بالآباء و يدعوهم إلى اجتماعات دورية وحفلات .

(٢) يجب إرشاد الآباء إلى الطرق الصحيحة فى تربية أبنائهم .

(٣) ترسل للآباء تقارير دورية مفصلة عن التلميذ وأعماله وأخلاقه .

(٤) لايكلف الآباء مصاريف كمالية للمدرسة .

(٥) تتعاون المدرسة مع البيت فى شغل وقت فراغ التلاميذ، فتربى فيهم حب المطالعة والرحلات والأسفار ، والرياضة الخ ...

(٦) تدرس مواهب الطفل وميوله لتوجيهه توجيها صحيحا فى حياته العملية .

أما الوالدان فواجبهم مراعاة :

(١) مساعدة المدرسة على النظام وتحبيبه الطفل وتعويده عليه .

(٢) عدم تشجيع الأطفال على إهمال واجباتهم المدرسية .

(٣) عدم محاربة المدرسة فى نشاطها الاجتماعى، كمنع الطفل من الاشتراك فى الألعاب الرياضية أو الحفلات أو الرحلات ...

(٤) عدم نقد المدرسة ومعلميها أمام الطفل ، حتى لايقل احترامه لهم .

(٥) العناية بصحة الطفل وتقوية جسمه والاهتمام بغذائه وغرفته ونظافته .

(٦) مساعدة المدرسة باستصحاب الطفل فى زيارات منوعة للحدائق والمنشآت العامة كالمتاحف ودور الكتب ، مع تفهيم الطفل — بقدر الإمكان — ماتحويه تلك الأمكنة .

من هذا تتضح لنا الصلة الوثيقة بين البيت والمدرسة ، وأن تعاونهما على تربية الطفل لازم لزوم الشمس والهواء للحياة ، وأن كلا منهما متمم لعمل الآخر، فاذا فسد أحدهما فسد عمل الثانى .

فمن المهم جدا أن يفهم الوالدان هذه الحقائق ، وأهم من هذا أن يعمل رجال التعليم على تقوية التعاون بينهم وبين الوالدين ، فان فى ذلك مصلحة الأبناء ، ومتى صلح الأبناء فى صغرهم ، نفعوا الوطن فى كبرهم ؛

سليم فريد

الأمراض الوبائية

نصائح و إرشادات تقدمها وزارة الصحة إلى الجمهور

الطاعون أو الكبة

الطاعون مرض معد يعرف الأقدمون علاقته بالفيران ؛ فقد ورد فى بعض الروايات المصرية والتعاليم الهندية القديمة أنه عند مشاهدة الفيران تموت بكثرة يحسن بالإنسان أن يهجر المنزل و يأوى إلى المرتفعات .

وقد ثبت علمياً أن الطاعون هو أصلا مرض يصيب الفيران بشكل مزمن ويظل كامنا فيها حتى تحين فرصة مناسبة فيظهر فيها بشكل وبائى .

وقد ثبت أيضا أن هذه الحالة بين الفيران تكون دائما سابقة لظهور المرض فى الإنسان اذ ينتقل اليه بواسطة برغوث الفأرة ففى الحالة المزمنة تكون الإصابات فى الإنسان انفرادية وفى الحالة الوبائية يصاب كثير من السكان بسبب كثرة الفيران المصابة وانتقال المرض بواسطة البراغيث التى تحملها هذه الفيران .

وفى هذا الشرح ما يفسر لنا أيضا توطن المرض فى بعض القرى والبلدان فهو يبقى كامنا فيها سنين عديدة مادام بها فيران مصابة بالمرض بشكله المزمن السابق ذكره .

ويسبب هذا المرض ميكروبا خاصا يوجد فى دم المصاب إنسانا كان أو فأرا وفى القروح ويصاق المصابين بالنوع الرئوى وكذلك فى الباز الدموى لمن يحصل عندهم هذه الحالة ، ويوجد الميكروب أيضا فى دم الفيران الحاملة للميكروب بالشكل المزمن .

أنواع الطاعون وطرق انتقال عدواه :

والطاعون ثلاثة أنواع ، دملى ، وتسممى ، ورئوى ، وطريقة انتقال العدوى فى النوعين الأولين هى بواسطة البرغوث فهو يمتص دم المصاب إنسانا كان أو فارا بما فيه من ميكروب المرض ثم يغادره و يغشى جسم السليم فيحقن قليلا من الدم فى جسمه عند لدغه .

أما النوع الرئوى فله طريق آخر للعدوى أشد خطرا مما ذكر فان الميكروب ، كما علمت ، موجود فى الدم منذ ابتداء المرض . ففى بعض الحالات يصل الى الرئتين فيؤدى الى التهاب ورئوى مميت مصحوب ببصاق دموى ، ومثل هذه الحالة هى حلقة ابتداء وباء الطاعون

الرئوى لأن الميكروب ينتقل من هذا المصاب الأول بكميات كبيرة أثناء تنفسه أو سعاله إلى كل من اقترب منه أو دخل الغرفة التى هو فيها حيث يصبح هواؤها مشبعا بالميكروب فيصاب من استنشقه بالنوع الرئوى مباشرة وهكذا . وقد حصل مرارا أن أبيدت عائلات بأكملها بهذه الكيفية المفجعة .

ومن الحيوانات المنزليـة التى قد تصاب بالطاعون ، الأرانب ، ويكون خطرها كخطر الفيران تماما عند نقل العدوى ، وكذلك البرغوث ينقل العدوى ليس فقط من الفأر الى الإنسان، بل أيضا من إنسان الى آخر ، وتتراوح مدة حضانة المرض بين بضع ساعات وخمسة عشر يوما ولكن المعتاد أن تكون من ثلاثة إلى ثمانية أيام .

أعراض المرض وسيره :

النوع الدملى يبتدىء بحمى شديدة وألم فى الرأس والأطراف ودوخة وتهيج أو خمول ، وقد يصاب المريض بقيء وصداع شديد ورعشة مصحوبة بارتفاع بخانى فى الحرارة .

ويزداد النبض والتنفس ويتسخ اللسان أولا بلون أبيض ثم يميل لونه الى السمرة وتخط قوى المصاب وقد يصحب ذلك إمساك او إسهال .

وفى بحر يوم الى خمسة أيام من ظهور الحمى يظهر الدمل . وهذا عنـد بدء ظهوره وهو عبارة عن ورم مؤلم يابس نوعا بحجم اللوزة الى حجم قبضة اليد ، ويظهر تحت الإبط أو تحت الفك أو خلفه أو خلف الرقبة ويكون فى الغالب مفردا وقليلا ما يكون متعددا .

وفى الحالات المخففة يتقيح الدمل فى بحر عشرة أيام أو خمسة عشر يوما من ظهوره ، وقد ينفتح من تلقاء نفسه أو بمساعدة الطبيب ، ويدخل المريض فى دور النقاهة ، وفى الحالات الخطرة يموت المصاب فى بحر الأسبوع الأول من ابتداء المرض .

والنوع التسممى يختلف عن النوع الدملى بعدم ظهور الدمل وبشدة الأعراض المذكورة سابقا ، فيكون الضعف شاملا مصحوبا بهذيان وأحيانا غيبوبة ، وكثيرا ما يصاب المريض بنزيف دموى تحت الجلد (بقع قاتمة اللون) ومن الفم والأمعاء ، وفى هذا النزيف يوجد ميكروب العـدوى بكثرة ، وفى الحالات الخطرة يموت المصاب فى بحر الثلاثة أيام الأولى من المرض .

أما الطاعون الرئوى فمن أخطر أنواع الطاعون ، والإصابة به مميتة حتما فى بحر ثلاثة الى خمسة أيام من ابتـداء المرض ويبتدئ بخانى بحمى شديدة وارتفاع كبير فى درجة الحرارة وازدياد النبض وضيق التنفس وسعال مستمر ويكون بصـاق المصاب مائيا غزيرا ممزوجا بالدم ، وفى هذا النوع تنقل العدوى من نفس المريض مباشرة الى كل من اقترب منه .

الاحتياطات الواجب اتباعها :

قد علمت أن الطاعون هو أصلا مرض خاص بالفيران، فهذه يجب إبادتها بكل الطرق الممكنة . وبما أنه ينتقل من الفأر إلى الإنسان ومن إنسان الى إنسان بواسطة البرغوث فهذه يجب أيضا إبادتها بكل الطرق الممكنة كما هو مذكور بوضوح فى نبذتى الفار والبرغوث .

واذا وجدت فأرا ميتا فى المنزل أو بجواره وجب أن ترشه جيدا بالكوبروسين، وكذلك ترش الأرض الموجود عليها وما جاورها بالكوروسين ثم أحرقه لكى تقتل البراغيث التى على الجثة والتى انتشرت منها فى المكان . والأرانب الميتة تعامل بنفس هذه الطريقة .

ولأجل سد الشقوق التى يأوى اليها الفأر تفتح جيدا و يصب فيها كمية من محلول الفنيك بنسبة ١٠٪ و يوضع فيها قطع زجاج مكسور لمنع الفيران من اجتيازها ثانية ثم تملأ بخليط مكون من جزء من الجير المطفى وجزء من الحمرة أو جزء من الأسمنت وثلاثة أجزاء من الرمل .

والمواد الغذائية جميعها يجب حفظها فى مكان غير ممكن وصول الفيران اليها ، كما يجب حفظ متخلفات المطبخ والبيت فى وعاء من حديد أو صفيح له غطاء محكم .

أما المريض بأى نوع من أنواع الطاعون فيجب التبليغ عنه فورا حتى بمجرد الاشتباه فى مرضه لمفتش الصحة لكى يتولى عزله وعلاجه بالطرق المخصوصة ولحين وصول مندوبى وزارة الصحة يجب الابتعاد عن نفس المريض بالنوع الرئوى وعدم الاقتراب كثيرا من المصاب بالنوعين الأخيرين وخصوصا لمن كان بجسمه جروح أو خدوش ، ويجب غسل اليدين بمحلول مطهر بعد الاقتراب منه وعدم استعمال فراشه أو الأدوات التى كان يستعملها ولا الغرفة التى كان بها إلا بعد التطهير .

ووزارة الصحة وحدها هى التى يجب أن تتولى إجراء ما ترى عمله من العزل والمراقبة والتطهير وسد شقوق الفيران و إبادتها و باقى الاحتياطات الأخرى عند وجود مريض بهذا المرض صيانة للفرد والمجموع .

ولدى وزارة الصحة حقن تقى الإنسان من العدوى اذا كان معرضا لها ، وهى تحتم على المخالطين ومن ترى حقنهم أن يقدموا أنفسهم عند الحاجة الى الطبيب الخاص لحقنه بها .

وواجب الجميع مساعدة الوزارة فى كل خطوة ترى اتخاذها بدون تردد و بمجرد إشعار الأهالى بذلك .

ومن يعلم بوجود إصابة بالطاعون ولا يسرع بالتبليغ عنها يعاقب بالسجن أو بالغرامة أو بالعقوبتين معا .

ومن يبلغ الوزارة عن إصابة مشتبه فيها أنها طاعون (خلاف أقارب المريض وأهل المنزل المقيم فيه) يمنح مكافأة قدرها عشرون قرشا صاغا .

المخدرات والخمور

اتفق كل من درس تأثير المخدرات على أنها سم قاتل لجميع الأعضاء الحية . وهى تؤثر على الجهاز العصبى (المخ) تأثيرا مسكنا فلا يشعر المدمن بما حوله ولا بما قد يحل بجسمه من التعب .

وأن ما يشاهد على المدمن من القوة وعدم الخجل إن هو الا تأثير من آثار المخدرات على العقل فهى تبطل عمله (الحس والتفكير) بحيث يصبح الجسم لايشعر بما يعمل . وأن الفكرة السائدة بأن المخدرات — خصوصا الخمر — تغذى الجسم وتقويه هى خطأ محض . فقد أثبتت كل التجارب التى عملت أن المدمن لا يستطيع أن يقوم بأى عمل يحتاج الى أقل عناية أو تفكير . وتعاطى المخدرات خصوصا المشروبات الروحية باستمرار يؤثر على المعدة فيحدث فيها التهابا مزمنا وعلى الكبد فيحدث به مرضا مزمنا قل من يشفى منه .

والمخدرات هى السبب الأول فى انتشار الأمراض السرية (الزهرى والسيلان) . فان أغلب هذه الأمراض تصيب الإنسان وهو فاقد شعوره تحت تأثير المخدر . وأن القول بأن المخدرات تعطى الانسان قوة يرجع الى أن من يتعاطاها لا يشعر بما يحل بجسمه من التعب فيجهد نفسه أكثر من طاقته و بذلك يزداد الضرر على الجسم . وتضعف الخمر مقاومة الجسم للامراض، ولذلك فان شاربها معرض دائما للامراض فيصاب بها بسرعة . و إذا أصيب بالمرض قل أن ينجو منه . وأغلب الحوادث تحدث للإنسان وهو تحت تأثير المخدرات . وكثيرا ما تكون حوادث السيارات ودهس القطارات والانتحار الخ من نتائج الخمر . ولا شك أن معظم الجرائم ترتكب تحت تأثير المخدرات . والخمر تضعف النسل . فذرية المدمن دائما ضعيفة معرضة للامراض .

والمخدرات طريق الفاقة والتعاسة والإجرام . فعليها ينفق المدمن ما يكسبه تاركا أولاده وذويه يتضورون جوعا . وقد تضطرهم الحال الى إتيان المنكر لسد حاجاتهم . فكم من سعادة هدمتها المخدرات ، وكم من شباب فى ريعان الصبا دفنتهم تحت أطباق الثرى .

والخمر سبب لعدة أمراض عقلية . و إن جزءا كبيرا من المرضى الذين يؤمون مستشفيات المجاذيب هو من شاربى الخمر . والشائع أن الحمل الذى يحصل تحت تأثير الخمر ينتج أولادا ضعاف العقول .

النشاط الاجتماعي في مصر

مؤتمر رابطة الشباب الاجتماعي

نظمت رابطة الشباب الاجتماعي المصري ، بالاشتراك مع قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية ، مؤتمرا لبحث بعض مشكلات مصر الاجتماعية . ولقد عقد هذا المؤتمر جلستين حافلتين بقاعة يورت التذكارية في يومي ٢٢ فبراير وأول مارس سنة ١٩٤١ تحت رياسة رئيس الرابطة حضرة صاحب السعادة صالح عنان باشا . وقد شهدهما كثير من كبراء المصريين وطلاب كليات الجامعة المصرية والمعاهد العلمية حتى ضاقت بهم القاعة على سعتها .

وقد افتتح رئيس المؤتمر الجلسة الأولى بخطاب بليغ كنا نود أن ننشره في هذه المجلة لولا أن مجلة "رابطة الشباب" سبقتنا إلى نشره . ولكن هذا السبق لا يمنعنا من أن نقتطف منه بعض عباراته الحكيمة :

" لا غرو إذاً إذا انحصرت آمال المصلحين في كل أمم الأرض في عنصر الشباب الذي خلق بطبيعته نزاعا إلى العلا ساعيا إلى الرقي. وقد اهتمت الأمم أيضا بأمور الشباب من أوجه عديدة ، منها الوجه الثقافي الذي يختص بتدريب ومعالجة العقل ، ومنها الوجه الرياضي وهو يشمل كل ما يختص بصيانة الجسم ورعايته وتقويته ، إذ بذلك يمكن للأمم أن تخلق من عقول بنيها عقولا صحيحة يمكن توجيهها إلى أقوم الوجهات " .

" .... فلا يصح مطلقا أن نجعل شبابنا يقتصرون على التربية المدرسية بصفة قاطعة إذ أن هذه الدراسة ما هي إلا تجهيز أولي للشباب يستعين بها إلى درجة ما على خوض غمار الحياة الذي لا يستطيع السير فيه إلا كل ذي عقل فطن وفكر صائب يمهد له المشاق و يفتح أمامه الطريق . فكثيرا ما نرى شبانا من خريجي المدارس اكتفوا بمعلوماتهم المدرسية واعتزوا بنجاحهم في تلك الدائرة المحدودة فيقف إدراكهم عند هذا الحد " .

" .... أما هؤلاء الذين لا يعرفون كيف يمضون أوقات فراغهم ، وعميت بصائرهم عن السبل القويمة التي يستغلون بها هذا الوقت الضائع. فأولئك غالبا ما يتجهون إلى أساليب غير مألوفة لاهين عن ضررها بالجسم والعقل معا وتأثيرها على الأعصاب ، وتحويلهم عن الطرق القويمة في القيام بأعباء الواجبات التي تتطلبها الرجولة الحقة .

وهناك كثيرون طاشت سهامهم في تنظيم أوقات فراغهم ، فتارة يستسلمون لضيق الصدر وطوراً يستعينون بأتفه الأشياء وأوضعها لقتل الوقت ، وذلك يؤدي حتما إلى شل

فى التفكير واستسلام للكسل والسير فى طرق ملتوية لاختراق الحياة ، وهنا آفة الأمم ونؤسها فى عنادها من الشباب الذين تعتمد عليهم كطليعة لجيش مظفر تتنسم منه السعادة والرقى " .

و بعـد أن انتهى حضرة صاحب السعادة رئيس المؤتمر من إلقاء كلمته وقف الدكتور إبراهيم بيومى مدكور الأستاذ بكلية الآداب والعضو بمجلس الشيوخ فألقى محاضرة موضوعها : " حاجتنا لأهداف قومية " نشرناها فى غير هذا المكان .

ثم قامت الآنسة الذكية عليه فهمى من خريجات معهد السوربون فتحدثت عن أثر المرأة فى المجتمع ، وعن وجوب النهوض بها نهوضا ذهنيا وخلقيا حتى تستطيع أن تؤدى وظيفتها الحقة فى مجتمعنا المصرى .

وعلى أثر ذلك ارتجل الأستاذ محمد مظهر سعيد المفتش بوزارة المعارف كلمة مسهبة عن " الذوق الفردى وأثره فى المجتمع " تحدث فيها عن الذوق العام وذوق الفرد وكيف يستطاع ترقيتهما وتهذيبهما حتى يكون لهما لأثر المفيد فى ترقية الشعب وتهذيبه .

وافتتحت الجلسة الثانيـة بخطابة رقيقة للسيدة الفاضلة حرم حسين عدنان بك عن العلاقة بين الزوجين وقد اثبتناها بنصها فى هذا العدد .

ثم وقف حضرة الطبيب الكبير المعروف الدكتور عبد الرءوف حسن بك مدير مصحة فؤاد الأول بحلوان فألقى المحاضرة النفيسة التى يجدها القراء منشورة فى هـذا العدد وقد أبرز آراءه بجداول و إحصائيات على الشاشة البيضاء .

ووقفت المربية الفاضلة السيدة نظلى الحكيم وارتجلت محاضرة قيمة عن " الأسرة باعتبارها وحدة فى بناء الأمة " كان لها وقع حسن فى نفوس السامعين .

واختتم المؤتمر دور انعقاده بكلمة مفيدة فى حماية الطفولة ألقاها حضرة صاحب العزة القائمقام على حلمى بك مفتش النظام بوزارة الداخلية نشرتها مجلة رابطة الشباب .

احتفـال الرواد

بافتتاح محلة القللى

فى مساء ٢٤ من شهر مارس الماضى احتفل الرواد بافتتاح محلتهم الثانية بالقللى ، وقد أناب معالى وزير الشؤون الاجتماعية حضرة صاحب العزة عبد الخالق حسونه بك وكيل الوزارة لافتتاح المحلة .

وكان فى مقدمة الحاضرين أحمد حسنين باشا ومحمد السيد شاهين بك ، وحسن فائق بك . وكانت فرقة موسيقا مدرسة فاروق الأول الثانوية تعزف فى أثناء الحفلة .

ووقف أحد الرواد وألقى كلمة بالنيابة عنهم أحاط فيها برسالة المحلة ، وقال إنها تعمل على رفع مستوى التفكير معتمدة فى هذا على استغلال أوقات الفراغ ، ونوه بالتوجيه الفكرى بإلقاء دروس فى التربية الوطنية والرسم بطريقة خاصة رغبة فى تنمية الذوق السليم .

وتكلم عن غاية الرواد : وهى إيجاد صلة الصداقة بينهم وبين أعضاء المحلة ، ثم ألمع إلى محلة الرواد بالعليبى التى أنشئت منذ عشر سنوات كأول مؤسسة للخدمة الاجتماعية بمعناها الحديث .

وقد رد حضرة صاحب العزة عبد الخالق حسونة بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية على هذا الخطاب بالكلمة الآتية :

"إخوانى :

إن ما سمعته الآن من الدكتور الفاضل مراقب هذه " المحلة " عن الجهود الموفقة التى يبذلها الرواد فى سبيل رفع مستوى إخواننا المحرومين ، ليجعلنى أغتبط حقا لمساهمتى معكم فى افتتاح محلتكم الجديدة .

ووزارة الشؤون الاجتماعية التى تشرف على نواحى النشاط الاجتماعى فى البلاد وتعمل على توجيهه إلى غاياته المنتجة المفيدة ، قدرت جهود الرواد ، ورأت فى هذه الجماعة أنها أول هيئة تكونت من الشباب المثقف وعملت فى صمت وهدوء ، زهاء عشر سنين بين الطبقات الفقيرة، محاولة أن تنهض بالمستوى الأخلاقى، وتضيق الهوة العميقة بين الطبقات المتعلمة وغير المتعلمة ، لا بإلقاء المحاضرات والتحدث عن الفضائل القومية [illegible] ، وإنما بالمثل الصالح والاتصال الشخصى الذى يعطيه الرائد بنفسه فى إرشاده ولعبه ولهوه مع أولاد " المحلة " .

لذلك لم تضن الوزارة بالمال على الرواد ، بل أرادت أن تشجعهم ليتمكنوا من إنشاء محلة جديدة يحققون فيها أغراضهم النبيلة ، واختصتهم هذا العام بما يكفى لهذا الغرض . وأملى كبير فى أن تكثر هذه المحلات ولا تقتصر على القاهرة ، بل تعم عواصم المديريات ، وبذلك تكمل من ناحيتها الرسالة التى تقوم بها المراكز الاجتماعية فى الريف .

سادتى :

ليس الإصلاح الاجتماعى مجرد أموال تصرف وقوانين تسن ومقالات تدبج وخطب تلقى ، إنما هو مجهود صادق مستمر ، تبذله الأمة بغرض تحسين حالة عامة الشعب ورفع مستواهم المعنوى والمادى ، ليصبحوا أسعد حالا ، وتمكن الطبقات المختلفة من توحيد غاياتها فى الحياة ، والاحتفاظ بكيانها كأمة متحدة المشاعر متجانسة الميول قابلة للتطور الطبيعى .

ونحن فى مصر قد شغلتنا ظروف البلاد السياسية فى الداخل والخارج عن العناية بشؤوننا الاجتماعيـة والاصلاحية ، فلما استقرت أحوالنا الخارجية اتجهت عناية المصلحين منا الى ناحية الشؤون الاجتماعية ، وظهر اهتمام الرأى العام بهذه الناحية ، فتألفت عدة جماعات وتبارى المؤلفون والباحثون فى معالجة شتى الشؤون ، ودل هذا كله على أن فى البلاد استعدادا فطريا للإصلاح الاجتماعى .

فلنأمل إذن خيرا ولا نتعجل النتائج ، ولننتظر بصبر وثقة ذلك اليوم الذى نرى فيه عامة الشعب صحيحة الجسم هنيئة العيش كما نرى فيه خاصته قوية الخلق وفيرة الإنتاج — هذا يوم ليس ببعيد ، فهو آت قريب إن شاء الله" .

وبعد هذا زار الحاضرون فصول المحلة واستمعوا لدرس فى التربية الوطنية ألقاه صاحب العزة محمد صلاح الدين بك مراقب المشروعات بوزارة التجارة ، والى درس آخر فى الرسم ألقاه صاحب العزة الأستاذ أحمد شفيق زاهر بك كبير مفتشى الرسم بالمعارف .

وقد كان سرور الأهلين فى هذه المنطقة بافتتاح المحلة بالغا ، ولا سيما الشباب إذ حيوا المدعوين بالتصفيق والهتاف بجلالة الملك .

ونذكر فى هذه المناسبة أن المحلة الجديدة لم تستطع قبول كل ما قدم اليها من الطلبات واقتصرت على قبول ٧٥ طلبا .

الهلال الأحمر للشباب

أغراضه ونظامه ونشاطه

جاءنا من الأستاذ الفاضل سكرتير جمعية الهلال الأحمر للشباب المصرى ما يأتى :

بين نواحى النشاط الخاصة بالصليب الأحمر و بالهلال الأحمر توجد تلك الناحية المتصلة بالشباب. والواقع أنه منذ سنة ١٩١٨ قد أنشئت جمعيات للصليب الأحمر للشباب فى كندا ثم انتشرت فى جميع أنحاء العالم . وتشمل هـذه الحركة اليوم ٤٩ دولة ويبلغ عدد المشتركين فيها نحو ٢٠ مليون عضو .

وقد انضمت هذه الملايين من المشتركين بمحض إرادتهم ، لأن نظام الهلال الأحمر للشباب من النظم الطبعية . فهو لا يقوم على نظريات ، وليس وليد ضرورات وقت معين ، ولكنه شيد على حقائق ثابتة .

وشعار الهلال الأحمر للشباب الذى اعتنقه جميع المشتركين فيه يلخص مثله الأعلى فى عبارة قوية واضحة ، هى الخدمة :

— خدمة النفس بإيجاد جسم صحيح ونفس قوية .

— خدمة الآباء والأصدقاء بالولاء الخالص .

— خدمة الوطن بالاحترام الشديد للواجبات المدنية، ومساعدة وخدمة جميع المواطنين.

وتجمع جميع أغراض الهلال الأحمر للشباب أغراض واحدة، تتلخص فيما يلي :

(١) غرس العادات الصحية فى نفوس الأطفال بطرق مشوقة و بوسائل محسوسة. كتشجيع الحياة فى الهواء الطلق ، و إنشاء ملاعب ومصايف الأطفال ، والحمامات الخ . كذلك ينظم المشرفون على فرق الهلال الأحمر للشباب بين التلاميذ مسابقات صحية بتوزيع كراسات مصورة عليهم، يقيد فيها كل منهم يوميا القواعد الصحية التى اتبعها والتى لم يتبعها مما يزيد فى ملاحظة هذه القواعد .

ويهتم الهلال الأحمر للشباب بحملات صحية ترمى إلى إثارة اهتمام الصبيان عن طريق (الصور، الإعلانات، كروت البوستال ، الحادثات الودية عن الصحة ، الإذاعات اللاسلكية الأفلام ، الكتب ، المنشورات والمجلات الدورية) .

كذلك يدرب الصبيان على حماية الصحة العامة ، و يعلمون مبادئ الإسعاف الأولى وإنقاذ الغرقى والتنفس الصناعى ونقل الجرحى ووسائل إطفاء الحريق الخ .

(٢) وثانى الأغراض التى ينشدها الهلال الأحمر للشباب ، هى إحياء عواطف التضامن والشفقة والتضحية بين الصبيان وتقوية روح التضامن فيهم . وقد أظهرت التجارب أن هذا النظام وسيلة لجمع جميع المدارس المختلفة فى بلد ما فى صورة حركة وطنية ذات طابع قومى .

يقترح الهلال الأحمر للشباب على أعضائه إنشاء ملاه للأطفال الفقراء، وملاجئ للأيتام والصم والبكم والعميان والمقعدين .

كذلك يهتم هؤلاء الأعضاء بإحياء الحفلات لصالح الأطفال الفقراء وتوزيع الهدايا عليهم أيام الاعياد ، ومساعدة التلاميذ الفقراء فى شراء ما يلزمهم من الكتب والأدوات .

و يعمل الصبيان والشبان على مساعدة الوطن أيام المصائب وعند وقوع الكوارث فيجمعون الاكتتابات والملابس القديمة وخلافها .

(٣) وثالث هذه الأغراض هو إيجاد روابط أخوية بين أطفال جميع الأمم . فيقوم أعضاء الهلال الأحمر للشباب بالتراسل مع زملائهم فى مختلف أنحاء العالم ، فيحدث كل منهم الآخر عن مدرسته، وعن مدينته وما فيها من تجارة وصناعة وزراعة. و يبعث بالكروت والصور وقصاصات الجرائد التى توضح هذه الأحاديث، وكثيرا ما ترسل الفرقة بعض نماذج من النباتات والأشجار والفراش المحنطة وريش الطيور، أو من طوابع البريد والنقود المعدنية ، وتنسق

هـــذه المجاميع داخل مجموعة مجـلدة (البوم) واحدة ترسل الى إحدى فرق الصليب الأحمر ببلد آخر، فتقوم الفرقة الأخيرة بتحضير (البوم)عن كل ما يتعلق ببيئتها وترسله للفرقة الأولى. وتحدث هذه المراسلات بين أنحاء البلد الواحد أو بين مختلف الأمم .

هذا، والاشتراك فى هذه المراسلات يجب أن تقوم به جماعة: فصل أو مدرسة، أو جماعة من التلاميذ المتخرجين ، ويمكن أن يقوم أحد الأعضاء بكتابة الخطاب، ولكنه يكتبه دائما بالنيابة عن زملائه . وتقوى هذه الطريقة روح التضامن والتعاون بين الأعضاء ، كما تعودهم تقسيم العمل حيث يقوم كل منهم بجزء معين من العمل .

وجميع أنواع النشاط هـذه يعتمد فيها التلاميذ على أنفسهم . وكل مبلغ يجمعونه مهما كان صغيرا أو كبيرا يجب أن يكون نتيجة توفيرهم أو عملهم . كالأشغال اليدوية ومصنوعات القش والخشب والتطريز والتريكو والأطعمـة والمشروبات المحفوظة والثمار والأزهار والخضراوات والنباتات المفيدة وتربية طيور الزينة والدواجن والنحل ودود القز . وتنظيم أسواق خيرية لبيع هذه المصنوعات والمنتجات ، وجمع الأشياء المستعملة كالملابس القـديمة والزجاجات الفـارغة والجرائد والكتب القديمة وطوابع البريد الخ ، وبيع ذلك كله أو تقديمه لمن هم فى حاجة اليه .

وإحياء الحفلات التمثيلية والموسيقية . وإقامة الألعاب والمباريات الرياضية وتخصيص إيرادها لتحقيق أغراض الهلال الأحمر للشباب .

وعلى العموم لا يفرض الهلال الأحمر للشباب برنامجا فوق برنامج المـدرسة . ولا يبعـد المدارس عن أعمالها، بل بالعكس يساعدها، وهو ليس طريقة تربوية ولا تربية صحية ولكنه وسيلة تساعد المربين على نشر الصحة وتنمية الميول الإيثارية بين التلاميذ ، وتلقينهم الوطنية الصحيحة وتشجيع روح التعاون الدولى . وتساعد هذه الوسيلة أيضا المدرسين على الوصول إلى الأغراض التى ينشدونها من عملهم كمربين . وتوجد تعاونا وثيقا بين عمل التلاميذ والحوادث التى تقع خارج المـدرسة . وبذلك فانها تعتبر من الصفات الروحيـة التى تنعش حياة المدارس .

نظام فرق الهلال الأحمر للشباب :

(١) المعـاهد الدراسية والفرق الكشفية هى الميدان الرئيسى لعمل الهلال الأحمـر للشباب ، وهى التى يجب أن تقوم به لأنه أنشئ لصالحها، ويستطيع جميع الصبيان والشبان الاشتراك فيه ، إلا ان أقصى سن للعضوية هو ٢٥ سنة .

(٢) يقوم المدرسون ورؤساء الكشافة باعتبارهم مستشارين للفرق برعاية الفرق المسئولين عنها وفاقا للروح التى تسود هذا النظام وطبقا لتوجيهات اللجنة العامة التى تشرف عليه .

(٣) يقتصر عمل المستشار على الإدارة الأخلاقية لفريقه ، وتترك الإدارة الفعلية للجنة مكونة من رئيس وسكرتير وأمين للصندوق ، وينتخبون من بين التلاميذ الذين يبدون إخلاصا فى العمل لصالح الهلال الأحمر للشباب .

(٤) لكى تشترك إحدى الفرق فى الهلال الأحمر للشباب يبعث الناظر أو المستشار الذى يشرف على العمل بطلب الى اللجنة العامة المشرفة على هذا المشروع تدون به اسم المدرسة ومقرها واسم أعضاء اللجنة التى ستدير الفرقة وعدد التلاميذ المشتركين وعدد الفصول المشتركة وغير ذلك من البيانات الضرورية .

٥ — تصدق اللجنة العامة على كل طالب اشتراك مستوفى الشروط ، ثم تبعث للفرقة مقدمة الطلب بشارات العضوية والجداول التى تقيد بها أسماء أعضاء الفرقة والشهادة التى تثبت اشتراك هذه الفرقة لتعلق بالمدرسة .

٦ — يدفع كل عضو لفرقته اشتراكا سنويا اسميا قرشا صاغا ، ويرسل ٥٠ ٪ من مجموعة قيمة هذه الاشتراكات إلى اللجنة العامة ، وتبقى الـ ٥٠ ٪ الباقية بصندوق الفرقة ليصرف فى الأعمال التى تقررها الفرقة ، غير أن كل فرقة تستطيع أن تحصل على أموال كما يتراءى لها .

نشاط الهلال الأحمر للشباب فى مصر :

على أثر انشاء شعبة الهلال الأحمر المصرى بالاسكندرية قرر مجلس الإدارة تكوين أربع لجان يوزع بينها مختلف نواحى نشاط الهلال الأحمر وهى : لجنة الدعاية ، ولجنة الاشتراكات ، ولجنة اختيار وتدريب المتطوعين ، ولجنة الشباب .

وقد عقدت لجنة الشباب عدة اجتماعات خلال شهر يوليه سنة ١٩٤٠ درست فيها مشروع إنشاء هيئات من الشبان تعمل لتحقيق أغراض جمعية الهلال الأحمر على نسق جمعيات الصليب الأحمر للشباب فى الخارج ، وعلى أثر ذلك وضعت اللجنة بيانا عن أغراض ونظام هذه الجمعيات ، ثم طبع هذا البيان باللغات العربية والانجليزية والفرنسية واليونانية وأرسل لحضرات نظار المدارس وسكرتيرى الأندية بالاسكندرية .

كذلك اتصل بعض أعضاء اللجنة المذكورة شخصيا بحضرات نظار بعض المدارس ، وشرحوا لهم أهمية الهلال الأحمر للشباب ، وأقنعوهم بتكوين فرق لتحقيق أغراضه ، فوافق كثير منهم على هذا المشروع ، خصوصا أنه يتمشى مع باقى نواحى النشاط المدرسى ، بل ويمكن تبديل بعض نظم النشاط الموجودة فعلا كالكشافة أو الجمعية الخيرية بالمدرسة أو لجنة صندوق الإحسان

لتحقيق مبادئ الهلال الأحمر للشباب ضمن أغراضها . وعلى أثر هذه الدعوى تكونت عدة فرق بمختلف المدارس .

وقد عقد فى ٧ يوليه سنة ١٩٤٠ بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية أول اجتماع لأعضاء فرق الهلال الأحمر للشباب الذين يمثلون عددا كبيرا من المدارس ، ومنذ ذلك الوقت تتابعت الاجتماعات بانتظام ، فكان يجتمع بعد ظهر كل يوم اثنين هؤلاء الأعضاء تحت إشراف بعض المسئولين و يعملون على صنع سلع من القش والخشب والتريكو .

وقد وقفت هذه الاجتماعات فى آخر شهر سبتمبر سنة ١٩٤٠ بالنسبة لابتداء السنة الدراسية ، إلا أن رؤساء الفرق لا زالوا يحضرون بعد ظهر كل يوم خميس لتقديم بيان عن نواحى النشاط التى يقومون بها داخل مدارسهم ، وللحصول على بعض الإرشادات ، والاتفاق على تنفيذ البرامج المشتركة .

و بين الأعمال المقترحة التى صادفت اهتمام جميع الأعضاء وأثارت حماسهم مشروع مستوصف رعاية الطفل المتنقل ، و يرمى هذا المشروع إلى مكافحة وفيات الأطفال فى الأحياء الفقيرة ، فينتقل المستوصف لعلاج هؤلاء الأطفال فى أحيائهم ، بل فى منازلهم فيوفر على أمهاتهم مصاريف الانتقال ، و يقوم بالبحث والاستقصاء عن الأحوال الطبية والاجتماعية السيئة قبل تفاقمها ، و يقدم للأطفال العلاج والدواء واللبن والملابس أحيانا .

ولتحقيق هذا المشروع عمل أعضاء الهلال الأحمر للشباب على تنظيم أسواق خيرية صغيرة و إحياء حفلات تمثيلية ، كما أنشأ أطفال بعض المدارس صندوق يمدها الأعضاء بالنقود بانتظام متنازلين عن شراء بعض الكماليات . وقام غيرهم بانتظام بجمع الزجاجات الفارغة وعلب المحفوظات والجرائد القديمة والكراسات المستعملة لبيعها لصالح المستوصف . وسيكون هؤلاء الصبيان بجهودهم المتواصلة مثلا للتضامن والإخلاص .

وهناك مشروع آخر يهم أعضاء الهلال الأحمر للشباب ، هو مساعدة الأطفال المشردين والفقراء ، لذلك قاموا فى عيد رأس السنة الإسرائيلية والميلادية وفى عيدى الفطر والاضحى بإحياء حفلات للأولاد الفقراء وزعوا عليهم فيها الحلوى والهدايا ، وسيحيون هذه الحفلات بانتظام فى جميع الأعياد .

وقد تم إعداد مشروع لإنشاء مأوى للأطفال المشردين يعمل على وقايتهم من التشرد والإجرام ، فاذا تم تحقيق مشروع المستوصف فإن المشروع الثانى سيوضع موضع التنفيذ .

فى عيد الأميرة فوزية

احتفل فى السابع من شهر أبريل الماضى بعيد ميلاد صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية فقصد الكبراء والعظماء وغيرهم من الشيوخ والنواب وممثلى مختلف الهيئات ، إلى قصر عابدين العامر حيث قيدوا أسماءهم فى سجلات التشريفات الملكية مهنئين البيت المالك الكريم .

وكان يستقبل الوافدين أصحاب العزة اسماعيل تيمور بك الأمين الأول بالنيابة ومحمود اسيوفى بك وعلى رشيد بك وفايز طبوزاده بك من كبار رجال التشريفات .

وقد اجتمع فى تلك المناسبة عيدان : عيد الأميرة المحبوبة كلأها الله بعنايته وأقر بها أعين صاحبى الجلالة والديها العظيمين ، وعيد الطفولة التى نالت من عطف المليك وحميل بره وإحسانه ما لن تنسى معه ذكرى هذا العيد الميمون .

لقد أضفى جلالته على الأطفال المحرومين أسباب البهجة والسرور مما أطلق ألسنة أمهاتهم و بينهن الأرامل المعوزات بالدعاء إلى الله أن يبقى صاحب الجلالة ملجأ للبائسين من رعيته وان يديم أعياد الأميرة المحبوبة مصدر خير و بركة .

وقد فتحت حمامات الشعب فى جميع أنحاء القاهرة أبوابها — تحقيقا للرغبة الملكية — منذ الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم ، واستقبلت فى عطف وترحاب حوالى ١٤٠٠ من الأطفال الفقراء الذين تشرف عليهم مختلف مراكز رعاية الطفل فأخذ هؤلاء الصغار يغتسلون مع أمهاتهم وقريباتهم ، تحت إشراف الطبيبات والممرضات والزائرات الصحيات ، وقد استخف الفرح أمهات الأطفال فرحن يزغردن ويكررن الدعاء لصاحبى الجلالة الملكية وسمو الأميرة فوزية .

وقد وزع على كل طفل ، بعد استحمامه ، طقم كامل من الملابس الداخلية والخارجية وأعطى كمية من اللبن والفاكهة والحلوى . وكانت سيارات الدعاية الصحية تقف إلى جوار الحمامات تدير بعض الاسطوانات الغنائية ويلقى مذيعوها إرشادات صحية نافعة للأمهات .

وطاف أصحاب العزة محافظ العاصمة ووكيل المحافظة والدكتور توفيق شوشه بك وكيل الصحة والدكتور السباعى حسنين بك والدكتور حامد محمود بك بالحمامات الشعبية للاشراف على العناية بالأطفال وتهيئة وسائل راحتهم وسرورهم ، كما أوفدت الخاصة الملكية اثنين من موظفيها إلى كل حمام للترحيب بهم .

وتوافد الفقراء من تلاميذ المدارس الإلزامية وغيرهم على مطاعم الشعب حيث قدم إليهم طعام الغداء والعشاء على نفقة الجيب الملكى وكان هذا الطعام مؤلفا ، فى الوجبتين من الخضر والأرز واللحم والمحشو والحلوى .

ومن المظاهر التى استرعت الأنظار ، أن هؤلاء الفقراء من التلاميذ كانوا يغادرون مطاعم الشعب ، بعد تناول الطعام ، ثم يسيرون جماعات داعين بحياة صاحب الجلالة الملك " راعى الفقراء " و " والد الشعب " و " صديق الفقير " كما كانوا يهتفون بحياة سمو الأميرة فوزية .

وقد اكتظت يومئذ حديقة الحيوان بآلاف من أطفال القاهرة الذين كانت السيارات تقلهم إليها ثم تعود بهم إلى بيوتهم فقضوا بين أرجاء هذه الحديقة يوما هانئا استمتعوا خلاله بالطواف بأنحائها تحت إشراف موظفيها ورجال الخاصة الملكية ، وأصابوا طعاما شهيا من الفطائر والفاكهة والحلوى .

ولقد طاف صاحب العزة الدكتور حسين حسنى بك سكرتير صاحب الجلالة الملك بمطاعم الشعب والحمامات الشعبية جميعا ، وقصد الى حديقة الحيوان موفدا من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك للاشراف على تحقيق الغاية النبيلة التى قصد اليها جلالته من الترفيه عن أطفال الفقراء وشمولهم بعطفه وبره حتى يشترك هؤلاء المعوزون من رعاياه فى الابتهاج بمثل هذه المناسبة السعيدة .

وكأنما أراد المليك المعظم أن يقف بذاته الكريمة على تنفيذ رغبته السامية فطاف حفظه الله بأنحاء القاهرة ومر بالحمامات الشعبية ومطاعم الشعب وحديقة الحيوان. حتى اذا استوثق جلالته من أن "ضيوفه" يلقون ما أراد لهم من عناية، وأنهم حظوا بما أسبغه عليهم من عطف وبر ، وما يحبه لهم من إكرام وإعزاز ، عاد إلى القصر الملكى وقد امتلأ قلبه الكريم غبطة وسعادة .

كتلة الشباب بحلوان

مشكلة " أوقات الفراغ " هى المشكلة الأولى فى حياة الشبان، لأنهم لا يعرفون كيف ينفقونها فى اتجاه مفيد ، فتستحيل مفسدة لحياتهم وأخلاقهم ومستقبلهم .

وقد استطاعت " كتلة الشباب بحلوان " أن تحل هذه المشكلة فى بساطة وبلا إعلان، ودون كلفة أو نفقات .

اجتمعت طائفة من الشبـان ، واتحدت كلمتهم على العمل الصامت المفيـد ، لتطهير الشباب ، واستغلال فورته ، والانتفاع بالقوى الكامنة فيـه ؛ وعرفوا أن " العمل " هو الأساس الأول لطهارة النفس والعقل ، ووضعوا برنامجهم للعمل ملخصا فى النقط التالية .

فى الناحية الاجتماعية : دراسة أمراض المجتمع المصرى والبحث فى وسائل علاجها حتى يكون للشباب ما يشغله من التفكير فى شؤون بلده العامة و يشعره بحق الوطن عليه .

فى الناحية الرياضية : بث الروح الرياضـة فى جميع الأنحاء ليمتلئ الوادى نشاطا وحمية وقوة ، وليكون الشباب عدة الوطن ، وليرتفع مستواه الفكرى والخلقى عما يجره عليه الفراغ من تفكيرات مريضة .

فى الناحية الفنية : بعث ملكات الفنون الجميلة فيرغب الشعب فى مختلف الفنون و إقامة الحفلات والمعارض المحلية والدورية .

أما وسيلة التنفيـذ فهى أن تتكون فى كل منطقة معينة وحدة من وحدات الشباب تضم فريقا من المتطوعين الصالحين لخدمة المجتمع المصرى فى هذه المناحى الثلاثة .

وهكذا تتكون وحدات الشباب و لجانه فى كل مكان وتتحد جميعا فى كتلة من الشـباب تتبادل عندها الرأى وتستمد ثمار التجاريب .

زرت مركز الكتلة فى حلوان فإذا دار متواضعة خشنة المظهر تنم عن رجولة ترتفع على الكماليات والزينات . و إذا معرض للصور من عمل الأستاذ " فيكتور ذهنى " يحوى صورا فنية بالزيت والفحم والمـاء تعد خطوة طيبة فى نهضة فن التصوير ، فكان هذا المعرض مثلا حيا على تنفيذ قسم من برنامج الكتلة فى بعث روح الفنون .

وحجرة بها بعض أدوات الألعاب الرياضية وشبان المدرسة الثانوية وسواهم يزاولون بعض هذه الألعاب ويحققون القسم الثانى من برنامج الشباب .

وقرأت لافتة صغيرة على " غرفة العمل " فدخلتها . . . تلك هى معجزة كتلة الشباب الحقيقية فى حل مشكلة الفراغ . رأيت هناك قطع الخشب الصغيرة المهملة وألواح الزجاج المحطمة ومصابيح الكهرباء التالفة ، وقطع الأسلاك القديمة . وكل شىء انتهى عمله واعتدنا أن نلقى به بعيدا عن الدار . . . رأيت كل شىء من هذا يستحيل على أيدى الأعضاء فى هذه " الغرفة المقدسة " لعبا وطقاطيق للسجاير وأشياء أخرى نافعة لها ثمن معلوم ، ويراها الشبان فى أيديهم خلقا جديدا من مهملات تافهة . وإنى لأحسب شعورهم فى هـذه اللحظات هو شعور الفرح والغبطة بهذا الخلق الجديد وشعور الرغبة فى الدأب على هذا العمل المفيد .

كم تحتاج مصر إلى وحدات من الشباب كوحدة الشباب فى حلوان تعمل كما تعمل وتنتج كما تنتج وتحل مشكلة الفراغ هذا الحل البسيط السعيد ؟

عريضة منظومة

أشرف المرحوم حفنى ناصف بك على الستين من عمره وقربت إحالته إلى المعاش، فكتب إلى المرحوم حسين رشدى باشا رئيس الحكومة يسأله أن يمد فى أجل خدمته ، فقال:

صاحب الدولة ياشيخ الوزارة حاجتى إن شئت تُقضى بإشارة

نالها قبلى ألوف لم أكن دونهم علما ولا أدنى إدارة

ناهز الستين عمرى إنما لم أزل جم القوى جم الجدارة

و إذا لم يَشْكُ مثلى علة هل من الحكمة أن يلزم داره؟

إن تركى خدمة الأوطان مع طول ما مارست فى الدنيا خسارة

وحياتى كلها قضيتها تارة فى العدل والتعليم تارة

متفرقات اجتماعية

صناعاتنا الوطنية :

هبطت الواردات الخارجية هبوطا عظيما مدة الحرب الحاضرة ، وهذا الهبوط يتضح من الرسوم الجمركية التى بلغت من أول مايو سنة ١٩٤٠ الى ١٥ مارس سنة ١٩٤١ مبلغ ٢,٥٢١,٤٩٠ جنيها ، وذلك مقابل ٤,٦١٢,٤٨٠ جنيها فيكون النقص ٢,٠٩٠,٩٩٠ جنيها.

وهذا النقص سيكون موضوع الهم والاهتمام عند وزارة المالية التى يجب عليها أن تبحث عن مصادر أخرى لتزويد الخزانة بحاجات الدولة . ولكن إزاء هذا النقص زادت الضرائب المفروضة على الإنتاج زيادة كبيرة يجب أن تكون سببا للفرح العام ، لأن هذه الزيادة تدل على أن الصناعات الوطنية قد اغتنمت فرصة القلة فى الواردات الأجنبية فنهضت وسدت هذا النقص بمصنوعات مصرية ، والواقع أن جميع أقمشتنا تقريبا وكثيرا من زجاجنا وكل أحذيتنا وكل أثاثنا المنزلى أو المكتبى يصنع الآن فى مصر ، ومع أن هناك عيوبا فى هذه الصناعات فانها ليست خطيرة ويمكن إصلاحها بالتدريب ، فان الأدم الذى تصنع منه الأحذية والحقائب الكبيرة مثلا ليس ممتازا بصباغ ثابت . ولكننا نأمل التحسين والتجويد فى المستقبل .

ويجب على الجمهور أن يرعى هذه الحركة ويقبل على شراء هذه المصنوعات .

صحة الفلاحين :

يمكن أن يقال إن الجبهة الصحية فى مصر قد أصابها بعض التغير أو التنقيح. فقد كان التأكيد السابق يصوب نحو قلة الأغذية كما وكيفا . وأن هذه القلة هى السبب لضعف الفلاحين . ومع أن هذه المسألة لا تزال تحتل مكانا عظيما فى تفكير الأطباء وأنه ليس هناك أدنى شك فى أن كثيرا من أمراضنا يعود إلى الفاقة التى تؤدى إلى حرمان الفقراء من الغذاء فان هناك مسألة أخرى قد برزت هذه الأيام بروزا واضحا ، وهى أن ضعف الفلاح يعزى قبل كل شىء إلى أمراضه الثلاثة الانكلوستوما والبلهارسيا والاسكارس . فان هذه الديدان التى لا يكاد فلاح يخلو منها فى الوجه البحرى وبعض الوجه القبلى تنزف الدم والقوة بما تستهلك من غذاء الفلاح . والأصل فى هذه الديدان هو على حد قول وزير الصحة " مياستنا المائية" التى اتبعها مهندسونا وأغرقوا بها التربة المصرية . ونحن نحتاج إلى عشرات السنين قبل أن نخففها .

واكن يجب ألا نقع فى خطأ المغالاة . فان الصحة الحسنة تحتاج الى النفقات التى لا يطيقها الفقير . وعلى حد قول الدكتور عبد الواحد الوكيل بك : " إن هناك صلة مؤكدة بين دخل الإنسان ونوع الطعام الذى يأكل . فكلما كان الشخص مقتدرا زاد تناوله للأغذية الواقية من لحم ولبن وبيض وفواكه وخضراوات . وهذه الصلة بين الدخل والتغذية تجعل من واجب الدولة تصحيح الدخل أو تقرير المعدل الأدنى الذى يجب ألا ينحط عنه دخل العمال والصناع وأصاغر الموظفين فى المدن وكذلك الفلاحين فى القرى" .

روح الإصلاح :

أبعد الناس عن الرغبة فى الإصلاح لإحدى الطوائف هم فى العادة أولئك الذين التصقوا بهذه الطائفة وتعبوا مع أفرادها . ولهذا السبب قلما تحدث أحد المشرفين على السجون إلا ونجد انهم ينفرون من التفكير فى إصلاحهم ، ذلك لأنهم مارسوهم وبلوهم وعرفوا مقدار العنت الذى يلقونه منهم . ففى نفوسهم إحنة لا يحدها البعيد عنهم .

وكذلك المختلطون بالريف الذين عرفوا اجرائمه وألوان التحايل التى يتحايل بها الفلاح لكى يبتز قرشا من المالك — هؤلاء أيضا عند ما نحدثهم عن إصلاح الفلاحين أو زيادة أجورهم يسارعون الى قص القصص عن مساوئهم .

وليس من السهل على رجل قد نشلت نقوده من جيبه على الترام أو فى الزحام بيد أحد الصبيان أن يفكر فى البر بهؤلاء الصبيان إيوائهم وتعليمهم .

ويبدو لنا أن المصلح — لكى يجاهد بقلبه وعقله معا — يحتاج الى البعد النسبى عن الطائفة التى يريد لها الإصلاح . أو هو لا يلابسها إلا قليلا بحيث لا تترك فى نفسه إحنا وأحقادا . ولسنا نقصد الى أننا يجب الا ننتظر اصلاح السجون من المشرفين عليها أو اصلاح الريف من سكانه . ولسنا نقصد الى أن هذا الإصلاح يجب أن يكون قبل كل شيء من شأن الجمهور كله . ونقصد أيضا الى أن جمهور المدن مثلا — لبعده عن التحير — يستطيع الحكم على الاصلاح الريفى أكثر من جمهور المالكين فى الريف . وكذلك الشأن فى إصلاح السجون أو غيرها .

اللغة العربية :

لبعض الأمهات رغبة حارة فى أن تتعلم بناتهن لغة أجنبية لاعتقاد هؤلاء الأمهات أن هذه اللغة إذا رطنتها الفتاة كانت لها قيمة اجتماعية ترفع شأنها وتذكر من مقامها فى نظر خطيبها .

ولكن الأم التي تفعل ذلك تضر ابنتها أكبر الضرر . فان الفتاة المصرية قلما تجيد لغة أجنبية تستطيع أن تستنير بثقافتها الا اذا تخرجت من الجامعة فى مصر او فى قطر أجنبي . وقصاراها أن "ترطن" بعض كلمات أو عبارات هذه اللغة فى غير انتفاع كبير . وحتى عندما تجيد اللغة الأجنبية وتجهل لغتها وطنها لا مناص لها من الوقوع فى ضرر آخر قد لا يكون ضررا ثقافيا ولكنه ضرر وطني أكيد . لأن هذا الجهل للغتها يفصلها من وطنها ويجعلها غريبة عن مجتمعه لا تقرأ جرائده ولا تقتنى كتبه ولا تشترك فى الحركة الفكرية فيه .

ويجب على كل أم لهذا السبب أن تعنى أكبر العناية بتعليم بناتها اللغة العربية وأن تضع نصب عينيها أن هذه البنت سوف تكون فتاة فزوجة فأما . وهى فى كل هذه الأطوار تحتاج أمس الحاجة وألحها الى لغتها العربية لكى تقرأ الجريدة كل صباح وتشترك بذهنها مع الأمة فى جميع مسراتها وأتراحها ، بل هى لن تكون أما حسنة اذا جهلت لغتها لأن حديثها مع أطفالها لن يكون منيرا مفيدا له قيمة فى تربيتهم إذا لم يكن يتناول الشؤون العامة التى تقع فى وطنهم . وهذه الشؤون تبقى بعيدة عن ذهنها وقلبها ما لم تقرأ معهم وتنبههم بما فيها من مغزى أو معنى .

الغذاء السيئ :

ليست هناك أرقام يمكن الاعتماد عليها فى أثر الغذاء السيئ فى السكان . ولكن الدكتور عبد الواحد الوكيل بك يرى أنه يمكن الركون الى الأرقام والحقائق التالية :

(١) أنه يموت فى كل عام من سكان المدن المصرية ما لا يقل عن ٤٢٦٦ شخصا أى ٥٥٢ من كل مليون بسبب التغذية السيئة .

(٢) أن هذه الأرقام تدل على وجود عشرات بل مئات من الأحياء المرضى بسبب التغذية السيئة سواء أكانت أعراض المرض واضحة أم كامنة .

(٣) أن الكساح ولين العظام والبلاجرا من أخطر الأمراض الناشئة من سوء التغذية فى مصر ويرجح أنها أوسع الأمراض انتشارا .

(٤) أن الأنيميا الخبيثة كذلك من الأمراض الناشئة من سوء التغذية.

العقيدة والسلوك :

خير الطرق لغرس الأخلاق هو التدريب العملى . ولذلك يجب على الآباء ألا يلجأوا إلى النصيحة ويقتصروا عليها ، لأن المعول على السلوك .وصحيح أن العقيدة التى نغرسها فى الطفل تؤثر فى السلوك ، ولكن السلوك يؤثر أيضا فى العقيدة بل تأثيره هنا أكبر .

فاذا أردنا أن نعلم أطفالنا الاخلاق فاننا يجب أن نجعل هذا التعليم سلوكا معينا يسيرون عليه فى معاملتهم لإخوتهم وللخدم وفى تصرفهم بالنقود إنفاقا أو ادخارا . ولكل مجتمع طراز حسن من السلوك ، وهو طراز خاص . قد يختلف فيه من سائر المجتمعات فى أقطار أخرى .

وهو لايولد مع الطفل ولا ينشأ الأطفال عليه بفطرتهم و إنما هم يحتاجون إلى أن يتدربوا عليه. فاذا شئنا أن نعلم الطفل النظافة أو الطاعة أو الإحسان أو الصدق فاننا يجب أن نجعل سبيلنا الى ذلك التدريب بالعمل أى أننا نكلفه أعمالا تنطوى على هذه الصفات ونطالبه ليس بالتفكير فقط بل بالعمل أيضا .

الفطام النفسى للطفل :

يجب أن يفطم الطفل فطامين : الفطام الأول هو الفطام الجسمى وهو قطعه عن الرضاعة وتعليمه تناول الأطعمة الأخرى غير لبن الأم ، وهذا كلنا يعرفه ولا يحتاج الى تعليم .

ولكن هناك الفطام النفسى . فان الطفل يتعود ملازمة أمه والتعلق بها حتى لا يطيق الا أن ينام معها فى فراشها و إذا خرجت ملأ الدنيا صراخا لكى يرافقها . واذا وجد من اخوته أو غيرهم مايسوءه انكفأ الى أمه يشكو و يستجير . ومثل هذا الطفل يضايق ابويه وهو مع ذلك لا يسعد بهذا التعلق والالتصاق بأمه .

ويجب على الأم الذكية أن تفطم ابنها الفطام الثانى ، أى الفطام النفسى ، وذلك بتعويده الاستقلال والتعاون مع اخوته وتجرئته على أن يحل مشكلاته بنفسه دون أن يلجأ اليها وليس هذا بالشاق اذا شغلت ذهنه بلعب يستطيع أن يتسلى بها وحده فى غرفة مستقلة . لأنه حين يلعب وحده يتعود الانفراد والقدرة على ان يشغل وقته فاذا خرجت أمه لم يستوحش بوحدته .

وهذا هو أول الفطام النفسى . و بعد ذلك يمكن أن نكبر استقلاله بالمصروف اليومى أو الاسبوعى الذى يجب عليه أن يتصرف به كيفما شاء .

الجهل وسوء التغذية :

لاينكر احد أن للفاقة أثرا بليغا فى سوء التغذية فى بلادنا : لأن الطعام الوافى تزيد أثمانه على الطاقة الاقتصادية لكثير من العائلات الفقيرة . ولكن يجب ألا نهمل مع ذلك أثر الجهل فقد يكون الأبوان متيسرين ومع ذلك يسيئان الى ابنائهما فى الغذاء لأساءة الاختيار للاطعمة

فالطفل فى نموه يحتاج الى الأطعمة التى تحتوى على الكليسوم مثل اللبن ومشتقاته والبيض والخضراوات. ولكن الام الجاهلة لاتزوده بهذه الأطعمة بل تؤثر عليها الفطائر من الدقيق الأبيض والحلويات واللحوم وهى تتوهم أن هذه الأطعمة لغلائها هى خير ما يقدم للطفل . و بذلك يشبع الطفل شبعا كميا ولكنه يجوع جوعا كيفيا أو كيميائيا لقلة الأملاح والڤيتامينات وخاصة لقلة الكلسيوم. وأحيانا تقى الأم طفلها من الشمس والهواء وتبالغ فى الوقاية حتى لايكاد يرى الإنسان شيئا من جسمه فلا يتعرض المسكين لضوء الشمس الذى يغذوه بڤيتامين د وهذا الڤيتامين هو خير الوسائل لتمثيل الكلسيوم فى الأطعمة المختلفة .

فيجب على كل أم أن تتذكر أن اللبن ومشتقاته والبيض والخضراوات والفواكه هى خير للطفل من الحلويات والفطائر بل هى فى بعض الأحيان ألزم له من اللحوم .

الخمر تعالج بالقراءة :

فى سنة ١٨٢٩ كان عدد الأنابيق التى تستقطر منها الخمور فى أسوج يبلغ ١٧٢٠٠٠ أنبوق مع أن عدد السكان لم يكن يزيد على ثلاثة ملايين . ولكن أسوج فى الوقت الحاضر تعد من أبعد الأمم عن الخمور أو أقلهن تناولا لها وهى مثال تحتذى به أوربا .

وترجع حركة المكافحة للخمور فى أسوج الى جهود قسيس أمريكى يدعى بيرد وصل الى استوكهولم سنة ١٨٣٦ وأسس الجمعيات التى يتعهد أعضاؤها بمقاطعة الخمر ويتفقون من أموالهم على مكافحتها بين المترددين على الحانات. ولم تكن المكافحة سلبية أى قائمة على الامتناع عن الخمر فقط . فان دعاة الصحو جعلوا المقاومة إيجابية وذلك بتعويد الافراد القراءة بدلا من الشراب وأسسوا المكتبات المجانية للقراءة والإعارة لكى تأخذ مكان الحانات كما أسسوا حلقات لدرس بين جميع السكان . وقد بلغ عدد هذه الحلقات سنة ١٩٣٦ أكثر من ثلاثة آلاف حلقة يدرس كل منها فرعا أو فروعا خاصة من الثقافة وتشغل الشباب عن غشيان الحانات وفى السنين الأخيرة اشتركت حكومة أسوج فى مكافحة الخمور بأن ساهمت فى مصانع الخمر والحانات ايضا . لكى تمنع استقطار الخمور المركزة ولكى تمنع البيع إلا بحدود معينة . وقد سارت على مبدأ منع الربح عن التاجر اذا زادت مبيعاته من الخمور على مقدار معين . وذلك بفرض ضرائب باهظة على المقدار الزائد .

الاعلانات والصحف :

من الكلم الذائع فى البيئات الصحفية أن الجرائد هى اعلانات تجارية قد كتبت خللها أخبار ومقالات . وفى هذه الكلمة كثير من الصحة فان ٩٥ ٪ من إيرادات الصحف فى الولايات المتحدة الأمريكية يأتى اليها من الاعلانات . و ٥ ٪ فقط من الاشتراكات . ويمكن أن يقال مثل هذا أيضا عن الصحف الانجليزية . ولكن الحال ليست كذلك فى الصحف الفرنسية التى لا يزيد دخلها من الاعلانات على ٣٣ ٪ من مجموع إيراداتها .

والجريدة الأمريكية التى تعيش بالاعلانات لا تقل صفحاتها فى العادة عن ٣٠ أو ٤٠ صفحة كل يوم . فى حين أن الجرائد الفرنسية كلها تبلغ ١٠ أو ١٢ صفحة . ولكن إزاء هذا نجد أن الاعلان يتحكم فى اتجاه الجريدة وخططها . فان مخبريها ومحرريها حين يعرفون مأتى الإيراد لجريدتهم يضطرون الى مراعاته والتغاضى عما كان يجب أن يعرفه الجمهور عن الشركات التجارية .

ولكن ضعف هذا المورد المالى العظيم فى الأمم الأخرى، يجعل الجرائد أحيانا عرضة للفساد الحزبى أو السياسى و يؤخر نهوضها و يعجزها عن الرقى الصحفى .